وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر

# مجلة دراسات تاريخية

دوريّة علميّة محكّمة

1 العدد الأول 2018

تصدر عن
مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر
Aden Centre for Historical Studies, Research and publishing

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

مجلة دراسات تاريخية
دورية علمية محكمة

# محتويات العدد

مجلَّة دوريَّة علميَّة محكّمة

يصدرها مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر بترخيص من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

العدد الأول ٢٠١٨م

**المشرف العام**

الأستاذ/ محمد سالم علي جابر

**المدير العام**

د. محمود علي السالمي

**رئيس التحرير**

أ. د. طه حسين هُديل

**هيئة التحرير**

أ.د. محمد عبد الله بن هاوي باوزير

أ.د. علي صالح الخلاقي

أ. مشارك. د. أحمد بن أحمد باطايع

أ. مشارك. د. عبد الحكيم محمد ثابت العراشي

توجه المراسلات والبحوث المقترحة للنشر باسم رئيس التحرير على البريد الإلكتروني للمجلة:

hsj@aden.center

أو على عنوان مركز عدن للدراسات التاريخية والنشر

عدن، الشيخ عثمان، شمسان مول، مكتب:٦ إيميل:

info@aden.center


| المحتوى | الصفحة |
|---|---|
| **التقديم** | |
| كلمة وزير التعليم العالي والبحث العلمي<br>أ. د. حسين عبدالرحمن باسلامة | ٥ |
| كلمة رئيس جامعة عدن<br>أ. د. الخضر ناصر لصور | ٧ |
| الكلمة الافتتاحية<br>أ. د. طه حسين هديل رئيس التحرير | ٩ |
| **البحوث** | |
| دور القتبانيين والسبئيين وأتباعهم من سكان مدن الجوف ونجران في فشل حملة اليوس جاليوس الرومانية على العربية السعيدة عام ٢٤ق. م<br>د. عبدالله علي الفيش عطبوش | ١١ |
| البخور والمباخر في العربية الجنوبية من خلال المعطيات الأثرية والتاريخية.<br>د. أسوان محمد حسين عبد الله | ٥٥ |
| طرق القوافل القديمة في حضرموت.<br>د. محمد عوض باعليان | ١٠٩ |
| أوقاف المراكز العلمية في عصر السلاجقة الأتراك (دورها في النهضة العلمية الإسلامية ٤٢٩- ٥٥٢هـ)<br>د. عبد الفتاح قاسم ناصر الشعيبي | ١٦١ |
| نظم الدخول والمغادرة للسفن في ميناء عدن " عصر دولتي بني أيوب وبني رسول "<br>د.عبد الحكيم محمد ثابت العراشي | ٢٠٥ |
| صهاريج عدن الإسلامية<br>د. أحمد صالح رابضة | ٢٣٣ |
| القيم الجمالية للزخارف المنفذة على مصندقات سقف مسجد قيدان بالمحويت/ اليمن.<br>د. غيلان حمود غيلان | ٢٧٩ |
| تعثر النضال الوطني الفلسطيني ١٩٤٧ – ١٩٩٣م.<br>د. محمد رجب جرادة | ٣١٧ |


للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

## الهيئة الاستشارية الدولية للمجلة


| | |
|---|---|
| أ. د. حسين عبد الرحمن باسلامة | (جامعة عدن) |
| أ. د. صالح علي باصرة | (جامعة عدن) |
| أ. د. ناصر صالح حبتور | (جامعة عدن) |
| أ. د. عبد الله سعيد الجعيدي | (جامعة حضرموت) |
| أ. د. محمد سعيد داوُد | (جامعة حضرموت) |
| أ. د. حسين عبدالله العمري | (جامعة صنعاء) |
| أ. د. عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع | (جامعة صنعاء) |
| أ. د. جمال محمود حجر | (جامعة الإسكندرية) |
| أ. د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس | (جامعة عين شمس) |
| أ. د. حسن خضيري أحمد | (جامعة جنوب الوادي مصر) |
| أ. د. عبد العزيز بن راشد السنيدي | (جامعة القصيم) |
| أ . د . سعيد بن عمر بن محمد آل عمر | (مدير جامعة الحدود الشمالية) |
| أ . د . عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد العبدالجبار | (جامعة الملك سعود) |
| أ. د. محمد كريم إبراهيم الشمري | (جامعة بابل) |
| أ. د. قصي منصور التركي | ( جامعة دهوك ) |


المجلة صادرة بقرار ترخيص رقم (١) من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

لعام ٢٠١٨م وبرقم إيداع وطني : ١١٠٩ لعام ٢٠١٨م

**حقوق الطبع محفوظة**

لا يجوز إعادة نشر البحوث المنشور في المجلة أو أجزاء منها،

في أي وسيلة نشر، إلا بإذن كتابي من رئيس التحرير

**المواد المنشورة في المجلة لا تعبِّر إلَّا عن آراء أصحابها**

**ولا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلة أو رأي القائمين عليها**

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

## قواعد النشر في المجلة

١- أن يكون البحث في مجال التاريخ وعلومه، وأن يتسق عنوانه مع محتواه.

٢- أن يكون متسمًا بالأصالة والابتكار، والمنهجية العلمية، وأن يمثِّل إضافة نوعية في مجال المعرفة.

٣- أن يكتب بلغة سليمة خالية من الأخطاء اللغوية والإملائية والطباعية.

٤- أن يكون ملتزمًا بدقة التوثيق، وأن توثق قائمة المصادر والمراجع وترتب ترتيبًا هجائيًا في آخر البحث بطريقة التوثيق المتعارف عليها: اسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الجزء، اسم المحقق أو المترجم، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر.

٥- أن تذكر الهوامش في أسفل الصفحات، وأن ترقم في كل صفحة ترقيمًا تسلسليًّا.

٦- ألَّا يكون البحث قد سبق نشره أو قُدِّم للنشر في أي جهة أخرى.

٧- ألَّا تقل صفحات البحث الواحد عن ١٥ صفحة، وألَّا تزيد عن ٣٠ صفحة، بما فيها الجداول والرسوم الخرائط والصور، إن وجدت.

٨- أن يستخدم الباحث الخط الأسود Simplified Arabic بحجم ١٤ Normal، وبحجم ١٦ Bold في العناوين الداخلية.

٩- أن يقوم الباحث بإجراء التعديلات المنصوص عليها في تقارير المحكمين والأخذ بها، مع تعليل ما لم يتم الأخذ به.

١٠- قرار هيئة التحرير بشأن البحوث المقدمة للنشر نهائي، وتحتفظ الهيئة بحقها في عدم إبداء مبررات قراراتها بعدم النشر.

١١- لا يعاد البحث إلى صاحبه سواء نشر أم لم ينشر.

## مرفقات النشر

**عند تقديم البحث للنشر يشترط الآتي:**

١- أن يقدِّم الباحث طلبًا كتابيًا بنشر بحثه إلى رئيس تحرير المجلة. وأن يتعهد فيه بأن بحثه لم يسبق نشره، ولم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلاً أو جزءاً من كتاب أو رسالة علمية.

٢- أن يقدِّم الباحث ملخصًا لسيرته العلمية، وأهم إنتاجه العلمي.

٣- أن يقدِّم الباحث نسختين ورقيتين من بحثه، ونسخة إلكترونية.

٤- أن يرفق مع البحث ملخصًا باللغة العربية، وآخر باللغة الإنجليزية، بحيث لا تزيد كلمات الملخصين عن ٣٠٠ كلمة.

٥- أن يقدم الباحث نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أو غيرها)، في حال استخدامها في البحث، إلا إذا وردت في صلب البحث أو في ملاحقه.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

# تقديم

**أ. د. حسين عبد الرحمن باسلامة**

**وزير التعليم العالي والبحث العلمي**

في البدء أتقدم بالتهنئة لمركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر، ولأسرة هيئة تحرير مجلة ((دراسات تاريخية)) على إصدار العدد الأول من المجلة، وأنه لمن دواعي سروري أن تكون لي كلمة مختصرة في تلك المجلة العلمية المحكمة، المتخصصة في بحوث التاريخ وعلومه المختلفة، فلا ريب في أننا لاسيما في هذا الوقت، في أمس الحاجة للاستفادة من دروس التاريخ وعبره، فلا يمكن لنا النظر إلى مستقبل مشرق بمعزل عن تجاوز أزمات الماضي وأخطائه القاتلة، ولذلك تأتي أهمية الدراسات التاريخية، ويأتي دور البحث العلمي الوطني.

ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي سعت وفق إمكاناتها المتاحة في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها البلد لتشجيع النشاطات العلمية بكل أنواعها سواء في الجامعات والمراكز الحكومية، أو في الجامعات والمراكز الأهلية، ويمثل صدور مجلة «دراسات تاريخية» الحاصلة على ترخيص من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ثمرة من ثمار التعاون والتنسيق بين الوزارة ومركز عدن للدراسات التاريخية. وإدراكًا من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لأهمية البحث العلمي

وقيمته الوطنية، فقد حرصت على تسهيل الظروف التي تمكن المجلات العلمية المحكمة من الصدور، لتكون رافدًا علميـًا، ونافذة للباحثين وأساتذة الجامعات وطلاب العلم لنشر أبحاثهم وإنتاجهم العلمي.

إن صدور مجلة «دراسات تاريخية» في هذه الوقت بالذات، قد ضاعف من أهميتها، ومن الحاجة إليها، فالظروف التي تمر بها البلاد حالت دون صدور العديد من المجلات العلمية المحكمة التي كانت تصدرها الجامعات اليمنية المختلقة، وهو الأمر الذي أثر سلبـًا على دراسة الكثير من المواضيع التاريخية المهمة، وعلى ترقيات العديد من أعضاء الهيئة التعليمية في تلك الجامعات، ولذلك نأمل أن تسد المجلة بعضـًا من ذلك النقص الذي سببه غياب بعض تلك المجلات، كما نأمل أن تعكس صورة مشرِّفة لمستوى البحث التاريخي العلمي، داخل الوطن وخارجة.

وفي الختام نأمل لشعبنا اليمني ممثلا بفخامة الأخ الرئيس عبدربه منصور هادي رئيس الجمهورية، وقواه السياسية الوطنية، تجاوز ظروف المعركة التي فرضت عليه، والانتصار لأمنه واستقراره وقيمه الوطنية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

# تقديم

**د.الخضر ناصر لصور**

**رئيس جامعة عدن**

إنه لمن دواعي سروري أن أضع كلمتي في مقدمة العدد الأول من المجلة التاريخية العلمية المحكمة التي يصدرها مركز عدن للدراسات التاريخية والنشر تحت اسم «دراسات تاريخية»، ولعل مبعث هذا السرور أمران، الأول: أن هيئة تحريرها، كما هو حال مجلس المركز، تنتمي بكاملها لجامعة عدن التي أنتمي إليها، والتي أتشرف في قيادتها، والثاني: أننا على أمل في أن تشكل رافداً علمياً جديداً للمعرفة التاريخية الرصينة والحصيفة، ومنبراً بحثيًّا مفتوحًا لكل الدارسين والباحثين الجادين في التاريخ من داخل الجامعة وخارجها، لاسيما في هذا الوقت العصيب الذي يتطلب منا القراءة العلمية لماضينا.

وعلى الرغم من الصعوبات التي تعانيها جامعة عدن، بحكم الظروف الاستثنائية التي تمر بها البلد، إلا أنها عملت في أطار دعمها للبحث العلمي، وسعيها لتطويره، على التفاعل الإيجابي مع كل المؤسسات والمراكز البحثية المحلية، بما فيها مركز عدن للدراسات التاريخية، لترسيخ ثقافة الابتكار والإبداع داخل المجتمع، ولتشجيع قيام الفعاليات العلمية، وتنشيطها

بكل مجالاتها وتخصصاتها، وتعميم إنتاجها البحثي ونشره على أوسع نطاق، داخل الوطن وخارجة.

ولا شك في أن المجلات العلمية المحكمة تعد من أكثر القنوات فاعلية في الاتصال العلمي؛ نظرًا للثقة التي تحظى بها في أوساط الباحثين والدارسين، ولأهميتها في قياس المستوى العلمي في العمل الأكاديمي، ولذلك نأمل أن تكون مجلة «دراسات تاريخية» عند مستوى تلك الثقة العلمية والوطنية، فالقضايا التاريخية قضايا حساسة ومهمة في حياة الشعوب، وكلما تم معالجتها ودراستها بمنهج علمي سليم؛ كلما كانت نتائجها أكثر موضوعية ودقة، وكلما كانت أكثر فائدة ومنفعة للفرد والمجتمع.

فقيمة البحوث وأهميتها تكمن ليس في عدد صفحاتها، ولا في مستوى جودة أسلوبها، وإنما في مدى تشخيصها للمشكلات ومراعاتها للواقع وتقديمها للحلول الناجحة لقضايانا، فهدفنا العام من البحث العلمي هو تجاوز أزماتنا وتحدياتنا، وتعزيز أمن واستقرار وطننا وتحقيق تنمية وتطور شعبنا.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

# الكلمة الافتتاحية

**أ.د. طه حسين هُديل**

**رئيس التحرير**

سعى مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر منذ اللحظات الأولى لإشهاره في يوم الخميس الموافق ٢٦ يناير ٢٠١٧م إلى العمل على تحقيق الأهداف التي أُنشئ لأجلها، والتي وضعها القائمون عليه وعلى رأسهم المشرف العام الشيخ/ محمد سالم بن علي جابر، ومدير المركز الدكتور/ محمود السالمي، وبقية مدراء الدوائر التي يقوم عليها هذا المركز. وكانت فكرة إعادة الدور الريادي لمدينة عدن لسابق عهده من بين أهم الأهداف التي أسس لأجلها مركز عدن، في محاولة لإنعاش الحياة العلمية والثقافية للمدينة بعد حالة الركود التي عمتها، وذلك من خلال إقامة المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش العلمية والتثقيفية، ورصد كلما يتعلق بتاريخ هذه المدينة بشكل خاص والوطن بشكل عام من معلومات تاريخية وأثرية، خطية وشفهية، ووثائق ومخطوطات نادرة وتوثيقها، للحفاظ عليها من الضياع والتلف، لتصبح فيما بعد في متناول أيدي الباحثين وطلاب العلم، ومن هم في فلكهم من

المهتمين بالتاريخ والآثار وغيرهم. وقد قطع مركز عدن خلال هذه المدة البسيطة من تأسيسه شوطًا كبيرًا في توصيل رسالته بموجب الخطط السنوية التي وضعتها دوائره ومدراؤها رغم الأوضاع الصعبة التي تعيشها المدينة.

وقد كان من بين أهم أهداف مركز عدن - وعبر واحدة من بين أهم دوائره؛ ألا وهي دائرة الدوريات - هو إنشاء مجلة علمية دورية محكمة، تكون نافذة للعلماء والباحثين وطلاب العلم لنشر أبحاثهم العلمية الرصينة والجادة بعد عرضها على مختصين من أفضل الأساتذة في التاريخ والآثار لتحكيمها وإعطاء الرأي حول مدى قبولها للنشر، لاسيما بعد حالة التعثر التي تعرضت لها المجلات العلمية المحكمة في سائر الجامعات اليمنية وغيرها. وللحصول على شرعية هذه المجلة التي يشرف عليها نخبة من أساتذة جامعة عدن وجامعات يمنية وعربية عريقة؛ حصلت المجلة على قرار وزاري رقم (٢) لعام ٢٠١٨م بإصدارها من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي اليمنية، وتحت مسمى: «مجلة دراسات تاريخية»، وقد حرصنا منذ اللحظات الأولى لاستقبال البحوث في هذه العدد (العدد الأول) على الجدية في انتقاء الأصيل منها، والاعتذار عن البحوث التي لا ترتقي للمستوى المطلوب، في محاولة لجعلها مجلة نموذجية تتساوى والمجلات العلمية العربية والدولية الرفيعة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

# دور القتبانيين والسبئيين وأتباعهم من سكان مدن الجوف ونجران في فشل حملة اليوس جالوس الرومانية على العربية السعيدة عام ٢٤ ق. م

د. عبدالله علي الفيش عطبوش[١]

**الملخص:**

أرسلت الأمبراطورية الرومانية عام ٢٤ ق. م، حملة عسكرية ضخمة مكونة من عشرة آلاف جندي لغزو العربية السعيدة، وقد ذكر سترابو أن هذه الحملة انطلقت من مصر باتجاه أرض الأنباط في الشمال وقطعت صحاري الجزيرة العربية حتى وصلت إلى العربية السعيدة في الجنوب، وتقدمت في أراضي هذه المنطقة حتى وصلت إلى مدينة مأرب عاصمة سبأ وحاصرتها لمدة ٦ أيام، ثم رحلت عنها عائدة إلى مصر بسبب حاجة اليوس جالوس قائد الحملة للمياه .

وبما أن هذه الرواية حول سبب فشل الحملة الرومانية في السيطرة على العربية السعيدة غير منطقية، فأن هذه الدراسة تهدف إلى معرفة

(١) أستاذ مشارك في قسم التاريخ بكلية التربية زنجبار – جامعة عدن.

الأسباب الحقيقية لفشل هذه الحملة، ولحل إشكالية هذه الدراسة فقد تم استخدام المنهج التاريخي المعتمد على التحليل والمقارنة .

وتتكون هذه الدراسة من مبحثين وخلاصة، تم في أولهما مناقشة آراء سترابو والباحثين المحدثين حول أسباب فشل الحملة لاسيما ما يتعلق منها بخيانة سيلايوس دليل الحملة، وتعرض جنودها للأمراض والمجاعة والتعب بسبب المسالك الوعرة، أما المبحث الثاني فقد تم فيه استعراض دور القتبانيين والسبأيين وأتباعهم من سكان مدن الجوف ونجران في فشل الحملة الرومانية .

واحتوت الخاتمة على عدد من النتائج التي خرجت بها الدراسة، وتثبت أن فشل الحملة الرومانية على العربية السعيدة يعود إلى الدور الفعال لكل من القتبانيين والسبأيين وأتباعهم من سكان مدن الجوف ونجران في مقارعة الرومان، وأن كل الأسباب التي ذكرها سترابو والباحثين المحدثين لم تكن هي سبب في فشل هذه الحملة .

## Abstract:

The Roman empire has been Send aLarge campaign military compaign from 10,000 soldiers for happy Arab ,Starbo has been mentioned this compaign carriedout from Eygbet ,toward AL-anbat s Land in north and cross deserts of Arabian island until arrival to happy Arab in south ,and proceed to ward the torritany of this region until reached the city Marb capital of Saba Kingdom and besieged for 6 days then Leaved of it to Eygbet because Aluis Galose Leader Water campaign .

Since this is the reason why it faild Roman campaign in confral on Arab happiness that for it was not legical This study target to know what are fact reasons for Faild this campaign . In order to solve this Issue , the study has been used his torical approad based on analysis and camparison .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

This study consists of two points or axes and conclusion . Firstly ,discussion of the views of Astrabo and researchers about reasons faild campaign . Syllaeus Treasoned for the campaign cause many issues , and irllness , shortage water

Secondly ,the role of AL-katabenain ,AL-Sbain and their Followers from the cities ,ALjauf Najran were re conflicted in Failure of the Roman campaign on the happy Arab is dul to the active role each of AL-katbanian, AL-Sbain and their Follower All these reasons that talk about them, Astrabo and researchers were not cause of the Failur of this campaign.

**المقدمة:**

لازالت رواية سترابو[١] عن أسباب فشل الحملة الرومانية تثير الكثير من التساؤلات بين الباحثين، ويعود سبب ذلك إلى الغموض الذي اكتنف ما كتبه هذا الجغرافي عن هذه الحادثة الهامة .

وتبعاً لذلك فقد تعددت الأسباب التي أوردها الباحثون المحدثون حول فشل هذه الحملة، لكن كل الذي ذكروه في هذا الجانب لا يخرج عن جملة الأسباب التي ذكرها سترابو لفشل هذه الحملة، وفي أحسن الأحوال هي استنتاجات مأخوذة من سير الحملة في العربية السعيدة[٢]، وقد نتج عن ذلك عدم التوصل إلى معرفة

(١) سترابو أو سترابون مؤرخ وجغرافي اغريقي عاش بين ٦٤ ق. م -١٩ / ٢٠ م. انظر حول حياته: وهيب كامل، استرابون في مصر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م، ص٣- ١٧؛ العبادي، اليمن، ص ٥٧ -٦٣.

(٢) عرف مصطلح العربية السعيدة Arabia Felix لدى المؤرخين والجغرافيين اليونان والرومان، فأول من أطلق هذه التسمية على جنوب الجزيرة العربية ايراتوسثنيس ٢٧٦ -١٩٦ ق. م، وهو عالم فلكي وجغرافي يوناني. انظر حول حياته: العبادي، أحمد صالح، اليمن في المصادر القديمة اليونانية والرومانية ٤٨٥ ق.م -١٠٠ م، اصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م، ص٤٤ -٤٧. وقد وضع مصنفاً سماه

الأسباب الحقيقية التي تغافل عن ذكرها سترابو والتي أدت إلى فشل الحملة الرومانية على العربية السعيدة، والسبب في ذلك يعود لعدم اعتماد أولئك الباحثين روأية بليني(١)، حول المدن التي ذكر هذا الجغرافي أن اليوس جالوس دمرها(٢)،

= الجغرافيا (The Geographica)، فقد لكن محتواه وصل إلينا في الفصل الرابع من الكتاب ١٦، ضمن مؤلف سترابو (الجغرافيا)، ويذكر فيه العربية السعيدة ويحدد موقعها بأنه في أقصى الجنوب، ثم يذكر خصب أرضها وما بها من ثروة حيوانية، ويذكر أن أربع أمم تسكن فيها وهم المعينيين والسبأيين والقتبانيين والحضارمة وعواصمهم، وان بها ملوك يحكمونها وهي تنعم بالثراء كما يذكر ان مملكة قتبان تنتج اللبان وحضرموت المر وعلاقاتها التجارية مع الانباط في ايلانا(ميناء العقبة) والجرهائيون من الخليج العربي. انظر: Eratosthenes, in Strabo:The Geography of Strabo , translated by , Horace Leonard jones , The loeb Classical Library,. London, Book XV1,4. ,1966,ch 1-4, p.309-311.

جبرا، إبراهيم، بلاد العرب من جغرافية سترابون، مجلة المجمع العلمي العراقي، مطبعة الفيض، بغداد، ج٢، ١٩٥١م، ص٢٤٦ – ٢٤٨؛ الأدهم، عبد اللطيف، بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، القسم الثاني، ٢٠٠١م، ١٣٧ –١٥١؛ العبادي، اليمن، ١٠٥ –١١٣ .

(١) بليني الاكبر مؤرخ وجغرافي روماني عاش في الفترة من ٢٣ –٧٩ م. انظر حول حياته: عبد اللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠م، ص٢٧؛ حسين الشيخ، دراسات في تاريخ حضارة اليونان والرومان، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٣٥٥؛ العبادي، اليمن، ٦٤ –٦٩. انظر رواية هذا الجغرافي حول المدن التي دمرها جالوس:Pliny: Natural History , translated by H. Rackham .M.A; William Heinemann ltd , Vol,11, Book V1, London ,1969.p .460. محمود شكري محمد، بلاد العرب من تاريخ بلينيوس، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد٣، ج١، ١٩٥٤م، ص١٣٩؛ العبادي، اليمن، ص ٢٠٦ .

(٢) هو حاكم مصر في فترة حكم الامبراطور الروماني اغسطس قيصر ٣١ ق.م – ١٤ م، وقائد الحملة الرومانية على العربية السعيدة ٢٥ –٢٤ ق.م، كان عضو طبقة الفرسان: Pliny: Natural History , .p .460. محمود شكري محمد، بلاد العرب، ج١، ص ١٣٩ . العبادي، اليمن، ص ٢٠٦ .



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

إلى جانب رواية سترابو حتى يتم تكوين رؤية مقبولة حول مصير هذه الحملة وأسباب فشلها.

## أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث أنه يناقش ما ذكره سترابو عن الأسباب التي أوردها هذا الجغرافي والباحثون المحدثون حول فشل هذه الحملة لمعرفة صحتها من عدمها، ثم يستعرض دور القتبانيين والسبأيين وحلفائهم من سكان مدن الجوف[١] ونجران في فشل الحملة الرومانية، بالاعتماد على ما ذكره بليني حول المدن التي دمرها جالوس أثناء حملته على العربية السعيدة، ورواية هذا الجغرافي على اقتضابها وعدم وضوحها هامة جداً لأنها سوف تساعد على وضع تصور تقريبي عن دور كل من هذه الشعوب في إفشال الحملة الرومانية.

## منهج البحث:

وقد استخدم الباحث لحل إشكالية هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي المعتمد على التحليل العقلاني للآراء الداخلة في موضوع الدراسة، لاسيما ما ذكره

(١) لا يوجد ذكر لدولة معين المشهورة أثناء هجمات الرومان على مدن الجوف، وبالتالي لعل سبأ قد مدت نفوذها إلى هذه المنطقة عند ضعف هذه الدولة وتحالفت مع ملوكها المتاخرين ووضعتهم تحت حمايتها كما يشير بذلك نقش هاليفي ٥-٧/ ٤٨٥. انظر: بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥ م، ص٣١. ثم أسقطت هذه الدولة قبل قدوم الحملة الرومانية وسيطرت على أراضيها ودليل ذلك عدم ذكر هذه الدولة أثناء تعرض مدن الجوف لهجمات الرومان عام ٢٤ ق. م، ويرى بعض الباحثين أن دولة معين قد زالت قرب نهاية القرن الأول قبل الميلاد. انظر:

Wissmann,von,H: Himyar Ancient History, lemuseon, 77, 443,447. 3-4, 1964,p

بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص ٣١ .

مؤرخ الحملة سترابو والباحثين المحدثين حول أسباب فشل الحملة الرومانية، وكذلك رواية بليني حول الحملة، أملاً في الخروج بنتائج سليمة تحدد الأسباب الحقيقية لفشل هذه الحملة.

**وتضمنت هذه الدراسة مبحثين رئيسين هما:**

١- آراء سترابو وبعض الباحثين المحدثين حول أسباب فشل الحملة الرومانية على العربية السعيدة .

٢- دور القتبانيين والسبئيين وأتباعهم من سكان مدن الجوف ونجران في فشل حملة اليوس جالوس الروماني على العربية السعيدة عام ٢٤ ق.م .

وأنهينا دراستنا هذه بخلاصة احتوت على عدد من النتائج التي توصلنا إليها.

## المبحث الأول

## آراء سترابو وبعض الباحثين المحدثين حول أسباب فشل الحملة الرومانية على العربية السعيدة

ذكر سترابو أن الحملة الرومانية بقيادة اليوس جالوس استولت مباشرة بعد وصولها إلى العربية السعيدة على مدينة النجرانيين[١]، وبعد مسير ٦ أيام من

(١) نجران واد في شمال اليمن ذكر في نقوش المسند باسم(ن ج ر ن). انظر:
Re'protoire d' e'pigraphie Se'mitique ; publie par la Commission du corpus inscrioptionum semiticarum (Acade'mie des inscrioptions et Belles-Lettres) tome v1 , 1935(RES 3052-3946). RES 3945/20.
الارياني، مطهر علي، في تاريخ اليمن نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط٢، ١٩٩٠م، ص٢٠٠ . نقش Er 32/2 . وكانت أكبر مدنه مدينة رجمة عاصمة لملك مهامر وأمير في نجران في القرن ٨ ق. م. انظر: RES 3943/3 . ولعل هذه المدينة أطلق عليها في وقت غير معروف أسم الوادي فصار أسمها نجران وصارت عاصمة لهذا الوادي، ونستدل على ذلك مما ذكره سترابو عن وصول حملة الرومان إلى مدينة النجرانيين city of the Negrani دون ذكر أسمها، وكذلك من ذكرها كمدينة Negrana .



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

نجران ألحقت الحملة الهزيمة بالبربر(١) عند النهر الذي لم يسمه سترابو(٢)، وقتلت منهم عشرة آلاف شخص وفقد الرومان في هذه المعركة جنديين، ثم سيطر في الحال على مدينة (أسكا)(٣) بعد هروب ملكها منها، واقتحم بعدها

= انظر: Strabo: The Geography of Strabo , translated by , Horace Leonard jones , The loeb Classical Library,. London, Book XV1,4. ,1966, Book XV1,4, ch 24 ,p.361,363... الأدهم، بلاد اليمن، ص١٧١. وتقع مدينة نجران في الجهة الشرقية الشمالية من صعدة على بعد ١٠٠ كم. انظر: الويسي: حسين بن علي، اليمن الكبرى كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي، مكتبة الإرشاد، ط٢، صنعاء، ج٢، ١٩٩١ م، ص ١٣٣.

(١) البربر: مصطلح كان يطلقه الرومان على كل شعب من غير الرومان ولا يعني المتوحشين، بل الغرباء عنهم، وكان يطلقه الرومان على الشعوب الاقل منهم تحضراً . العبادي، اليمن، ص ١٨٢ هـ ١ .

(٢) يعتقد بعض الباحثين أن النهر الذي أشار له سترابو ولم يذكر أسمه هو غيل الخارد، انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٣ م، ص ٥٠ . الجرو، أسمهان سعيد، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب الجزيرة العربية (اليمن القديم)، دار جامعة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٢ م، ص ١٨١؛ الشيبة، عبد الله حسن، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، ط١،، تعز، ٢٠٠٠م، ص٢٢.

(٣) يضن بعض الباحثين أنها مدينة (نشق) وتسمى حاليًا (الخربة البيضاء)، وذكرت هذه المدينة في نقوش المسند باسم (ن ش ق م) انظر:- Corpus inscriptionum semiticarum Pars Quarts, Inscriptions Himyariticas et sabaeas continens, 1, 11 et 111 parisiis, 1889-1932.CIH.610/1-4.RES 3945/14,17.

الارياني، في تاريخ اليمن، ص٢٠٠ . نقش Er32/2 . وأطلق عليه بليني اسم (نيسكا): Pliny:Natural History , p .460.، وقد ذكرها الهمداني ضمن أرض الجوف انظر: الحسن بن حمد بن يعقوب (ت: ٣٥٠ هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٠ م، ص٢٨٠؛ جواد علي، المفصل، ج٢، ص٥١، ٥٣؛ العبادي، اليمن، ص ١٨٣ . انظر حولها كذلك: بروتون، جان فرانسوا، مدن وحواضر، اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدر الدين عرودكي، باريس، معهد العالم العربي،

مدينة (اثرولا)[١] وسيطر عليها دون مقاومة، ووضع فيها حامية وجمع الزاد والمؤن، ولا يستبعد أن جالوس سيطر على معظم مدن الجوف التابعة لسبأ، ونستدل على ذلك من ذكر بليني لبعض تلك المدن مثل(نيستوس)[٢]، (نيسكا) (ماجوسوس)[٣]، (كامينا قوس)[٤]، (لابيتيا)[٥]، ثم تقدمت الحملة إلى

= دار الاهالي، دمشق، ١٩٩٩م، ص١٠٣؛ روبان، كريستيان، نشق، ترجمة: علي محمد زيد، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، ط٢، صنعاء، ج٤، ٢٠٠٣م، ص٢٩٦٢ وما بعدها .

(١) يعتقد بعض الباحثين أنها مدينة (يثل) المعينية (براقش). انظر: الهمداني، الصفة، ص٢٨٠؛ جواد علي، المفصل، ج٢، ص ٥٧؛ العبادي، اليمن، ص ١٨٤. انظر حولها كذلك: دي ميغريه، اليساندرو، يثل، اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدر الدين عرودكي، باريس، معهد العالم العربي، دار الاهالي، دمشق، ١٩٩٩م، ص ١٣٨. وذكرت يثل في نقوش باسم (ي ث ل). انظر: شرف الدين، أحمد حسين، تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة، ج٣، ١٩٦٧م، ص٥٢، ٥٣، ٥٤. نقوش. Sh 5/4 . .Sh 4/3 . Sh 3/3

(٢) نشن الخربة السوداء هي أحد مدن الجوف. الهمداني، الصفة، ص٢٨٠. ذكرت في النقوش باسم (ن ش ن) .17-14 /RES 3945 . انظر حولها: روبان، كرستيان، نشن، ترجمة: علي محمد زيد، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، ط٢، صنعاء، ج٤، ٢٠٠٣م، ص ٢٩٥٦ وما بعدها .

(٣) يعتقد بعض الباحثين أنها موضع قريب من مجزر بأرض الجوف. انظر: جواد علي، المفصل، ج٢، ص ٥٣؛ العبادي، اليمن، هـ٥، ص ٢٠٦

(٤) يرى البعض أنها مدينة كمنه وهي أحدى مدن الجوف. انظر: الهمداني، الصفة، ص٢٨٠؛ جواد علي، المفصل، ج٢، ص٥٣؛ العبادي، اليمن، هـ٦، ص ٢٠٦. وكمنه ذكرت في النقوش باسم (ك م ن ه و) كمنهو انظر:RES 3945/17 . انظر حولها كذلك: روبان، كرستيان، كمنه، ترجمة: علي محمد زيد، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، ط٢، صنعاء، ج٤، ٢٠٠٣ م، ص ٢٤٥٨ وما بعدها .

(٥) يعتقد البعض أنها (لوق) وهو موضع خربة في (شحاط) عند جبل قدم على مسيرة ساعتين من شمال شرق معين. جواد علي، المفصل، ج٢، ص٥٤؛ العبادي، اليمن، هـ٧، ص ٢٠٦.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

مدينة(مارسيابا)[١]، وهي تابعة لقبيلة (Rhammanitae) (الرحمانيين)[٢]، وكان حاكمهم يدعى (ILasarus) (ايلاساروس)[٣]، وفي الحال هاجم جالوس المدينة

(١) ذكرها بليني باسم ماريبا:.Pliny: Natural History , p .460 يرى بعض الباحثين أنها مدينة مأرب عاصمة مملكة سبأ. انظر: Wissmann,von,H: Himyar Ancient istory, p 435. الارياني، مطهر علي، حول الغزو الروماني لليمن، مجلة دراسات يمنية، صنعاء، العدد ١٥، ١٩٨٤م، ص ٦١ . العبادي، اليمن، هـ٣، ص ١٨٤؛ بلاي فير، إف .إل، تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، ترجمة: سعيد غبد الخير النوبان و علي محمد باحشوان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ١٩٩٩م، ص٤٩؛ جواد علي، المفصل، ج٢، ص٥٤، ٥٦. وذكرت هذه المدينة في نقوش المسند ( م رب). انظر: الارياني، في تاريخ اليمن، ص٢٠٠ . نقش.Er 32/3

(٢) يعتقد بعض الباحثين أن الرحمانيين هم شعب ريمان. انظر:
Wissman ,Von, H ; and M , Hofner ;Betrage zur Historischen Geographie des voris Lamishen sudgrabie , Wiesbadn , 1953.s34.
وقد ذكر هذا الشعب في النقوش (ا ر ي م ن) (اريمان) أي الريمانيين. انظر:
RES. RES4085/1. RES 2743/3-4 .CIH 512/2.

(٣) يرى بعض الباحثين أن المقصود بـ (ايلاساروس) عند سترابو هو (ال يشرح يحضب الاول). انظر: الارياني، حول، ص ٥٦؛ جواد علي، المفصل، ص٥٥. والذي حكم خلال الفترة من ٣٥- ١٥ ق. م، في عهده قدمت حملة اليوس جاليوس الروماني إلى اليمن عام ٢٤ ق. م. انظر: شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ من القرن ١٤ ق.م إلى القرن ٢٠م، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٤، ص٩١. او ٣٠- ٢٠ ق. م. البكر، منذر عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الجنوبية في اليمن، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٠م، ص ٢٧١.
لكن اليشرح يحضب الأول كان لقبه ملك سبأ وذي ريدان وهو من بني بتع وليس من الريمانيين انظر: الارياني، في تاريخ اليمن، ص.٥٥ نقوش.E: 4/1..E:5/5.E::3/5-6،
Jamme, A. Sabaen, inscriptions from mahram Bilqis (marib), Baltimur:



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وحاصرها لمدة (٦) أيام، غير أن احتياجه للماء اضطره إلى رفع الحصار عنها ولم يكن بحسب رواية سترابو بينه وبين بلاد الطيوب سوى مسيرة يومين حسب ما أخبره الأسرى، وقد قضى في مسيره هذا ستة أشهر، ثم عادت الحملة خائبة من مارسيابا، وبعد ٩ أيام وصل إلى نجران ومنها عادت الحملة باتجاه مصر[١] .

وقد ذكر سترابو من وجهة نظره أسباب فشل حملة جالوس وحصر معظمها في خيانة الوزير النبطي (SYLLAEUS) سيلايوس دليل هذه الحملة في سيرها نحو العربية السعيدة، الذي أتهم من قبل سترابو بالخيانة لأنه لم يدل الرومان على طريق بحري آمن بمحاذاة الساحل، فاقتاد الأسطول بمحاذاة ساحل صخري لا موانئ فيه، وإلى أماكن تزدحم فيها الصخور الغاطسة تحت الماء، أو أماكن ذات مياه

---

Johns Hopkins, 1962.J568/7 Ja 645.Ja 496. WissmaN, Himyar, = P, 458.

البكر، دراسات، ص٢٨٣. Ja 645.Ja 496 . لذلك ليس له علاقة بالحملة الرومانية عام ٢٤ ق.م، لأن حكمه على رأي بعض الباحثين كان في بداية القرن ٢م. بافقيه، محمد عبدالقادر، كرب آل وتر يهنعم الاول والدولة الاولى في بلاد العرب «فرضيات عمل جديدة»، مجلة ريدان، العدد (٦) ١٩٩٤م، ص٤٨. ومن المحتمل أن حاكم مأرب عند قدوم حملة الرومان هو (ايل شرح بن سمه علي ينف) الريماني وسيد الريمانيين في مأرب انظر:RES4085 /1، ولعل حكمه كان في الربع الأخير من القرن الأول ق. م، ونستنتج ذلك من خلال ذكره من قبل سترابو أنه حاكم على الرحمانيين (الريمانيين).

انظر:.Strabo: The Geography of Strabo , Book XV1,4. ch 24,p.361

جبرا، بلاد العرب، ص ٢٦٦؛ الادهم، بلاد اليمن، ص١٧٢؛ العبادي، اليمن، ص ١٨٥ .

(١) Strabo: The Geography of Strabo , Book XV1,4, ch 24,p.361-363.. جبرا، بلاد العرب، ص ٢٦٦؛ الادهم، بلاد اليمن، ص١٧١ – ١٧٤؛ العبادي، اليمن، ص ١٨١ – ١٨٥.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ضحلة، وفي هذه الأماكن، بصفة خاصة، كان المد والجزر يلحقان بالأسطول اكبر الأذى. وبعد مشاق جسيمة وصل في اليوم الخامس عشر إلى ميناء الانباط لويكة كومة [١](Leuce come) بعد أن خسر كثيرا من سفنه فقد غرق العديد منها بمن فيها، لصعوبة الملاحة بسبب خيانة سيلايوس، وذكر سترابو من أسباب فشل الحملة عوامل طبيعية متعلقة بالأمراض حيث ذكر( أن جالوس وصل إلى لويكة كومة وجيشه يعاني من آلام الأمراض بسبب الماء والنباتات التي استعملها الجنود في طعامهم، لذلك اضطر جالوس على قضاء الصيف والشتاء هناك لمعالجة المرضى، كذلك اتهم سترابو (سيلايوس) بأنه قاد جنود الحملة بعد الرحيل من ميناء لويكه كومة في طرقات شاقة ومسالك وعرة، ومن أهم أسباب فشل الحملة ما ذكره سترابو من احتياج جالوس للماء بعد مهاجمته لمدينة مأرسيابا (مأرب)، وحصارها لمدة ستة أيام، مما اضطره إلى رفع الحصار عنها وعودة الحملة إلى مصر، وكذلك طول مدة السير إلى العربية السعيدة بالقول ان جالوس قضى في زحفه ستة أشهر بسبب غدر مرشديه، أي سيلايوس[٢].

وانطلاقًا من رواية سترابو لسير الحملة وما ذكره من أسباب لفشلها، تعددت أراء واستنتاجات الباحثين المحدثين حول تلك الأسباب، حيث اعتقد بعضهم أن أسباب فشل حملة جالوس تعود إلى أن قائدها يجهل كل شيء عن طبيعة البحر

(١) وتقع في الطرف الشمالي الشرقي من ساحل البحر الأحمر شمال مدينة ينبع الحالية. عبد اللطيف أحمد علي، مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١م، ص٦٤.

(٢) Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. Chs23-24,p355-361.

انظر: جبرا، بلاد العرب، ص٢٦٤ – ٢٦٦؛ الأدهم، بلاد اليمن، ص١٦٩ –١٧٣؛ العبادي، اليمن، ص١٧٩ – ١٨٦ .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

الأحمر، فلم يوفق في اختيار أسطوله الحربي، مما أدى إلى فقدانه كثيراً من سفنه قبل أن يصل إلى الميناء النبطي، كما كان يجهل أيضـاً الطبيعة الجغرافية للمنطقة، فقد كان من أسباب هزيمته قلة المياه، وتفشي الأمراض، والتحصينات المنيعة للمدن اليمنية (العربية السعيدة)، وكذلك وصول القوات الرومانية منهكة القوى بعد ستة أشهر سيراً على الأقدام فقد قطعوا مسافة طويلة، حتى وصلوا إلى الأراضي اليمنية(العربية السعيدة)، فطالت الرحلة عن الموعد المخطط لها. كذلك حصانة مدينة مأرب، إضافة إلى المقاومة اليمنية (مقاومة سكان العربية السعيدة) التي لم يذكرها سترابو، والتي كان لها دور فعال في إلحاق الهزيمة بالقوات الرومانية، مثال على ذلك: تلك المعركة التي أشار إليها سترابو ودارت رحاها حول نهر في منطقة الجوف ولعله وادي الخارد[١] .

ويرى آخر أن أسباب فشل حملة جالوس يعود إلى طبيعة البلاد الصحراوية ومناعتها، حيث لاقى الرومان الحر والجوع والعطش والمرض مما اهلك أكثرهم، واجبر الباقيين على التراجع والانسحاب، لذلك كان لعامل الطبيعة دور أساسي في الدفاع عن بلاد العرب[٢] .

وكذلك دور المقاومة اليمنية وخاصة شدة التحصينات حول المدن،تلتها الخسائر التي منيت بها الحملة قبل وصولها إلى الأراضي اليمنية (أراضي العربية السعيدة) كتلك التي منيت بها منذ بداية رحلتها من مصر إلى الميناء النبطي

(١) الجرو، موجز، ص ١٨٣ -١٨٤ .

(٢) باوزير، محمد عبد الله بن هاوي، الحملة الرومانية على العربية الجنوبية أو السعيدة (اليمن القديم) بين المصادر الكلاسيكية والجدل التاريخي، مجلات كليات التربية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، العدد (٩)، ٢٠٠٨ م، ص ٢٤٣. انظر حول ذلك أيضـاً: جواد علي، المفصل، ج٢، ص ٤٢٠ .

لويكه كومة، والتي كان سببها جهلهم بخط السير إلى الميناء النبطي،إضافة إلى الخسائر التي تسبب فيها الدليل النبطي بخيانته وتضليله لقائد الحملة(١) .

ويرى باحث أخر أن أسباب فشل الحملة الرومانية تكمن في عدم كفاءة جالوس في قيادة البحر وتنظيم الأسطول بحيث فقد كثير من سفنه قبل أن يصل إلى ميناء لويكه كومة، إضافة إلى سيره بجيشه في طرق صحراوية وجبلية وعرة تمتد من لويكه كومة حتى دخل البلاد (العربية السعيدة)، وكذلك قلة الماء خلال حصار مأرب وتفشي الأمراض، ومقاومة القبائل العربية الجنوبية في عدة معارك أحداها عند نهر ذكره سترابو قد يكون غيل الخارد، وكذلك شدة تحصن السبئيين في عاصمتهم مأرب ومقاومتهم لحصار الرومان، وعدم إخلاص الدليل النبطي للرومان رغبة في الوفاء لبني عمومته العرب مما خيب آمال الرومان(٢) .

ومن الآراء كذلك، أن سؤ تقدير الرومان له – أي لمشروع السيطرة على العربية السعيدة – واستهانتهم بطبيعة بلاد العرب، وعدم إدخالهم في حسابهم قساوة الطبيعة، وعدم تمكن الجيوش الرومانية النظامية من المجابهة، وتحمل العطش والحرارة الشديدة، كل هذه الأمور أدت إلى خيبة المشروع منذ اللحظة الأولى، فكانت انتكاسة شديدة في هيبة روما وفي مشاريعها التي أرادت تنفيذها في شبه الجزيرة العربية(٣).

والبعض الآخر اعتقد أن فشل الحملة يعود لفتك القبائل بجنودها عند عودتهم من مأرب إلى مصر حيث قال: لا نستطيع أن نتصور حملة مهزومة ومنكسرة تجتاز أراضي اليمن دون أن تتخطفها القبائل وتمزقها تمزيق النسور للفرائس(٤) .

(١) باوزير، الحملة، ص ٢٤٣ .
(٢) الشيبة، تاريخ، ص ٢٢ .
(٣) جواد علي، المفصل، ج٢، ص ٤٣ –٤٤؛ مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د. ت، ص ٣١١ .
(٤) الارياني، حول، ص ٦٣ .



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

عموماُ ما ذكره سترابو والباحثون المحدثون من أسباب لفشل الحملة ممكن أن نجملها في عدة عوامل هي:

١- العامل البشري المتمثل في خيانة سيلايوس دليل الحملة وأخطاء جالوس قائد الحملة[١] .

٢- العوامل المتعلقة بالطبيعة الصحراوية لبلاد العرب ومناعتها، وكذلك بالأمراض والمشقة والمجاعة والمسالك الوعرة ونقص المياه[٢] .

٣- العوامل المتعلقة بمقاومة سكان العربية السعيدة وتشمل حروب هؤلاء السكان مع الرومان ومتانة تحصينات المدن[٣] .

أولاً- العامل البشري المتمثل في خيانة سيلايوس دليل الحملة وأخطاء جالوس قائد الحملة.

فيما يتعلق بخيانة الدليل النبطي سيلايوس للحملة الرومانية وأنه سبب في فشلها لأنه لم يدل الجيش (الحملة) على طريق بحري أمين، فأنها ليست غلطة هذا الوزير لأن الدولة الرومانية هي دولة بحرية والرومان لديهم إلمام بالبحر الأحمر ومخاطر

(١) انظر: Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book: XV1,4,. Ch23, 24 ,p.355-357؛ جبرا، بلاد العرب، ص٢٦٤ – ٢٦٥؛ رودنسون، ماكسيم، بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية، ترجمة: حميد العواضي، القسم الأول، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠١م، ص٣٦ – ٣٧؛ العبادي، اليمن، ص١٧٧ –١٨١؛ الجرو، موجز، ص ١٨٢؛ باوزير، الحملة، ص٢٤٣؛ الشيبة، دراسات، ص ٢٢؛ الادهم، بلاد اليمن، ص ١٦٦ –١٧٣ .

(٢) انظر: Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4, |. Ch 24 ,p.357359 جبرا، بلاد العرب، ص٢٦٥ – ٢٦٦؛ رودنسون، بلاد اليمن، ص ٣٦؛ العبادي، اليمن، ١٧٩ –١٨٥؛ الجرو، موجز، ص ١٨٢؛ باوزير، الحملة، ص ٢٤٣؛ الشيبة، دراسات، ص ٢٢ .

(٣) الجرو، موجز، ص١٨٤؛ باوزير، الحملة، ص٢٤٣؛ الارياني، حول، ص٦٣؛ الشيبة، دراسات، ص٢٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الملاحة فيه أكثر من الوزير سيلايوس، أما اختياره لطريق البحر، فيعود سبب ذلك لأنه الأسهل والأسرع لتحرك جنود الحملة نحو هدفهم من الطريق البري من مصر إلى بلاد الأنباط لطول مسافته.

لذلك ما حدث للأسطول بعد إبحاره من مصر من تدمير وغرق للعديد من سفنه بمن فيها، فإن المسؤول عنه قائد الحملة جالوس الذي اتسم بعدم الكفأة في قيادة البحر(١)، ودليل ذلك عدم اختياره مرشدين بحريين من الرومان يدلون سفن الحملة على الطريق السليم دون الوقوع في الشعاب المرجانية، ولا يستبعد إن من أسباب غرق بعض سفن الحملة قبل وصولها إلى ميناء الأنباط رداءة بناء بعض هذه السفن للاستعجال في صناعتها من قبل جالوس بعد أن بناء ٨٠ سفينة حربية ثم غير خطته وبناء ١٣٠ سفينة للحمل(٢)، أو أن جالوس حمل السفن الغارقة أكثر من حمولتها وكل ذلك تسبب في غرق العديد منها قبل وصولها إلى ميناء لويكة كومة .

أما بالنسبة لوصول جنود الحملة مرضى إلى ميناء لويكة كومة، فإنه ليس خطأ سيلايوس وخيانته، بل خطأ القائد جالوس الذي زود جنوده بنباتات ضارة و مياه ملوثة غير صالحة للشرب تم استخدامها في طعامهم أثناء وجودهم في البحر مما أصابهم بالمرض(٣) .

ومع ذلك فإن عدم معرفة جالوس بطبيعة البحر الأحمر وكذلك غرق بعض سفنه في هذا البحر ووصول جنوده مرضى إلى ميناء لويكه كومة، كل ذلك ليس

(١) الشيبة، تاريخ، ص ٢٢ .

(٢) Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. ch 23, p355-357. جبرا، بلاد العرب، ص ٢٦٤؛ الادهم، بلاد اليمن، ١٦٧؛ العبادي، اليمن، ص ١٧٨ .

(٣) انظر: Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. ch 24: p357. جبرا، بلاد اليمن، ٢٦٥؛ الادهم، بلاد اليمن، ص ١٧٠؛ العبادي، اليمن، ص ١٨٠ .

عوامل لفشل الحملة، لأنه لم يؤثر على عدد أفرادها ، بدليل مواصلة الحملة لسيرها نحو العربية السعيدة بعد تعافي الجنود من الأمراض التي أصيبوا بها، دون الحصول على مدد جديد من مصر. ولعل تأثير عامل مرض الجنود على الحملة هو التأخير فقط في زمن رحيل الحملة من ميناء لويكة كومة إلى العربية السعيدة وهو تأثير هامشي، فبدلاً من الرحيل في أواخر الصيف وهو وقت غير مناسب للسير في صحاري الجزيرة العربية، تم ذلك في الربيع وهو فصل مناسب للسير في هذه الصحاري لاعتداله، لذلك كان هذا التأخير في صالح الحملة وسيرها نحو هدفها ولم يكن له أي دور في فشلها.

أما بالنسبة للطريق البري ومشقته الذي قاد سيلايوس الحملة عبره إلى العربية السعيدة، فإن هذا الوزير لم يعرض جنود الحملة للموت في هذا الطريق بعد مغادرتهم ميناء لويكه كومة،والدليل على ذلك عدم ذكر سترابو أن عدد كبير من الجنود هلكوا في هذه الطريق لمشقتها، وكذلك استمرارهم في سيرهم نحو هدفهم وهو العربية السعيدة ووصولهم إليها، مما يدل على عدم موت الكثير منهم بسبب مشقة الطريق وتغلبهم على تلك المشاق .

أما اتهام سيلاوس من قبل سترابو بانه قاد الحملة في طريق الذهاب لمدة ٦ أشهر، فهذا الأمر كان في صالح الحملة وجنودها وليس العكس، حيث أن طول زمن السير يدل أن سيلايوس لم يرهق الجنود في هذه المرحلة بالسير ليل ونهار، وكذلك حجب أخبار الحملة عن سكان العربية السعيدة لسيرها في دروب غير معروفة، ويؤكد ذلك وصول هؤلاء الجنود إلى العربية السعيدة وهم ينعمون بالحيوية والنشاط، ودليل ذلك هجوم جنود الرومان مباشرة على مدينة نجران بعد وصولهم إليها ونجاحهم في السيطرة عليها بعد فرار حاكمها منها[١] .

(١) انظر: Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. ch 24: p. 361. جبرا، بلاد العرب، ص ٢٦٦؛ الأدهم، بلاد اليمن، ص ١٧١؛ العبادي، اليمن، ص ١٨١.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

من كل ما تقدم نجد أن سيلايوس رغم اتهامه بالخيانة من قبل سترابو لم يكن سبب في فشل الحملة، وإن كل التهم التي وجهت إليه ليس له دليل من الواقع، لنجاح هذا الوزير في إيصال جنود الحملة الرومانية إلى العربية السعيدة، وهم في حالة جيدة ودون خسائر بشرية أثناء زحفهم من ميناء لويكة كومة في أرض الأنباط حتى وصولهم إلى العربية السعيدة لعدم وجود دليل على ذلك .

٢ – العوامل المتعلقة بالطبيعة الصحراوية لبلاد العرب ومناعتها والمسالك الوعرة والأمراض والمشقة والمجاعة ونقص المياه:

اعتقد سترابو والباحثين المحدثين أن هذه العوامل سبب في فشل الحملة، لكن هذا القول ليس فيه قدر كبير من الصحة، فبالنسبة للطبيعة الصحراوية لبلاد العرب ومناعتها والمسالك الوعرة، فأنها لم تكن عائقًا وسببًا لهزيمة الحملة، ودليل ذلك وصول جنود الحملة وهم أول الغزاة الذين اخترقوا بنجاح صحاري الجزيرة العربية في الشمال إلى العربية السعيدة في الجنوب، ولم تقف الطبيعة الصحراوية لبلاد العرب حاجزاً منيعًا أمام تقدمهم صوب هدفهم، ومن ثم دفعتهم للعودة إلى مصر قبل الوصول للعربية السعيدة.

أما بالنسبة للأمراض والمشقة فقد تعافى جنود الحملة من الأمراض التي أصيبوا بها في الرحلة البحرية من مصر إلى ميناء لويكة كومة النبطي بعد قضاء جالوس الصيف والشتاء لمعالجة الجرحى في هذا الميناء، وبعد ذلك لم تفتك الأوبئة والأمراض بأكثرهم وهم في طريق الذهاب للعربية السعيدة، ودليل ذلك وصول جنود الحملة وهم بصحة جيدة وعددهم كثير تشهد عليه سيطرتهم على عاصمة نجران من أول هجوم على المدينة وعدم مقاومة حاكم نجران لهم وهروبه من أمامهم .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

كذلك مما يدل على العدد الكبير للرومان وأنهم لم يكونوا يعانون من الأمراض ومشقة الطريق، ذلك الحشد من البربر (العرب) الذي تصدوا للحملة بعد تقدمها من نجران نحو منطقة الجوف واشتبكوا معهم في معركة النهر الذي لم يسمه سترابو وهو غيل الخارد[١]، والذي ذكر سترابو أن قتلاهم بلغ عشرة آلاف، ورغم المبالغة في هذا العدد، لكن لو أن عدد الرومان قليلاً بسبب موت كثير منهم في الطريق بسبب الأمراض والإرهاق والتعب لما كان هذا الحشد العربي بهذه الضخامة، كل ذلك يثبت أن الرومان في طريقهم للعربية السعيدة لم يعانوا من الأمراض ومشقة الطريق بشكل أثر على حملتهم وتقدمها في الطريق إلى هذه المنطقة أو أثناء السير لاحتلال مدنها، لذلك هذا القول ليس سبباً من أسباب فشل الحملة الرومانية على العربية السعيدة .

أما عن المجاعة كسبب لفشل الحملة فلا دليل عليه، لأن جنود الحملة كانوا مزودين بما يحتاجونه من ومؤن خلال سيرهم لمدة ٦ أشهر في صحاري شمال الجزيرة العربية حتى وصولهم إلى مدينة أثرولا (يثل) في الجوف وتم احتلالها، وبعدها قام هذا القائد بجمع الزاد لجنوده الذي تألف من الحبوب والتمر والمؤن[٢].

أما أن نقص المياه كان أحد أسباب فشل الحملة الرومانية على العربية السعيدة أثناء تقدمها نحو هذه المنطقة، فلا صحة لذلك لأن جنود الحملة بعد انطلاقهم من ميناء لويكه كومة في الشمال وسيرهم في صحاري الجزيرة العربية حتى وصلوا إلى العربية السعيدة في الجنوب، حملوا معهم ما يحتاجونه من مياه على ظهور

(١) انظر: جواد علي، المفصل، ج٢، ص ٥٠؛ الجرو، موجز التاريخ السياسي، ص ١٨١؛ الشيبة، دراسات، ص ٢٢ .

(٢) Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. ch 24 ,p,361 , جبرا، بلاد العرب، ص٢٦٦؛ الأدهم، بلاد اليمن، ص ١٧٢؛ العبادي، اليمن، ص ١٨٤ .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الجمال[١]، وكانت هذه الوسيلة أحد أهم أسباب وصول جنود الحملة بأعداد كبيرة إلى العربية السعيدة، ولولا ذلك لهلك معظمهم أو كلهم من العطش في صحاري الجزيرة العربية وهم في طريق الذهاب إلى العربية السعيدة .

أما نقص المياه بعد وصول الحملة إلى مدينة مارسيابا (مأرب) كان سبباً في فشل الحملة ورحيلها إلى مصر، فهذا سبب غير حقيقي لإنهاء مهمة هذه الحملة في العربية السعيدة، في حين كان بإمكان جالوس التزود بالماء من سد مأرب، الذي كان يبعد ٨ كيلومترات عن أسوار مأرب[٢]، والذي سيوفر لهم الماء الوفير[٣]. وكذلك يمكن حل مشكلة المياه عن طريق حفر الآبار لغنى منطقة مأرب التي يغذيها وادي أذنه بالمياه، وبالتالي يواصل حصاره للمدينة حتى يفتحها، لذلك لا يعد هذا العامل سبباً لفشل الحملة الرومانية في العربية السعيدة .

أخيراً يمكن القول أن هذه العوامل مجتمعة لم تؤثر على جنود الحملة أو تقلل من عددهم أثناء رحلة الذهاب، ولعل هذه الصعاب حدثت لهم عند عودتهم مهزومين إلى مصر، ويؤكد ذلك قول سترابو أثناء وصفه لعودة جالوس إلى مصر( حتى وصل (الإسكندرية) ومعه من استطاع إنقاذه ممن تبقى من جنده، أما البقية فقد ماتوا، لا بفعل الحروب، بل بفعل الأمراض والمشقة والمجاعة والمسالك الوعرة)[٤].

---

(١) انظر: Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. Ch 24,p359.

جبرا، بلاد العرب، ص ٢٦٥؛ الأدهم، بلاد اليمن، ص ١٧١؛ العبادي، اليمن، ص ١٨١ .

(٢)الارياني، حول الغزو الروماني، ص ٦٣ .

(٣) بلاي فير، تاريخ، ص ٥٠ .

(٤) Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. ch 24 ,p363.

جبرا، بلاد العرب، ص ٢٦٧؛ الأدهم، بلاد اليمن، ص١٧٤ ؛ العبادي، اليمن، ص ١٨٨ .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

٣- العوامل المتعلقة بمقاومة سكان العربية السعيدة وتشمل حروب هؤلاء السكان مع الرومان ومتانة تحصينات المدن:

أما قول بعض الباحثين بأن المقاومة كان لها دور فعال في إلحاق الهزيمة بالرومان وبالتالي انكسار حملتهم بسببها وعودتها خائبة إلى مصر، والبعض دلل على تلك المقاومة بالمعركة التي أشار إليها سترابو ودارت رحاها حول نهر في منطقة الجوف ولعله وادي الخارد[١]، فإنه قول بعيد عن الصحة،لأن هذه المقاومة كانت ضعيفة وغير فعالة، ودليل ذلك هروب حاكم نجران من أمامهم ولم يقاتلهم، وهزيمة البربر ولعلهم السبئيين وحلفائهم من سكان مدن الجوف في المعركة الوحيدة التي خاضوها عند وادي الخارد، ثم اخذ جالوس مدينة اسكا بعد هروب ملكها ثم اقتحم اثرولا (يثل) وسيطر عليها دون مقاومة تذكر[٢]، وبعد ذلك انتهت مقاومة العرب للرومان لعدم قيامهم بالدخول في معركة أخرى مع الرومان، وكل ذلك يثبت أن مقاومة السبئيين وحلفائهم للرومان أثناء تقدمهم من نجران إلى مأرب لم تكن أحد أسباب هزيمة الرومان في هذه المرحلة من مسير الحملة في أراضي العربية السعيدة .

وحتى عندما رفع اليوس جالوس الحصار عن مأرب بحسب ما ذكر سترابو لم يكن ذلك بسبب مقاومة السبئيين وقوة وحصانة عاصمتهم مدينة مأرب مما حماها من اجتياح الرومان لها عندما هاجموها وحاصروها ورفعوا الحصار عنها، وبالتالي يعد تحصين هذه المدينة أحد أسباب هزيمة الحملة الرومانية وعودتها إلى مصر لعجز جنودها عن اقتحام تلك الأسوار، بل يعود سبب ذلك إلى سعي جالوس

(١) انظر: باوزير، الحملة الرومانية، ص ٢٤٣؛ الجرو، موجز، ص ١٨؛ الشيبة، دراسات، ص ٢٢ .

(٢) انظر: - Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. ch 24 ,p.363 جبرا، بلاد العرب، ص ٢٦٦؛ الادهم، بلاد اليمن، ص ١٧٢؛ العبادي، اليمن، ص١٨٤ .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للوصول إلى بلاد الطيوب[١]، التي أخبره الأسرى لديه وهو محاصر لمأرب إنها لا تبعد سوى مسيرة يومين عن هذه المدينة، لذلك لم يهتم بالسيطرة على مأرب ورحل عنها للبحث عن بلاد الطيوب، لذلك لا تعد مقاومة الرومان وحصانة مأرب في هذه المرحلة سببًا رئيسًا من أسباب فشل الحملة الرومانية على العربية السعيدة.

أما القول إن سبب فشل الحملة الرومانية على اليمن يعود إلى هزيمة هذه الحملة وانكسارها لذلك عند اجتيازها لأراضي اليمن لابد أن تتخطفها القبائل وتمزقها تمزيق النسور للفرائس [٢]، ولكن القائل بهذا الرأي لم يحدد كيفية حدوث الهزيمة بهذه الحملة، وكيف فتكت بجنودها القبائل وهي عائدة إلى مصر؟ وقد بينا أن الحملة لم تنكسر عند مأرب بسبب قوة تحصين هذه المدينة ومقاومة السبئيين للرومان وإلحاق الهزيمة بهم عند أسوارها، لذلك يمكن القول إن رجال القبائل لم يتخطفوا جنود الحملة لعدم عودتهم من مأرب إلى مصر في هذه المرحلة من مسيرها في العربية السعيدة، كما ذكرنا سلفًا.

أما إذا افترضنا أن رجال القبائل تخطفوا جنود الحملة الرومانية بعد فشلهم في الوصول إلى بلاد الطيوب وعودتهم إلى مصر، فهذا الرأي كذلك يضعفه قول بليني بأن جالوس دمر العديد من المدن منها مأرب[٣]، أذن لم تكن هذه العوامل مجتمعة هي سبب في هزيمة الحملة الرومانية .

---

(١) لعلها أراضي قتبان وأوسان المنتجة للمر، فلا يوجد أراضي تبعد يومين عن مأرب سوى أرض قتبان ودليل ذلك توجهه إلى مدينة كريبتا (حريب) لقول بليني أنها أبعد ما وصل إليه من البلاد انظر: pliny , Natural History , vol,1v.B.v1,- ch 33-,p.460
محمود شكري، بلاد العرب، ج١، ص ١٣٩؛ العبادي، اليمن، ص ٢٠٧ .

(٢) الارياني، حول، ص ٦٣ .

(٣) pliny , Natural History , vol,1v.B.v1,- ch 33-,p.460
محمود شكري، بلاد العرب، ج١، ص ١٣٩؛ العبادي، اليمن، ص٢٠٦ .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

## المبحث الثاني

## دور القتبانيين والسبئيين وأتباعهم من سكان مدن الجوف ونجران في فشل حملة حملة اليوس جالوس الروماني على العربية السعيدة عام ٢٤ ق.م

ذكر سترابو أن جالوس هاجم مدينة مارسيابا (مأرب) وحاصرها لـ (٦) أيام، غير أن احتياجه للماء اضطره إلى رفع الحصار عنها، ولم يكن حينئذ بينه وبين بلاد الطيوب سوى مسيرة يومين حسب ما أخبره الأسرى لديه، وبعد ذلك ذكر أن الحملة عادت إلى مصر.

لكن لا نعتقد أن حملة عسكرية ضخمة أمر بالإعداد لها الامبراطور الروماني أغسطس قيصر، وإرسالها للسيطرة على العربية السعيدة المنتجة لأغلى سلع العصر آنذاك المر والبخور واللبان، وكذلك السيطرة على تجارة سلع شرق أسيا وشرق أفريقيا القادمة بحراً إلى هذه المنطقة والمرغوبة لدى الرومان، وقطعت مسافة طويلة بدءاً من مصر وانتهاءً بجنوب الجزيرة العربية، أن تتراجع فجأة وتنسحب إلى مصر بسبب الحاجة إلى الماء، بعد أن صارت على بعد يومين من هدفها وهو بلاد الطيوب، بينما المياه متوفرة بكثرة في سد مأرب الذي لا يبعد سوى ٨ كيلومترات عن مأرب[١]، دون أن تكون هناك أسباب أخرى دفعت قائد هذه الحملة حتى بعدم الاحتفاظ بالمناطق التي سيطر عليها قبل وصوله وحصاره لمدينة مارسيابا (مأرب) وهي نجران ومدن الجوف، والانسحاب من العربية السعيدة غير ما ذكره سترابو من أسباب لعودتها فاشلة إلى مصر، وكذلك غير الأسباب التي ذكرها الباحثون المحدثون الذين استنتجوا أسباب فشل الحملة كذلك مما ذكره سترابو

(١) الارياني، حول الغزو الروماني، ص ٦٣؛ بلاي فير، تاريخ، ص ٥٠ .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

من معلومات حول هذه الحملة، وهذه الأسباب قد بينا سابقًا بأنها ليست الأسباب الحقيقية لهزيمة هذه الحملة وفشلها وبالتالي تراجعها إلى مصر .

أذن كيف فشلت هذه الحملة عن تحقيق هدفها في السيطرة على العربية السعيدة؟ وما هي الأسباب التي ساعدت على فشل مهمة الحملة؟ بالعودة إلى حصار جالوس لمدينة مارسيابا (مأرب) الذي استمر ٦ أيام، وعدم فتحها من قبل هذا القائد، لا يستبعد أن جالوس قد ترك حصار هذه المدينة وتقدم بجنوده للسيطرة على بلاد الطيوب التي لا تبعد سوى مسيرة يومين من مارسيابا حسب ما أخبره الأسرى لديه، فوجود جنود الحملة على مسافة يومين من هدفهم بلاد الطيوب، لاشك أنه أمر مغر لقائد مثل جالوس بأن يترك حصار مأرب ويواصل زحفه باتجاه الجنوب الشرقي ووصل بنتيجة ذلك إلى مدينة كريبتا (حريب) القتبانية، والتي لم يذكرها سترابو في كتاباته عن الحملة الرومانية، وبليني هو الوحيد الذي ذكرها قائلاً أن هذه المدينة هي أبعد ما وصل إليه جالوس من البلاد[١]، فما الذي حدث بين الرومان والقتبانيين من سكان حريب في هذه المدينة ثم تطور ليلحق الهزيمة الكاملة بهذه الحملة ويفشلها في تحقيق مهامها ؟

## أولاً - دور القتبانيين في إفشال الحملة الرومانية:

### معركة كريبتا (حريب) بين الرومان والقتبانيين ونتائجها:-

لا يستبعد أن في مدينة حريب حدثت معركة كبيرة بين الرومان والقتبانيين الذين تتبعهم هذه المدينة، ونستنتج ذلك من تدمير جالوس لهذه المدينة كما ذكر بليني[٢]،

(١) pliny , Natural History , vol,1v.B.v1,- ch 33-,p.460
محمود شكري، بلاد العرب، ج١، ص ١٣٩؛ العبادي، اليمن، ص٢٠٧ .

(٢) pliny , Natural History , vol,1v.B.v1,- ch 33-,p.460
محمود شكري، بلاد العرب، ج١، ص ١٣٩؛ العبادي، اليمن، ص٢٠٧ .

ولعل في هذه المعركة استبسل القتبانيون ودافعوا عن مدينتهم بشدة، ورغم اقتحام جالوس لأسوار المدينة وقيامه بتدميرها للقضاء على مقاومة القتبانيين إلا أن الرومان عجزوا عن تحقيق النصر على القتبانيون الذين استطاعوا صد الرومان ومنعهم من تحقيق النصر على قتبان في معركة كريبتا(حريب)، ونستدل على ذلك من عدم استطاعة الرومان التقدم أبعد من هذه المدينة كما ذكر ذلك بليني، وبالتالي شكل هذا الحدث بداية لفشل جالوس في السيطرة على منطقة بلاد الطيوب في الداخل، كما كان لهذه المعركة نتائج وخيمة على مستقبل هذه الحملة في العربية السعيدة ساعدت في نهاية المطاف على هزيمة وفشل هذه الحملة .وتتلخص تلك النتائج في الآتي:-

**أ-تمرد بعض سكان مدن الجوف على الرومان بدعم من حاكم مأرب اليساروس:-**

ومهما كان الأمر، لعل من أهم نتائج معركة كريبتا بين القتبانيين والرومان كانت تمرد بعض سكان مدن الجوف على الرومان، وكان سبب هذا التمرد عجز الرومان عن القضاء على مقاومة القتبانيين بعد اجتياحهم لمدينة كريبتا (جريب)، مما أسقط هيبتهم من نفوس حكام مأرب ومدن الجوف وأغراهم ذلك بالتمرد ضد الرومان .

وكان هذا التمرد بتحريض من حاكم مأرب اليساروس(اليشرح بن سمه علي)، الذي خسر نجران ثم مدن الجوف التي سيطر عليها الرومان بعد هزيمته في معركة غيل الخارد، وقد تنفس هذا الحاكم الصعداء بعد رفع الرومان حصارهم عن مأرب، ثم تحين الفرص للقضاء على النفوذ الروماني في الأراضي التابعة لسبأ في منطقة الجوف ونجران، واستقل ابتعاد الحملة الرومانية عن مأرب نحو مدينة كريبتا(حريب)، وانشغال الرومان بصراعهم مع القتبانيين في هذه المدينة، وعدم استطاعة جالوس وجنوده تحقيق النصر عليهم، عند ذلك رأى أن الفرصة مناسبة لتخلص مدن الجوف ونجران التابعة له من سيطرة الرومان، فقام بتحريض



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

حكام نجرانا(نجران) و (نيستوس) (نشن)، (ايسكا) (نشق)، (ماجوسوس)، (كامينا قوس) (كمنه)، (لابيتيا)، للعودة من مأرب إلى مدنهم خلسة وإعلان التمرد على الرومان .

وقد نجح أولئك الحكام في استعادة مدنهم من الرومان بمساعدة سكان هذه المدن لعدم وجود حاميات عسكرية رومانية فيها، حيث اقتصر الوجود العسكري الروماني على مدينة اثرولا(يثل) فقط التي وضع بها جالوس حامية رومانية وحيدة كما ذكر ذلك سترابو[١]، وبهذا التمرد خرجت هذه المدن عن سيطرة الرومان، وصارت حملتهم محاصرة بين القتبانيين في الجنوب والسبئيين وأنصارهم في الشمال.

ونستدل على هذا التمرد من التدمير الذي قام به جالوس لمدن (نجرانا) (نجران) و(نيستوس) (نشن)، (نيسكا) (نشق)، (ماجوسوس)، (كامينا قوس) (كمنه)، (لابيتيا)، وكذلك لمدينة (مأرسيابا) (مأرب)[٢]، رغم أنه لم يلحق الأذى ببعض هذه المدن أثناء زحفه وتقدمه في أرض العربية السعيدة، ودليل ذلك ما ذكره سترابو أن جالوس سيطر فقط على نجران واسكا (نشق) و(اثرولا) (يثل) وحاصر(مارسيابا) (مأرب) ولم يدمر هذه المدن، وكذلك مما ذكره سترابو من حدوث معركة في نجران عند حديثه عن عودة الحملة نحو مصر[٣] .

---

(١) انظر: Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. Ch 24 ,p.361.
جبرا، بلاد العرب، ص ٢٦٦؛ الأدهم، بلاد اليمن، ص ١٧٢؛ العبادي، اليمن، ص ١٨٤ .

(٢) انظر: pliny , Natural History , vol,1v.B.v1,- ch 33-,p.460
محمود شكري، بلاد العرب، ج١، ص ١٣٩؛ العبادي، اليمن، ص٢٠٦ .

(٣) انظر: Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. Ch 24 ,p .361,363.
جبرا، بلاد العرب، ص ٢٦٦؛ الأدهم، بلاد اليمن، ص١٧١ – ١٧٣؛ العبادي، اليمن، ص١٨١ –١٨٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

**ب – توقف جالوس عن التقدم وعودة الحملة من كريبتا للقضاء على تمرد السبئيين وأتباعهم من سكان مدن الجوف ونجران:**

كانت النتيجة الثانية لمعركة كريبتا وفشل الرومان في الحاق الهزيمة بالقتبانيين في هذه المدينة، هي توقف الحملة الرومانية قرب مدينة كريبتا، ويثبت ذلك قول بليني أن هذه المدينة كانت أبعد ما وصل إليه من البلاد .

ويعود سبب ذلك التوقف إلى مقاومة القتبانيين لجالوس وجنوده في مدينة كريبتا(حريب)،وسماع جالوس بتمرد بعض سكان مدن الجوف، مما دفعه لوقف الحرب مع القتبانيين والتخلي عن زحفه نحو بلاد الطيوب، وعاد مرة أخرى من كريبتا (حريب) نحو مأرب ومدن الجوف الخارجة عن نفوذه، ونستدل على هذه العودة من تدمير جالوس بحسب ما ذكره بليني لمدينة مأرب وبعض مدن الجوف ونجران[1]، أما القتبانيين فقد أكتفوا بما حققوه من نصر ولم يطاردوا الرومان بعد انسحابهم من كريبتا (حريب) لخروجهم من أراضيهم وزوال خطرهم على دولتهم، وكان دورهم في قتال الرومان عامل فعال ورئيسي في القضاء على حلم الرومان في السيطرة على بلاد الطيوب وبداية لفشل وهزيمة حملتهم في العربية السعيدة .

**ثانياً - دور السبئيين وأتباعهم من سكان مدن الجوف في فشل حملة اليوس جالوس الروماني على العربية السعيدة:**

لعل حاكم مأرب وأتباعه من حكام مدن الجوف قد بدأو يعدون العدة منذ لحظة استعادتهم لمدن: (نجرانا) (نجران) و(نيستوس) (نشن)، (نيسكا) (نشق)، (ماجوسوس)، (كامينا قوس) (كمنه)، (لابيتيا)، لمواجهة ردة الفعل الرومانية

(١) انظر: pliny , Natural History , vol,1v.B.v1,- ch 33-,p.460
محمود شكري، بلاد العرب، ج١، ص١٣٩؛ العبادي، اليمن، ص٢٠٦ .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ضدهم، لذلك قاموا بجمع المؤن والسلاح وحشد الجنود والمتطوعين من سكان هذه المدن للدفاع عنها وتحصنوا خلف أسوار مدنهم انتظاراً لهجوم الرومان عليهم.

أما جالوس فبعد عودته مع جنوده من كريبتا باتجاه مأرب ومدن الجوف قام هذا القائد بخوض حروب طاحنة ضد المتمردين على روما من أجل تحقيق هدفين أولاً: تأديب المتمردين على الرومان من سكان هذه المناطق، وثانياً إعادة نفوذ الرومان مرة أخرى في المدن المتمردة عليه، ونستدل على هذه الحروب من الأعمال الوحشية التي قام بها هذا القائد وجنوده في هذه المناطق والتي تتمثل بعمليات تدمير المدن فيها كما ذكر ذلك بليني[١]. وهذه الأعمال الانتقامية التي قام بها الرومان لم يذكرها سترابو صراحة في ما كتبه حول الحملة، كذلك لم ينسبها لجالوس قائد الحملة، بل برأه منها وحملها لسيلايوس دليل الحملة وأنها بإيعاز منه بالقول: ( وأغلب الظن عندي أنه كان يهدف بذلك إلى دراسة حالة البلاد كـ(جاسوس)، وتحطيم العديد من المدن والقبائل بمساعدة الرومان، فإذا ما فتكت بـ (الرومان) الأمراض والمجاعة والمتاعب وغيرها من الشرور التي كان قد بيتها لهم أعلن نفسه سيداً على البلاد كاملة)[٢] .

لكن هذا الاتهام فيه الكثير من المبالغة حيث لا يستطيع سيلايوس السيطرة على العربية السعيدة ويعلن نفسه حاكماً عليها حتى وإن فشل الرومان بمسعاهم هذا، لعدم وجود العدد الكافي من الجنود الأنباط والذين لا يزيد عددهم عن ألف

(١) انظر:: pliny , Natural History , vol,1v.B.v1,- ch 33-,p.460
محمود شكري، بلاد العرب، ج١، ص ١٣٩؛ العبادي، اليمن، ص٢٠٦-٢٠٧ .

(٢) Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. Ch ,p.357. 24 جبرا، بلاد العرب، ص ٢٦٥؛ الادهم، بلاد اليمن، ص١٦٩؛ العبادي، اليمن، ص ١٧٩ -١٨٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

في صفوف الحملة الرومانية[١]، وهذا العدد لا يستطيع به السيطرة على العربية السعيدة، والتي لم تستطع حملة الرومان وعددها عشرة آلاف جندي من تحقيق هذا المشروع، أما إذا كان القصد من قول سترابو، أن سيلايوس بعد أن يهزم الرومان في العربية السعيدة ويفشلوا في تحقيق هدفهم بالسيطرة على هذه البلاد، سوف يعود بعد ذلك بجيش من الأنباط للسيطرة على هذه البلاد، فإن هذا المسعى مستحيل تحقيقه لأن الرومان لن يمكنوه مما فشلوا في تحقيقه، ودليل ذلك النهاية المأساوية لسيلايوس بعد عودته مع الحملة الرومانية الفاشلة، حيث تمت محاكمته بتهمة الخيانة في روما وحكم عليه الرومان بالإعدام وقطع رأسه[٢]، عموماً الحرب ضد المتمردين على روما في العربية السعيدة فقد مرت بالمراحل التالية:

**١ – الحرب على مدينة مارسيابا (مأرب):**

كانت أولى المدن التي تعرضت لغضب جالوس مدينة مأرب الواقعة على طريق الرومان الزاحفين من مدينة كريبتا إلى الجوف، وبما أن هذه المدينة كانت محصنة ولم يقتحمها الرومان أثناء تقدمهم باتجاه كريبتا، لذلك أراد جالوس إخضاعها بالقوة للرومان وتأديب حاكمها الياساروس (اليشرح)، الذي قوض نفوذ الرومان في الجوف، فشن الحرب عليها ودارت بقربها معارك شديدة بين الطرفين استطاع فيها الرومان اختراق أسوارها ودخول المدينة وهزيمة حاكمها وجموعه والسيطرة عليها ومن ثم تدميرها[٣]، ولعل سبب ذلك يعود لرغبة هذا القائد في الانتقام من

(١) Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. Ch 23,p.357.
جبرا، بلاد العرب، ص٢٦٤؛ الأدهم، بلاد اليمن، ص ١٦٨؛ العبادي، اليمن، ص ١٧٨ .

(٢) Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. Ch 24,p.363
انظر: جبرا، بلاد العرب، ص ٢٦٧؛ الأدهم، بلاد اليمن، ص١٧٤؛ مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ص٣١١؛ باوزير، الحملة الرومانية، ص ٢٤٨ .

(٣) انظر:pliny , Natural History , vol,1v.B.v1,- ch 33-,p.460
محمود شكري، بلاد العرب، ج١، ص ١٣٩؛ العبادي، اليمن، ص٢٠٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

سكان هذه المدينة لأن حاكمها الياساروس (اليشرح) أول من دعاء وحرض أتباعه حكام بعض مدن الجوف للتمرد على الرومان، ونجح في ذلك، لذلك أمر جالوس جنوده بتدمير المدينة بعد السيطرة عليها .

كذلك دمر مأرب لتامين تقدم جيشه نحو مدن الجوف المتمردة على الرومان من الهجمات المرتدة التي لا يستبعد قيام السبئيين بها ضد الرومان في حالة ترك المدينة بيد سكانها، ولعل هذا الدرس تعلمه جالوس عندما ترك هذه المدينة بعد حصاره الأول لها دون أن يقتحمها، مما شجع حاكمها الياساروس (اليشرح) مع ابتعاد الحملة الرومانية عن مأرب نحو مدينة كريبتا (حريب)، على تحريض حكام مدن الجوف الخاضعة للرومان للتمرد عليهم والقضاء على نفوذهم في هذه المدن.

ولعل الرومان والسبئيين خسروا الكثير من جنودهم في هذه المواجهة العنيفة بينهم في مدينة مأرب، أما الياساروس(اليشرح) حاكم هذه المدينة وجموع من سكانها ممن سلم من القتل في المعركة فقد رحلوا عنها بعد هزيمتهم وخراب مدينتهم باتجاه مدن الجوف .

**٢ – الحرب ضد أتباع سبأ من سكان مدن الجوف:**

أما جالوس لعله بعد تدمير مأرب لم يبق مع جنوده في هذه المدينة،بل واصل سياسة التأديب لسكان المدن المتمردة عليه، فانطلق من مأرب بما تبقى من جنود الحملة وهاجم مدن لابيتا وكامينا قوس وماجوسوس ونيسكا ونيستوس وألحق بسكانها الهزيمة الواحدة تلو الأخرى وبسبب المقاومة الشديدة لسكان هذه المناطق ولكي لا تعود للتمرد على الرومان مرة أخرى، قام جالوس بتدمير كل تلك المدن بحسب ما ذكر بليني[١] .

(١) انظر:pliny , Natural History , vol,1v.B.v1,- ch 33-,p.460
محمود شكري، بلاد العرب، ج١، ص ١٣٩؛ العبادي، اليمن، ص٢٠٦.

أما الأسباب التي ساعدت جالوس وجنوده على إلحاق الهزيمة بهذه المدن على كثرتها،تعود إلى أتباع جالوس سياسة الحرب الخاطفة والسريعة والهجوم العنيف بكل جنود الرومان على تلك المدن مما نتج عنه تصدع أسوارها وانهزام المقاومين عنها، إضافة إلى أتباع المدافعين عن هذه المدن سياسة دفاع كل مدينة عن نفسها،ولعل حاكم مأرب الياساروس(اليشرح) هو من وجه بأتباع هذه السياسة الحربية مع الرومان ظنًا منه أن تحصن سكان كل مدينة خلف أسوارها ممكن أن يوقف الرومان ويجبرهم على الرحيل، معتمداً في ذلك على تجربته في مأرب عندما حاصرها الرومان ثم رفعوا الحصار عنها، وبذلك تتخلص هذه المدن من خطر الرومان، ومما دفعه لأتباع هذه الخطة اعتقاده أن المواجهة المباشرة للرومان ليست في صالح السبئيين وحلفائهم بعد معركة غيل الخارد التي هزموا فيها ،لكن هذه السياسة نفعت سكان مأرب عندما كان جالوس في عجلة من أمره للوصول إلى بلاد الطيوب، لذلك رفع الحصار عن مأرب، أما وإن جالوس يهاجم هذه المدن ويصر على حربها والسيطرة عليها فكانت هذه الخطة العسكرية عقيمة، لأنها شتت قوى المدافعين عن هذه المدن وسمحت للرومان بالاستفراد بها الواحدة تلو الأخرى، وبذلك ألحقت الهزيمة بها جميعًا من قبل الرومان، وبعد هذه الهزائم لعل حكام هذه المدن وبعض سكانها وحاكم مأرب ومن معه ممن ظل على قيد الحياة اتجهوا نحو نجران وهي أخر ملاذ لهم وتحصنوا بها انتظاراً للرومان .

رغم هزيمة السبئيين وبعض مدن الجوف في حربهم ضد الرومان، إلا أن تمردهم كانت له نتائج خطيرة على سير الحملة الرومانية في العربية، حيث اجبر ذلك التمرد الرومان على العودة من كريبتا نحو المناطق المتمردة، ولا يستبعد كذلك من نتائج هذا التمرد وقتال الرومان للمتمردين خسارة الرومان لعدد كبير من جنودهم في المعارك التي خاضوها ضد سكان المدن المتمردة، وكذلك نتج عن التمرد تدمير



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

جالوس لمدن الجوف مما حرم الحملة من الأغذية التي كانت تحصل عليها من هذه المدن مما أضعف من دافعية جالوس بعد ذلك للعودة نحو المناطق الداخلية فكان ذلك سبباً في فشل الحملة، أما أهم نتائج تمرد بعض مدن الجوف وقتال الرومان لهم مع سكان مأرب، أن إخضاعها تطلب جهود كبيرة من قبل جنود الحملة لتحقيق النصر عليها، مما أصابهم بالإرهاق والتعب لكثرة هذه المدن وتحصيناتها، وهذا انعكس سلباً على أداء أولئك الجنود في معركة نجران الحاسمة .

## ثالثاً - دور سكان نجران في فشل الحملة الرومانية:

### معركة نجران الثانية:-

لعل مدينة نجران كانت تتبع لسبأ قبل قدوم الحملة الرومانية، ولا يستبعد ذلك طالما وهذه الدولة قد مدت نفوذها إلى مدن الجوف الواقعة بالقرب من هذه المدينة، ومن ثم سيطرت على نجران لأهميتها بالنسبة لسبأ لوقوعها على طريق قوافلها نحو البحر المتوسط .

وأياً كان الأمر لعل نجران كانت من ضمن المدن التي تمردت على الرومان بتحريض من حاكم سبأ(اليساروس)(اليشرح)، وبسبب ذلك توجه أليها جالوس وجنوده بعد هزيمتهم لسكان مدن الجوف، وفي هذه المدينة دارت معركة كبيرة بين النجرانيين وحلفائهم من المنهزمين من مدن الجوف ومأرب والرومان، ونستدل على كل ذلك من قول بليني أنها من المدن التي دمرها جالوس[1]، وسترابو هو الوحيد الذي ذكر هذه المعركة بصورة عابرة ولم يعط أية معلومات عنها، علماً بأنه لم يقصد المعركة الأولى التي وقعت في هذه المنطقة عند وصول الحملة الرومانية إليها، فقد ذكر هذه المعركة بالقول (وصل -أي جالوس وجنود حملته-إلى مدينة

(١) انظر: pliny , Natural History , vol,1v.B.v1,- ch 33-,p.460
محمود شكري، بلاد العرب، ج١، ص ١٣٩؛ العبادي، اليمن، ص٢٠٦.

لـ( النجرانيين) وأرض خصبة جنحت للسلم، أذ فر ملكها وأخذت المدينة في أول هجوم عليها[١]، بينما هذه المعركة الثانية يرجع زمنها إلى فترة عودة الحملة الرومانية للقضاء على تمرد سكان مأرب ومدن الجوف ونجران على الرومان، بدليل قول سترابو أن جالوس بعد رحيله من مأرب وخلال تسعة أيام وصل إلى نجران حيث دارت المعركة[٢] .

وفيما يتعلق بسير وقائع معركة نجران الثانية فقد سكت سترابو عن ذكرها، لكن لعل في هذه المدينة احتشد حاكم مأرب بما تبقى معه من جنود ورجال مأرب وحكام مدن الجوف التي دمرها الرومان وما تبقى من فلول جنودهم وسكان هذه المدن لاسيما من الرجال الذين هربوا منها على إثر تخريبها من قبل الرومان، وشكلوا مع سكان نجران جبهة واحدة لحرب الرومان وصدهم عن المدينة، أما الرومان وبعد وصولهم إلى مدينة نجران فقد شنوا الحرب عليها، ودارت بالقرب من أسوارها رحى حرب شديدة بين الطرفين استطاع على إثرها الرومان دخول المدينة، لتستمر المعركة داخل المدينة، ونتج عنها تدميرها من قبل جالوس.

وقد سكت سترابو عن ذكر نتائج هذه المعركة، مما يدل أن نتيجتها لم تكن لصالح الرومان، رغم التدمير الذي ألحقه جالوس بالمدينة، ويمكن القول أنها انتهت بهزيمة الرومان، ونستدل على ذلك من الرحيل النهائي لجالوس وجنوده من العربية السعيدة بعد هذه المعركة والذي ذكره سترابو بالقول: وخلال تسعة أيام وصل إلى نجران حيث دارت المعركة، ومن هناك بلغ في اليوم الحادي عشر منطقة

(١) Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. Ch 24 ,p.361.
جبرا، بلاد العرب، ص ٢٦٦؛ العبادي، اليمن، ص١٨١ .

(٢) انظر: Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. Ch 24 ,p.363.
جبرا، بلاد العرب، ص ٢٦٦؛ العبادي، اليمن، ص ١٨٦ -١٨٧ .



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

تدعى(الآبار السبعة) سميت بذلك، لأن بها (سبعة) آبار ثم اتجه منها إلى مصر[١] .

ومن عوامل هزيمة الرومان في معركة نجران الثانية رعونة وتهور جالوس الذي زج بجنوده في معارك متتالية، اقتحموا فيها المدن ودمروها خلال مدة وجيزة، لا تتعدى ٩ أيام فبعد سيطرته على مأرب وتدميرها قاد جنوده باتجاه مدن الجوف وخلال هذه المدة القصيرة خاض أولئك الجنود حروب مستمرة مع سكان هذه المدن استطاعوا فيها تدمير مدن لابيتا وكامينا قوس وماجوسوس ونيسكا ونيستوس دون أن يسيطروا عليها، ثم وصل في اليوم التاسع إلى نجران ليخوض فيها معركته السادسة والأخيرة، أي أن جيش الرومان كان يخوض كل يوم ونصف معركة يدمر فيها مدينة .

وكل ذلك أنهك قواهم وقلل من عددهم بسبب قتل الكثير منهم في معاركهم في مأرب ومدن الجوف، وما أن حدثت معركة نجران حتى كان الجنود الرومان المهاجمون لهذه المدينة منهكين بسبب كثرة المعارك التي خاضوها لمدة تسعة أيام متواصلة، بينما المدافعون عن نجران كانوا اقل تعباً وإنهاكاً خاصة من سكانها مما ساعد على إلحاق الهزيمة بجالوس وجنوده في نجران، أما بالنسبة لأسباب انتصار العرب في هذه المعركة لعلها تعود إلى وقوف المدافعين عن نجران صفاً واحداً وقتالهم الرومان حتى إلحاق الهزيمة بهم، وهكذا كان دور سكان نجران حاسماً في هزيمة الحملة الرومانية، وكان من أهم نتائج هذه الهزيمة في نجران رحيل جالوس ومن تبقى معه من جنود الحملة من العربية السعيدة نهائياً إلى مصر وبذلك فشلت الحملة الرومانية في السيطرة على هذه المنطقة .

(١) انظر: Strabo ,The Geography of Strabo ,vol,V!!, Book XV1,4,. Ch 24 ,p.363. جبرا، بلاد العرب، ص ٢٦٦؛ الأدهم، بلاد اليمن، ص١٧٣ -١٧٤؛ العبادي، اليمن، ص ١٨٧ -١٨٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

**الخلاصة:**

في نهاية هذه الدراسة يمكن الخروج ببعض النتائج وهي تشكل الأسباب الحقيقية لفشل حملة القائد الروماني اليوس جالوس على العربية السعيدة، وهي كالآتي:

١ – أن كل التهم التي وجهت للدليل النبطي(سيلايوس) من قبل سترابو وغيره من الباحثين بأنه خان الحملة أثناء قيادته لها من ميناء لويكه كومة حتى وصولها للعربية السعيدة وكذلك كافة العوامل التي ذكرها سترابو والباحثون المحدثون مثل الطبيعة الصحراوية لبلاد العرب ومناعتها والأمراض والمشقة والمجاعة والمسالك الوعرة ونقص المياه، وقول بعض الباحثين المحدثين أن مقاومة العرب للحملة عند قيل الخارد، وكذلك التحصينات حول مدينة مأرب لم تكن هي الأسباب الحقيقية لفشل الحملة الرومانية على العربية السعيدة .

٢ – إن الأسباب الحقيقية لهزيمة حملة الرومان على العربية السعيدة، تكمن في الدور الفعال للقتبانيين وتصديهم للرومان في معركة كريبتا (حريب)، وعدم تمكن الرومان من تحقيق النصر عليهم، مما نتج عنه توقف زحف الحملة نحو بلاد الطيوب عند هذه المدينة، فكان هذا الدور بداية لفشل الحملة الرومانية .

٣– دور السبأيين لاسيما حاكم مأرب الذي استغل عجز الرومان عن تحقيق النصر على القتبانيين وبعد قواتهم عن مأرب وقيامه بتحريض حكام مدن الجوف و نجران المتحصنين معه خلف أسوار هذه المدينة لإعلان التمرد على الرومان ونجاحهم في السيطرة على مدنهم وإخراجها من نفوذ الرومان، مما نتج عنه ارتداد الحملة الرومانية من مدينة كريبتا (حريب) نحو مأرب فكان هذا التراجع أول انتكاسة للحملة في أراضي العربية السعيدة .

٤ – كثرة حروب الرومان في العربية السعيدة ضد القتبانيين في حريب، وكذلك للقضاء على تمرد مدن الجوف ونجران و تدمير الرومان لمدن كريبتا (حريب)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ومأرب ومدن الجوف، مما تسبب في قتل الكثير منهم في هذه المعارك، وإصابة من بقي منهم بالإرهاق والتعب، بسبب أتباعهم أسلوب الهجوم على هذه المدن المحصنة، وكل ذلك أضعف قواهم .

٥ – الدور الفعال والحاسم لسكان نجران ومن التحق بهم من السبأيين وأتباعهم من سكان مدن الجوف في إلحاق الهزيمة العسكرية بالرومان الذين هاجموا هذه المدينة، مما زاد من خسائر الرومان البشرية في هذه المعركة وتسبب ذلك في استحالة فرض نفوذهم مرة أخرى على هذه المدينة، كذلك وجهت هذه الهزيمة ضربة قوية لكل آمال جالوس في الاحتفاظ بالمناطق التي سيطر عليها من قبل، وبعد ذلك مواصلة سيره لتحقيق هدف روما في السيطرة على بلاد الطيوب في الداخل، لعدم وجود القوة الكافية من الجنود لفرض سلطان روما عليها، وكل ذلك تسبب في فشل مهمة جالوس في السيطرة على هذه المنطقة، فلم يكن أمامه وما تبقى من جنود الحملة إلا العودة خائبين إلى مصر دون تحقيق أهداف روما في العربية السعيدة .

٦ – اثبت دور السبأيين وحلفائهم في صراعهم مع الرومان وقوع جملة من الأخطاء التي ارتكبها جالوس في حق الحملة لاسيما عدم قيامه بالسيطرة على مأرب بعد سيطرته على بعض مدن الجوف، بسبب تسرع جالوس برفع الحصار عنها، بهدف السيطرة على بلاد الطيوب ، مما ساعد حاكم مأرب وأتباعه من حكام مدن الجوف ونجران من البقاء وتحين الفرص لضرب الرومان والتفكير في كيفية التخلص من احتلالهم لأراضي مدن الجوف ونجران، وكذلك عدم قيام جالوس بتوطيد نفوذ الرومان في المدن التي سيطر عليها في منطقة الجوف، حيث كان نفوذ الرومان ضعيفاً لوجود حامية عسكرية وحيدة في مدينة يثل، ولم يقم هذا القائد بوضع حاميات عسكرية رومانية قوية تفرض نفوذ روما على كل مدن الجوف

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

ونجران التي سيطر عليها، لذلك مع ابتعاد الحملة منها نحو مدينة كريبتا (حريب)، نجح حاكم مأرب بدفع حكام هذه المدن للتمرد على الرومان وبذلك خرجت هذه المدن عن نفوذ الرومان بسهولة، وكل ذلك أسهم في ارتداد الحملة من كريبتا لإعادة سيطرة الرومان مرة أخرى على هذه المناطق، مما عرض مهمة الحملة في نهاية المطاف للفشل، بسبب تصرفات جالوس غير الحكيمة في أدارة شؤون المناطق التي سيطر عليها، ومن الأخطاء التي ساعدت على فشل الحملة الرومانية على العربية السعيدة عدم توفر عوامل البقاء بعد تدمير جالوس لمدن الجوف التي تمد الجنود الرومان بالغذاء، وكذلك انعدام المدد العسكري والغذائي من مصر، لعدم قيام جالوس بمراسلة الامبراطور الروماني وطلب العون منه مما حرم الحملة من زيادة عدد أفرادها وتعويض خسائرها في الذخائر والرجال .

٧- نتج عن حرب الرومان للقتبانيين أثناء سعيهم للوصول إلى بلاد الطيوب احتشاد قبائل العربية السعيدة لحرب الرومان بعد سماعها بحروب هذه الحملة ضد قتبان وسبأ، ونستدل على ذلك مما ذكره بليني حول امتلاك حضرموت مقاتلين أشداء[١]، وهي من المناطق المستهدفة من قبل الرومان لوجود سلعة اللبان بها، وكل ذلك كان من العوامل التي دفعت جالوس وبقايا جنوده للعودة إلى مصر، لعدم استطاعتهم تحقيق النصر والتغلب على هذه القوى لضعف إمكانياتهم العسكرية والمادية بعد تدميرهم لمعظم مدن الجوف التي تمدهم بالغذاء وهزيمتهم في نجران.

٨ - ولعل من أسباب رحيل الحملة بعد وصولها إلى مدينة كريبتا (حريب) واصطدامهم مع القتبانيين معرفتهم بوجود بلاد الطيوب التي يسعى جالوس

(١) انظر:: pliny , Natural History , vol,1v.B.v1,- ch 33-,p.461
محمود شكري ، بلاد العرب، ج١، ص ١٣٩؛ العبادي، اليمن، ص٢٠٧.

للسيطرة عليها في مناطق بعيدة كقتبان وحضرموت في الداخل مما يصعب على بقايا الحملة السيطرة عليها لقلة عددهم وكثرة المناطق المعادية لهم في الطريق إليها، كل ذلك سرع برحيلهم مهزومين من العربية السعيدة.

وخلال فترة عودتهم إلى مصر التي استمرت شهرين كان بقايا جنود هذه الحملة يعانون من الإرهاق لمشقة السير السريع لمدة شهرين وكذلك من الجوع لقلة المؤن التي حملوها معهم من العربية السعيدة بعد تدميرهم لمدن الجوف التي كانت تمدهم بالغذاء، لذلك لا يستبعد موت كثير منهم في الطريق أثناء عودتهم و لم يسلم منهم إلا القليل وصلوا بسلام إلى مصر .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

سير الحملة الرومانية وعودتها مهزومة إلى مصر بعد حروبها مع القتبانيين والسبئيين واتباعهم من سكان مدن الجوف ونجران، المصدر نقلاً بتصرف عن ، الجرو ، موجز ، ص ١٨٣ .

مفتاح الخارطة:

+ معركة

. مدن

ـــــ خط سير الحملة أثناء عودتها من مدينة كريبتا(حريب) إلى مصر



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

## كشاف بمختصرات النقوش والرموز المستخدمة في الدراسة

| م | اسم النقوش | رمز النقوش |
|---|---|---|
| | مجموعة نقوش كوربوس:<br>Corpus Inscriptionum semiti carumir inscription sabaes et Himiariticas, continens vols, 1, 11, 111, 1889- 1932. | CIH |
| | مجموعة النقوش التي نشرها مطهر على الإرياني في كتابه تاريخ اليمن نقوش مسندية وتعليقات ط٢ ١٩٩٠م. | Er |
| | مجموعة النقوش التي نشرها أحمد حسين شرف الدين في كتابه تاريخ اليمن الثقافي. | Sh |
| | مجموعة نقوش جام المنشورة في:<br>a- Sabaean inscriptions from mahram Bilqis (Marib). | Ja |
| | مجموعة نقوش ربوتوار المنشورة في:<br>Repertoire depigraphie semitique, vols, V, VI, VII, 1929 -1950. | RES |
| | فقرة chapter | Ch |

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

## المصادر والمراجع:


♦ **الأدهم، عبد اللطيف:**

بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، القسم الثاني، ٢٠٠١م.

♦ **الارياني، مطهر علي:**

في تاريخ اليمن نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط٢، ١٩٩٠م.

♦ **الارياني، مطهر علي:**

حول الغزو الروماني لليمن، مجلة دراسات يمنية، صنعاء، العدد ١٥، ١٩٨٤م.

♦ **بافقيه، محمد عبد القادر:**

تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥ م .

♦ **بافقيه، محمد عبدالقادر:**

كرب آل وتر يهنعم الأول والدولة الأولى في بلاد العرب « فرضيات عمل جديدة «، مجلة ريدان عدد (٦) ١٩٩٤م.

♦ **باوزير، محمد عبد الله بن هاوي:**

الحملة الرومانية على العربية الجنوبية أو السعيدة ( اليمن القديم ) بين المصادر الكلاسيكية والجدل التاريخي، مجلات كليات التربية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، العدد (٩)، ٢٠٠٨م.

♦ **بروتون، جان فرانسوا:**

مدن وحواضر، اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، باريس فرنسا، معهد العالم العربي، دار الأهالي، دمشق، ١٩٩٩م.

♦ **بلاي فير، إف .إل:**

تاريخ العربية السغيدة أو اليمن، ترجمة سعيد غبد الخير النوبان و علي محمد باحشوان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ١٩٩٩م.

♦ **البكر، منذر عبد الكريم:**

دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الجنوبية في اليمن، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٠م .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

♦ **جبرا، إبراهيم:**
بلاد العرب من جغرافية سترابون، مجلة المجمع العلمي العراقي، مطبعة الفيض، بغداد، ج٢، ١٩٥١م.

♦ **الجرو، أسمهان سعيد:**
موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب الجزيرة العربية (اليمن القديم)، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ط١، عدن، ٢٠٠٢م.

♦ **جواد علي:**
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م.

♦ **حسين الشيخ:**
دراسات في تاريخ حضارة اليونان والرومان، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٨٧م.

♦ **دي ميغريه، اليساندرو، يثل:**
اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، باريس فرنسا، معهد العالم العربي، دار الأهالي، دمشق، ١٩٩٩م.

♦ **روبان، كرستيان، نشن، ترجمة علي محمد زيد، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء اليمن،،ج٤، ط٢، ٢٠٠٣ م .**

♦ **روبان، كريستيان، نشق، ترجمة علي محمد زيد، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء اليمن،،ج٤، ط٢، ٢٠٠٣ م .**

♦ **روبان، كرستيان، كمنه، ترجمة علي محمد زيد، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط٢، ج٤، ٢٠٠٣ م .**

♦ **رودنسون، ماكسيم:**
بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية، ترجمة حميد العواضي، القسم الأول، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠١م .

♦ **شرف الدين، أحمد حسين:**
تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة، ج٣، ١٩٦٧م .

♦ **شرف الدين، أحمد حسين:**

اليمن عبر التاريخ من القرن ١٤ ق. م إلى القرن ٢٠م، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٤م.

♦ **الشيبة، عبد الله حسن:**

دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، ط١، تعز، ٢٠٠٠م.

♦ **العبادي، أحمد صالح:**

اليمن في المصادر القديمة اليونانية والرومانية ٤٨٥ ق.م -١٠٠ م، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م.

♦ **عبداللطيف أحمد علي:**

مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠م .

♦ **عبد اللطيف أحمد علي:**

مصر والأمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١م.

♦ **مهران، محمد بيومي:**

دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د.ت.

♦ **محمود شكري محمد:**

بلاد العرب من تاريخ بلينيوس، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد٣، ج١، ١٩٥٤م.

♦ **وهيب كامل:**

استرابون في مصر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م.

♦ **الويسي، حسين بن علي:**

اليمن الكبرى كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي، مكتبة الإرشاد، ط٢، صنعاء، ١٩٩١م.

♦ **الهمداني، الحسن بن حمد بن يعقوب (ت: ٣٥٠ هـ):**

صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٠م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

## المراجع الاجنبية:


- Corpus inscriptionum semiticarum Pars Quarts, Inscriptions Himyariticas et sabaeas continens, 1, 11 et 111 parisiis, 1889-1932.
- :Eratosthenes, in Strabo:The Geography of Strabo , translated by , Horace Leonard jones , The loeb Classical Library,. London, Book XV1,4. ,1966,
- Jamme, A. Sabaen, inscriptions from mahram Bilqis (marib), Baltimur: Johns Hopkins, 1962..
- Pliny:Natural History , translated by H. Rackham .M.A; William Heinemann ltd , Vol,11, Book V1, London ,1969.
- Re'protoire d'e'pigraphie Se'mitique ; publie par la Commission du corpus inscrioptionum semiticarum (Acade'mie des inscrioptions et Belles-Lettres) tome v1 , 1935(RES 3052-3946) tome v111950 (RES3947-5106).
- Strabo:The Geography of Strabo , translated by , Horace Leonard jones , The loeb Classical Library,. London, Book XV1,4. ,1966. .
- Wissmann,von,H: Himyar Ancient History, lemuseon, 77, 3-4, 1964.
- Wissman ,Von, H ; and M , Hofner ;Betrage zur Historischen Geographie des voris Lamishen sudgrabie , Wiesbadn , 1953.

# البخور والمباخر في العربية الجنوبية من خلال المعطيات الأثرية والتاريخية

د. أسوان محمد حسين عبد الله[1]

**الملخص:**

اشتهرت العربية الجنوبية (اليمن القديم) ولاسيما مملكة حضرموت، بزراعة أشجار اللبان والمر، وهما من مشتقات (البخور)، وكانت لها أهمية عظيمة في الطقوس الدينية منذ بداية التاريخ ونشوء الحضارات الأولى، فقد كانت تحرق أطنان من البخور يوميًا في المعابد تقربًا للإلهة، وكان من ضمن هدايا الملك السبئي (كرب إل وتر) إلى ملك آشور أجود أنواع الطيوب.

وذكرت المصادر الكلاسيكية (اليونانية والرومانية)، أن أهل العربية الجنوبية كانوا يصنعون الطيوب، وأن غاباتهم غنية بأشجاره، وأن الروائح العطرة تنبعث من هذه الأشجار، ومعرفتهم للطرق التجارية البرية منها والبحرية، مما ساعد على رفد خزينة الدولة بالأموال الطائلة، ومن ثم ثراؤها وترف شعبها، مما جعلها محطةً لأنظار الطامعين، لذلك أطلق عليهم مؤلفو هذه المصادر تسمية العربية السعيدة (ARrab iu Felix).

(١) أستاذ التاريخ القديم المساعد/ كلية التربية طور الباحة – جامعة عدن.

لا يخفى أن مظاهر الحضارة في العالم القديم -زمن بحثنا- قد جعل من ((البخور)) السلعة الأكثر رواجًا وطلبها لا يتأتى إلا لمن بلغوا شأنًا كبيراً في سلم الرقي الاجتماعي، وهم في -العادة -القائمون على شؤون الملك والمعابد الدينية، لقد عدَّ الطابع الديني القديم في أثناء ممارسة الطقوس الدينية البخور مطلبًا دينيًا؛ إذ يقدم في المعابد تقربًا للآلهة.

وكان البخور أغلى هدية يقدمها الملوك لأَقرانهم في العربية الجنوبية وغيرها من بلدان العالم القديم. وحتى نفهم أهمية هذه السلع اللبان والمر. . (البخور) والاتِّجار بها مع أقطار العالم القديم، جدير بنا أن نعرف أهميتها كسلع نقدية ومقدسة، وأن ننظر إلى الدور الذى كانت تؤديه مختلف أصناف البخور في الحياة اليومية لأعظم الحضارات منذ القدم.

**Abstract:**

Ancient Southern Arabia (Ancient Yemen) especially Kingdom of Hadramout was famous for growing frankincense and myrth trees that produced some incense ingredients. Incense bore great significance during religious rituals since the beginning of time and the rise of first civilizations. Tons of incense were burned everyday at temples to win gods' favor. Incense was also part of Sheban King Kareb Il Watar to the King of Ahur as one of the best perfumes.

Classical sources indicated that people of Southern Arabia used to make perfumes, that their forests were full of frankincense trees and that nice scents were emitted by such trees. The same sources said that those people had good knowledge of trade routes both at the sea and on land, which helped provide treasury with enormous funds that reflected on the people's welfare and made the country a coveted object to invaders.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

As for the research methodology, the researcher has adopted the historical approach to study this bright spot in Yemeni ancient history. She also adopted descriptive and analytical method.

Undoubtedly, the ancient world civilizations held incense as the most wanted and bestseller commodity that was acquired only by social elites such as royal families and those in charge of temples. Incense was a requirement at such temples to satisfy gods. Incense was also the special gift given by kings to their peers.

**مقدمة:**

لقد نالت العربية الجنوبية (اليمن القديم) شهرة واسعة في العالم القديم؛ بسبب إنتاجها للمواد العطرية المختلفة، وكسبت من وراء ذلك ثروة عظيمة، جعلها تعيش في رغدٍ وترفٍ، وشكَّلت تلك المواد العمود الفقري لتجارتها ردحًا من الزمن، وقد تعددت أسباب ازدهارها وشهرتها. فكما نعرف أن أية حضارة من حضارات العالم لابد من أن تكون هناك أسباب تساعدها على نشوء تلك الحضارة. وأهم تلك الأسباب الموقع الجغرافي، والبيئة الطبيعية التي تؤثر سلبًا أو إيجابًا. فعلى سبيل المثال البيئة التي نشأت فيها حضارة اليمن القديم تؤثر في الجانب الزراعي والتجاري، فتؤدي إلى ازدهارها إذا كانت إيجابية، وتؤدي إلى العكس إذا كانت سلبية.

ومن أهم مقومات حضارة اليمن القديم ازدهار الزراعة والتجارة. وتوافرها أدَّى إلى نشوء المدن، وظهور حضارة ذاعت شهرتها، وعمَّت العالم القديم[١]،

(١) حبتور، ناصر صالح، حسين، أسوان محمد، عامل نشوء المراكز والمدن في اليمن القديم، مجلة سبأ، جامعة عدن، العدد (١٨-٢٠)، جمادي الآخر ١٤٢٤هـ- إبريل ٢٠١٣م، ص١٥٢.

وبذلك يمكن القول إن مورداً مهمـاً من موارد القوة كان متاحـاً لأهل اليمن القديم آنذاك، ولاسيما إنتاج البخور والاتِّجار فيه، مما جعل عنصر المال متوافراً لديهم للإنفاق فيما يلحق بالنشاط الزراعي والتجاري؛ كبناء السدود لحجز المياه، وتنظيم الإرواء، وبناء المراكز التجارية، وبناء المدن والقصور والمعابد وغيرها، فكل ذلك كان أساسـاً قويـاً في حضارة اليمن القديم وتطور الحياة فيها[١].

فمنذ الألف الرابع ق. م بدأت القوافل التجارية تجتاز جنوب الجزيرة العربية حاملة البخور والبضائع الأخرى، إلى بلاد ما بين النهرين، ومصر، وسوريا، وشمال الهند، وتعود بمنتجات بلدان الشرق الأدنى لتباع على ساحل المحيط الهندي في عدن والموانئ الأخرى، ومنها تجد طريقها إلى الشرق[٢]، وأهم ما يتاجر به أهل اليمن تجارة المر واللبان «البخور»، فقد ازدهرت هذه التجارة ازدهارًا عالميًا. فكما نعرف أن البخور في ذلك الوقت يعدُّ السلعة الأكثر طلبًا في العالم القديم، فقد كانت تحرق الأطنان منه يوميًا في المعابد تقربًا للآلهة.

إن هذا الطلب العالمي للبخور أدَّى إلى ازدهارها، فاشتغل أهل اليمن القديم بتجارته بأنفسهم، وقد ساعدهم في تجارتهم موقعهم الاستراتيجي، فاليمن القديم يتوسط أقدم الحضارات العالمية، ويجاور أخصب بقاع العالم، منها الهند وشرق أفريقيا الغنية بمنتجاتها المرغوبة، مما جعلها تقوم بدور التاجر الوسيط في البعد

(١) الجرو، أسمهان، التواصل الحضاري بين عرب الجنوب والعالم القديم، مجلة دراسات يمنية، العدد ٣١، صنعاء، ١٩٩٠م، ص١٨٢؛ باوزير، محمد بن هاوي، كراسات في تاريخ حضرموت وتراثها، ط١، دار الوفاء للدراسات والنشر، عدن، ٢٠١٤م، ص١٠٢-١٠٥.

(٢) زكريا، أحمد وصفي، رحلتي إلى اليمن، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق، ١٩٨٦م، ط١، ص٤١. ولمزيد من التفصيل عن التواصل التجاري بين اليمن القديم وبلاد ما بين النهرين ومصر والشام والهند، انظر: باوزير، محمد بن هاوي، المرجع السابق، ص١٠٦- ١١٣.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

التجاري، كما كان ذلك الدور سببًا من أسباب ثراء أهل اليمن القدماء وشهرتهم العالمية، ولعلَّ ذلك مبررٌ كافٍ للفت أنظار الدول العظمى آنذاك إلى المناطق الزراعية، وهذه الحالة شدَّت انتباه الكثير من المؤرخين القدامى، منهم إسترابون (المؤرخ الروماني) الذي قال: «وقد أصبحت السبئي والجرهاي أغنى القبائل عامة»[١]. كما ذكر أن هذه المنطقة مليئة بالخيرات المدارية؛ حيث تنتج المر، والبخور، والقرفة، والبلسم[٢]. وذكر (هيرودوت): أن بلاد العرب تقع بعيدًا في أقصى البلاد المأهولة، أنها البلاد الوحيدة التي ينمو بها اللبان، والمر، والأكاسيا، والقرفة، والأدن. والحقيقة أن معظم هذه المواد تنتجها اليمن القديم فضلاً عن مشاركة الهند وبلدان أُخَر إلى الشرق منها[٣]، وقد ترتب على ذلك كما سبقت الإشارة شهرة اليمن القديم بما تنتجه من سلع مهمة ومرغوبة لفتت أنظار العالم القديم، بل أصبحت عرضة للأطماع الأجنبية، وبالفعل تعرضت للغزو الروماني في ٢٤ق. م[٤].

(١) شرف الدين، أحمد، مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ، إشراف: أ. د. عبدالرحمن الأنصاري، مطابع جامعة الملك سعود، ص٢٥٥.

(٢) غلاب، محمد السيد، التجارة في عصر ما قبل الإسلام، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ، إشراف: أ. د. عبدالرحمن الأنصاري، مطابع جامعة الملك سعود، ص١٩٤.

(٣) عبد العليم، مصطفى كمال، تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ، إشراف: أ. د. عبدالرحمن الأنصاري، مطابع جامعة الملك سعود، ص٢٠٨-٢١١.

(٤) ولمعرفة أحداث الحملة الرومانية على اليمن القديم. . . أسبابها وسيرها ونتائجها، انظر: باوزير، محمد بن هاوي، الحملة الرومانية على العربية الجنوبية (اليمن القديم) بين المصادر الكلاسيكية والجدل التاريخي، مجلات كليات التربية، العدد ٩، دار جامعة عدن، أغسطس ٢٠٠٨م، ص٢٣١- ٢٦٥.

وكان أهل اليمن القديم ماهرين في إعداد البخور واللبان وأصناف الطيوب وتجهيزها، وهذه المهارة أكدَّها (هيرودوت) بقوله: «إن ذلك كان مشهورًا عنهم بين الأمم القديمة لا يشاركهم فيها أحد»(١).

كما أن (ثيوفراستوس) ذكر في حديثه عن جمع المر واللبان من مختلف الجهات، وعن نقل المحاصيل إلى معبد الشمس الذي كان أكثر معابد السبئيين قداسة، وكان يقوم على حراستها مسلحون أقوياء، ويكتب على لوحة الكمية التي يرغب صاحب كل محصول بيعها، وقيمة بيع المكيال منها، وبعد إتمام عملية البيع يعطي كهنة المعبد ثلث القيمة، ويأخذ صاحب المحصول الثلثين المتبقيين(٢).

وهناك كثيرون غيرهم كتبوا عن تجارة البخور والحالة المعيشية التي كان يتمتع بها أهل اليمن القديم في ذلك الوقت؛ حيث عثر على المباخر (المجامر)، التي سلطت الضوء على الحياة الدينية في اليمن القديم، وتفنن الإنسان القديم في صناعتها، ونقش عليها نوع البخور الذي يحرق فيها (انظر الشكل رقم (١) أ، ب، ج، د) كما سنتحدث عنها فيما بعد.

وقد استدعى البحث أن يكون على ملخص ومقدمة وخمسة مباحث: كان المبحث الأول بعنوان البخور: مفهومه، ومناطق زراعته، وظروفه المناخية، وطرقه التجارية. أما المبحث الثاني فكان بعنوان: البخور وأهم مشتقاته في النقوش، وقد أحصت الباحثة سبعة عشرً نقشاً. أما المبحث الثالث فكان بعنوان: المباخر أو المجامر، وتناولت الباحثة فيه صناعة المباخر وأهميتها في الطقوس الدينية، وفيه عرضت أنواع المباخر، على النحو الآتي: المباخر الحجرية، والمباخر المصنوعة من الفخار والطين، والمباخر المصنوعة من المعادن. وختمت الباحثة هذا المبحث

(١) شرف الدين، مرجع سابق، ص٢٥٥.
(٢) عبد العليم، مرجع سابق، ص٢٠٧.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

بالنقوش والرسوم والزخارف في تزيين المباخر. أما المبحث الرابع فكان بعنوان: الآلهة الذين قدمت لهم البخور والمباخر، وانقسم على قسمين: الأول: الآلهة الذين قدمت لهم البخور، والثاني: الآلهة الذين قدمت لهم المباخر. أما المبحث الخامس فكان بعنوان: أهمية البخور وأثره في العلاقات الخارجية، وفيه عرضت الباحثة المكانة التي أنيطت بهذا المنتوج (البخور)، وأثره في الدول المتقاربة جغرافيًا المتباعدة ترفًا وغناءً، والمتناحرة في حين والمتصالحة في حين آخر.

## أهمية البحث وأهدافه:

- لقد نال البخور والمباخر في العربية الجنوبية مكانة مرموقة في حياة شعوب العربية الجنوبية.
- من مظاهر استعمال البخور والمباخر أن تمَّ تقديمة بوصفه قرابين المعبودات، ولعل أقوى مظاهره استعماله في الشعائر الجنائزية والاحتفالات الدينية والمهرجانات، ومن مظاهر الحفاوة به أن يكرَّم به أشخاص ذووا مكانة مرموقة.
- معرفة المناطق المنتجة في بلاد العربية الجنوبية للبخور (للبان المر الصبر).
- لقد أسهمت تجارة البخور في ازدهار النشاط التجاري في تلك المنطقة (العربية الجنوبية). إذ ارتقى النشاط التجاري في تلك المنطقة بصفة لاسيما.
- أكسبهم الاتجار بالبخور والمباخر معرفة عميقة للطرق التجارية، البرية والبحرية.
- أصبحت العربية الجنوبية وسيطًا تجاريًا مهمًا بين الشرق والغرب، بحكم موقعها الجغرافي الاستراتيجي.
- كما كان للبخور دور اقتصادي ومالي مزدهر ساعد على زيادة خزينة الدولة، ومن ثمَّ ثراؤها وترف شعبها.

## منهج البحث:

أما منهج البحث، فقد اعتمدت الباحثة على المنهج التاريخي لدراسة هذه الظاهرة المضيئة في تاريخ اليمن القديم، والمنهج الوصفي التحليلي.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

كما يحتوي البحث على خاتمة عرضت فيها الباحثة أهم النتائج التي خلص إليها البحث، والملاحق، وقائمة الاختصارات والرموز، وهوامش البحث، وقائمة المصادر والمراجع.

## المبحث الأول

## البخور: مفهومه ومناطق زراعته وظروفه المناخية، وطرقه التجارية

### مفهومه:

ترجع كلمة بخور إلى الفعل بخَّر[١]، والبخور ما يتبخر به، وثياب مبخَّرة أي ثياب مطيَّبة. وتستعمل كلمة «بخور» بمعانٍ متنوعة، ففي معناها الأوسع مادة يصدر عنها دخان عطري، ذو رائحة زكية، يتألف من مواد صمغية (اللبان، المر، الصبر)[٢]، ويتم حرق بعض منها مباشرة منها اللبان والمر.

وبعضهم يطلق عليها اسم « كندر» وهو ضرب من العلك، وبعضهم الآخر قال: إنَّهُ اللبان[٣].

#### ا- مناطق زراعة البخور:

تركزت زراعة النباتات العطرية، ولاسيما البخور في إقليم ظفار (مملكة حضرموت القديمة) وادي حجر وجزيرة سقطرى، بل كانت المصدر الرئيس

(١) الزبيدي، محب الدين أبي فيض السيد مرتضى الحسيني، شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، ب. ت، (باب بخر)، (٨/ ١٣٣).

(٢) فريا ستارك، «البوابة الجنوبية لبلاد العرب»، ترجمة: علي محمد باحشوان، مجلة اليمن، مركز البحوث والدراسات، جامعة عدن، العدد الثاني، ١٩٩٠م، ص١٢٧.

(٣) الكندر: عرف بهذا الاسم في مختلف اللغات الهندية والفارسية. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧، ص٢٣٧.

لهذه المادة في العالم القديم، حتى حل بها الجفاف في القرن الثالث الميلادي[١]. إذ توقف إنتاجها منه، أو تراجع، أو قل إنتاج المواد العطرية بشكل عام في اليمن القديم؛ بسبب إهمال أهل هذه المنطقة الحفاظ على النباتات البرية لتلك المواد، وقد يكون السبب الحقيقي لذلك عدم وجود الأمان في طرق القوافل بين قتبان ومأرب؛ نتيجة للحروب التي كانت قائمة حينذاك بين ممالك المنطقة المذكورة[٢].

وفي المحصلة لا يعلم بالضبط متى بدأ استعمال اللِّبان بصورة عامة في العالم، فالأشجار التي يستخرج منها اللِّبان والمر، لا تنمو إلا في البلاد العربية الجنوبية والصومال، وذلك استنادًا إلى إشارات الكلاسيكيين القدماء، التي ظهرت في كثير من كتاباتهم عن هذه السلع وأهميتها.

**٢- الظروف المناخية لزراعة البخور:**

يُعدُّ المناخ من أهم العوامل التي تساعد على نمو أشجار اللِّبان؛ وذلك نتيجة لتوافر الظروف المناخية المناسبة لنموه، ولم تكُ موجودة في بلاد أُخَرَ غير اليمن والصومال. واكتسب اليمن القديم أهمية ومكانة عظيمتين في ذلك الوقت، لإنتاجها هذه السلعة المقدسة -التي تحتل مكانة دينية مقدسة- وتصديرها؛ حيث أقبل عليها العالم القديم إقبالاً شديدًا، وكذا اليمنيون أنفسهم، وكان الموقع الجغرافي المتميز لليمن القديم قد وفرَّ الجو المناسب لزراعته.

(١) غلاب، محمد السيد، مرجع سابق، ص١٩٤؛ باوزير، كراسات في تاريخ حضرموت، ص٩٨- ١٠٥.
أثبتت البعثة الأمريكية التي قامت بإجراء أول حفريات في ظفار عام ١٩٥٢م أنها أرض اللبان لتوافر غابات أشجاره فيها، وأن مملكة حضرموت قد امتدت سلطانها حتى هذه المنطقة. للمزيد انظر عبد الحكيم شائف محمد، تجارة اللبان والمر في اليمن القديم، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الاجتماعية والإنسانية. العدد٤، ٢٠٠٨م، ص١١٦ - ١٦٨.
(٢) عبدالعليم، مرجع سابق، ص٢٠٦، ٢١٠.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

أمَّا المناخ المناسب لزراعته، فهو فصل الصيف؛ حيث يتم قطع الجذع، فينتج عنه مادة صمغية تسيل على الجذع، وبعد أن يجف تجمع في فصل الخريف، وما إن يحل فصل الشتاء يكون الموسم قد اكتمل، وبعدها يتم شحن هذه المادة في أكياس للتصدير(١).

وهناك إشارات التي ذكرها بعض المؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين (الإغريق والرومان)، ومنها ما ذكرها: (ثيوفراست حوالي ٣٠٠ ق. م) بقوله: «لقد سمع بزراعة اللُبان في جبال كانت شامخة تغطيها الغابات ومعرضة للثلوج»(٢). وقد أطلق «بليني»(٣)على المنطقة التي تنتج اللُبان (ساريبا)، وبها غابات طبيعية تمتد منحدرة إلى الأرض المستوية.

كما أشار إليها (نقولا زيادة) بقوله: «كانت بلاد اللُبان تكتنفها سحب كثيفة

(١) شهاب، حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار العودة، ط٢، بيروت، ١٩٨١م، في باب السلع المقدسة، ص١٣١-١٤٠.

(٢) Groom, N, Frankincense and Myrrh, in: A study of the Arabian incense trade, Longman, librairie du Liban, London and New York, 1981, p. 160.

(٣) بليني الأكبر، هو جايوس بلينوس سكندوس المعروف باسم (بليني الأكبر) تميزًا له عن ابن أخيه بليني الأصغر، وهو مؤلف روماني، عاش في القرن الأول للميلاد (٢٣/ ٢٤م-٧٩م). وكانت له مؤلفات بلغ عددها (١٢٠)، ولم يبقَ من مؤلفاته سوى موسوعة (التاريخ الطبيعي) (Natural History). تعدُّ موسوعة التاريخ الطبيعي التي أعدّها (بليني) دائرة معارف عن الطبيعة، لم يسبقه إليها أي كاتب يوناني، أو روماني من قبل، وقد تألف هذا العمل من (37) كتابًا، شملت مختلف المجالات العلمية، وفي كتابه (الثاني عشر) عمل تحقيقًا علميًا مفصلاً عن طيوب اليمن وأشجارها العطرية ومناطق نموها، للمزيد انظر: The Encycolpedia Americana, the International work, Americana Corporaon, New York, 1829, vol,XX11, P. 246.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

وضباب»[١]. ولكن الموطن الحقيقي للبخور (هي المنطقة التي تشمل الهضبة الممتدة من جبال سنحان، إلى الشرق من ظفار حتى جبال المهرة المطلة على سيحوت في محافظة المهرة، ويبلغ امتداد هذه الهضبة من الشرق والغرب، نحو: مائتين وخمسين قدمًا، وارتفاعها في بعض الأماكن يبلغ نحو: ثلاثة آلاف قدم، وتنحدر منها إلى الساحل وصحراء الربع الخالي وديان تكسو معظمها الأعشاب وأشجار البرية، ولاسيما الجنوبية منها، ووجدت في بعضها ينابيع صغيرة، ويبدو لنا أن أجود اللُبان هو ما يجمع من السفوح الشمالية، أما المنحدرات الجنوبية فلُبانها رديء[٢].

وذكر (هيرودوتس عاش ما بين ٤٢٤ق. م-٤٢٥ق. م تقريبًا) عن اللُبان وحراسة أشجاره، إذ يرى أن هناك حيات مجنحة تصون الأشجار التي تحمل اللُبان، وهي صغيرة الحجم، متنوعة الألوان، تتدلى بأعداد لا حصر لها من كل شجرة، وكانوا يحتالون لطرد هذه الحيات بقدرٍ من بلسم الإصطرك، يشعله الذي يريد اجتناء اللُّبان، فيصعد من دخانه ما يغرق شملها[٣]. وأشار (إسترابو ولد نحو٦٣، أو٦٤ وتوفي بعد سنة ٢٠م) إلى أن بلاد اللبان والمر من أخصب الأماكن، ولكنها مليئة بالحيات السامة المميتة؛ إذ قال: «هي أخصب تلك الأراضي على الإطلاق، ثمارها المر واللُّبان والقرفة، وفيها حيات ذات لون فاقع تبلغ الشبر، وبوسعها القفز إلى علوٍ خصر الأدمي، ولا ينجح في لسعتها علاج»[٤].

(١) زيادة، نقولا، « دليل البحر الإرتيري وتجارة الجزيرة العربية البحرية»، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، ط١، ١٤٠٤هـ، إشراف: أ. د. عبدالرحمن الأنصاري، مطابع جامعة الملك سعود، ص٢٦٦.

(٢) شهاب، حسن صالح، المرجع السابق، ص١٣١-١٤٠.

(٣) حتي، فيليب، تاريخ العرب المطول، ج١، دار الكشاف، بيروت، ١٩٦٥م، ط١، ص٥٩-٦٠.

(٤) Strabo, The geography of Strabo, translated by: Horace Leonard Jones, P, H, D, LL, D, the Loeb classical library, Vol, B, XV1, (4), London, 1966, P. 2-26.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

على الرغم من وجود الظروف المناسبة لنمو شجيرات اللُّبان في بلاد العرب ولاسيما العربية السعيدة، ولاسيما في الشحر وسقطرى؛ إلا أن العرب يجلبون من بلاد الصومال إقليم (تيغرى) من بلاد الدناكل الكثير من البخور. ويزرع البخور (اللُّبان) في الصومال في منطقة مشابهة جغرافيا كظفار، وتبعد بعض الأميال شرق ساحل بربرة(١).

ويذكر في الرحلة التي أرسلتها الملكة الفرعونية (حتشبسوت) التي سجلتها في معبدها (دير البحري) ذكرت فيها أنهم عادوا بأشجار المر والبخور من الصومال أو العربية السعيدة لزراعته في وادي النيل، ولكن هذه الأشجار لم تنمو في مصر؛ لعدم توافر الظروف الملائمة لزراعته(٢).

### ٣- الطرق التجارية للبخور:

لقد نشأت مع مرور الزمن تجارة منتظمة وأساسية في جنوب البلاد العربية، لسد حاجة مصر، والشام، وبلاد الرافدين، واليونان، وروما، والهند، وحتى الصين.

وكانت قوافل الجمال الضخمة تقطع الأميال على طول الجزيرة العربية، وهي تحمل السلع الثمينة التي تنقلها إلى المعابد، والبلاطات، والأسواق، وأول الطرق الطريق البري الذي يمتد من ظفار مصدر اللُّبان، إلى وادي حضرموت، ثانيها طريق بحري يمتد من ظفار إلى ميناء «قنا» اللُّبان (انظر الخارطة رقم ١)، ويتحكم في

(١) اليزابيث، مونرو، الجزيرة العربية بين البخور والبترول، ترجمة: محمود محمود، مجلة (الدارة) ع١س٢، (ص٢٣ - ٢٨) الرياض، ١٩٧٦م، ص٣٣؛ موللر، والتر، طريق اللبان، ترجمة يوسف محمد عبدالله، ضمن كتاب (اوراق ج٢)، صنعاء، ١٩٨٥م، ص٢١٩-٢٢٠.

(٢) باوزير، محمد بن هاوي، الشواهد النقشية لتجارة البخور وثيقة مهمة وصورة حية للوحدة الحضارية بين اليمن القديم والوطن العربي القديم، المجلة اليمنية للبحوث الزراعية، العدد (٢٦)، دار جامعة عدن، يونيو ٢٠٠٨م، ص١٠٧ - ١٠٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

مساره كل دولة من الدول القديمة، وحظي ميناء (قنا) بشهرة عالمية، فهو الميناء الرئيس لمملكة حضرموت، والصالح للاتجار مع الهند، وشرق آسيا، وإفريقيا، ومصر منذ أزمنة بعيدة. كما جاء ذكر ميناء (قنا) في العديد من النقوش المهمة (Ja74,756,632,Ry538,333,CIH621,728,948) التي تحكي عن النشاط الاقتصادي والسياسي الذي كان يتسم به هذا الميناء، وأثره في سير الأحداث التاريخية[١].

أما حالة الميناء في القرن الثالث الميلادي، فقد وصفها لنا مؤلف كتاب الطواف (The Periplues)؛ حيث ورد في الفقرة (٢٤): بعد الوصول إلى منطقة (Arabia Eudaeman)، والساحل يستمر في الامتداد (شرقًا) لمسافة ألفين (ستاد)، أو أكثر حتى نصل إلى ما يعرف بمنطقة البدو الرحل، أو قبيلة صيادين السمك... حيث نجد سوقًا تجارية أخرى؛ تقع بمحاذاة الشاطئ تدعى (قنا Cana) تابعة للملك (إليزوس Elazus) (إل عزيلط) ملك مدينة اللبان والبخور. وفي الأراضي الداخلية تقع العاصمة (سباتا Sabbatha) (شبوة)؛ حيث يجلب البخور بالجمال من أجل الحفظ والتخزين، الذي كان يجلب إلى ميناء (قنا) على أخشاب (الرمث Paft)، التي ترفع بواسطة القِرَب المنفوخة، وعلى القوارب أيضًا. ويتمتع هذا الميناء بالتجارة مع الجهات المقابلة، والبعيدة من موانئ البحر الأحمر، كما يتاجر مع (بار إيجازا Bareygaza)، و(سيتيا Saythia)، و(عمان Ommana)[٢]، ومع كل الشواطئ المجاورة لبلاد إيران.

ويُرْبَط الميناء بعاصمة الدولة عدة طرق برية، يعتمد استعمالها على الظروف الأمنية للمناطق التي تمر بها، وقد سقط هذا الميناء في يد الدولة الحميرية، التي

(١) الجرو، أسمهان، الحياة الحضارية، ص٧٣.
(٢) المرجع نفسة والصفحة.

أصبحت تسيطر على المنطقة الساحلية الممتدة من مضيق باب المندب وحتى الشرق منه، وقد اضطرت الدولة الحضرمية إلى إقامة سور القلعة؛ ليفصل بين حدود الدولتين، ويبدو أن حضرموت استعادت الميناء [١]، وقد ظل هذا الميناء مستعملاً حتى القرن الرابع الميلادي بعد تدهور تجارة الطيوب، ويعود اكتشاف هذا الموقع إلى الرحالة الأوروبي ويلستد[٢].

## المبحث الثاني
## البخور وأهم مشتقاته في النقوش

تميزت العربية الجنوبية بإنتاجها أجود أنواع البخور والمواد العطرية التي أسهمت بصورة كبيرة في ازدهار تجارة البخور خلال المدة من القرن العاشر حتى نهاية القرن الأول ق. م. والبخور هو مواد صمغية غير سامة، وهي طيبة الرائحة، مع إضافة عود الصندل في بعض الأحيان، وغيره من المواد الأخرى ليعطي روائح عطرة، ويصنع البخور إما في شكل مسحوق أو أعواد[٣].

ومنها ما ذكر في النقوش اليمنية القديمة مثل: رند – قسط – طيب – للبني – سلخت...، وقد وردت كلمة (طيب) في النقوش اليمنية بمعنيين: الأول: طيب بمعنى ذهب، والمعنى الثاني نوع البخور، واللفظ طيب (طيب)، هو الأرجح للكلمة الصحيحة التي ذكرت، بدليل أن هناك مبخرة مكتوب على وجهها هذا

(١) النعيم، نورة عبد الله العلي، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٢م، ص٢١٠.

(٢) Wellested J. R. Travel in Arabia, Graz ADV, Vols 2, 1978, p. p. 421-472.

(٣) مجموعة من المؤلفين، "البخور"، الموسوعة العربية العالمية، مج٤، الرياض، ١٩٩٤م، ص٢٣٦.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

المعنى، ونقشت فيها كلمة واحدة طيب فقط، وهي تشير إلى نوعِ البخور الذي يحرق في هذه المبخرة. (انظر الشكل(١)أ، ب، ج)، وفي المعجم السبئي جاءت كلمة بخر(بخ) [١].

وتعددت أنواع البخور التي تنتجها أراضي تلك المنطقة، وكان أهمها وأكثرها شهرة اللبان (الكندر) والمر[٢]، وأهم أنواع البخور في النقوش الآتي:

**١- ط ن ف (اسم) (𐩨𐩮𐩣)[٣]:**

«طيب» وردت في نقش Ja/ ٦٣٥ (٤): و ط ن ف/ ط ي ب م/ ح م د م/ ب ذ ت/ خ م ر، وتعني: الطيب ذو الرائحة العطرة حمدًا لذات خمر.

وقد أمدتنا النقوش بأسماء العديد من أنواع البخور والطيوب، سنستعرض أهمها:

**٢- ل ب ن، ل ب ن ت (اسم) (𐩣𐩮𐩥) " اللبان":**

يعد اللبان من أفضل أنواع البخور، وقد ورد في النقوش (ل ب ن ت)[٤]،وأطلق عليه اليونان (Libanos)، وفي اللغة اللاتينية يسمى (Olibanum) أو ليبانيوم، أما في المصادر العربية فجاء باسم (كندر Condur) ورد بخور اللبني في النقش(Ym467) (انظر الشكل رقم (١) ج)[٥]، وجاء في اللسان: «أن اللبنى: الميعة. واللبنى واللبن: شجر، واللبان: ضرب الصمغ»[٦] وفي المعجم السبئي جاءت كلمة (لبن) بمعنى

(١) بيستون، وآخرون، المعجم السبئي، مرجع سابق، مادة "ب خ ر "، ص٢٧.

(٢) لوكس، فريد، المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة زكى إسكندر ومحمد زكريا غنيم، القاهرة،١٩٩١م، ص١٥١.

(٣) بيستون، وآخرون، المعجم السبئي، مادة " ط ن ف "، ص١٥٣.

(٤) المرجع نفسه، مادة " ل ب ن "، ص٨١.

(٥) سيد، عبدالمنعم عبدالحليم، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص٥٦٧.

(٦) ابن منظور، جمال الدين محمد مكرم، لسان العرب، دار صادر، (د. ت)، بيروت، ١٩٧٠م، اللسان، مادة (لبن)، (١٣/ ٣٧٧).

الميعة (البخور)[١]. وفي العربية الجنوبية يطلق دائماً على الكندر اسم اللبان، وتضاف إليه صفات مختلفة مثل " لبان ذكر"، "لبان شحرى "، " لبان مستكا " وغيرها من الأسماء الأخرى[٢].

ويتكون اللبان بصفة عامة من صمغ، وراتنج، وزيت طيار، وهو يتكون من مجموعتين: الأولى مكونات تذوب في الكحول، ويبلغ مقدارها نحو ٧٢٪ من الوزن الكلي، والثانية مكونات لا تذوب في الكحول، ويبلغ مقدارها نحو ٢٨٪ من الوزن الكلي، بالإضافة إلى الزيت الطيار، ويكون ذا لون أصفر وله رائحة طيبة[٣].

اللُّبانُ شُجَيْرة شَوِكَة لا تَسْمُو أكثر من ذراعين، ولها ورقة مثل ورقة الآس، وثمرة مثل ثمرته وله حَرارة في الفم. واللبان: الصنوبر. وفي التهذيب: اللبني شجرة لها لبن كالعسل، يقال لها لبنى، قال الجوهري: يبخر به[٤]، وشجرة اللبان شجرة ليس لها جذع، ولها أعداد كبيرة من الأغصان، وهي شجرة شوكية لا يتجاوز طولها من ٦ إلى ٧ أقدام، ويمكن أن يصل نموها إلى ١٥ قدمًا إذا وجدت مناخًا مناسبًا[٥].

تنتج هذه الأشجار مادة صمغية لونها أصفر باهت شفاف عند بداية جمعه، ويتغير لونه، ويصبح مغبراً نتيجة احتكاكه في بعضه البعض، وفي أثناء حرقه تفوح منه رائحة طيبة، وله دخان أبيض[٦]، وتصل أنواعه إلى ٢٥ نوعًا، يوجد عدد قليل منها في

(١) بيستون وآخرون، المعجم السبئي، مادة " ل ب ن "، ص٨١.

(٢) عبدالله، عبد الله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، مجموعة بحوث ومقالات ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩٠م، ص٢٢٣.

(٣) الدبعي، عبدالرحمن سعيد، الخليدي، عبد الولي أحمد، النباتات الطبية والعطرية في اليمن، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء ١٩٩٧م، ص١٤٣.

(٤) ابن منظور، مصدر سابق، اللسان، مادة (لبن)، (١٣/ ٣٧٧).

(٥) Van Beek, Frankincense and Myrrh, B. A, New Haven, ASOR, Vol. 23, 1960, P. 72.

(٦) Ibib, 71



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

جنوب الجزيرة، وهي من أفضلها[١]، ويتم جمع اللبان بإحداث شقوق طولية في لحاء الأشجار، وفي اتجاهات مختلفة من جذوعها وأغصانها فيخرج سائل منها، يتجمد عند ملامسته للهواء، متحولاً إلى قطع متباينة الحجم تشبه الدمعة، وتوضع في أحواض هذه الأشجار حصر من سعف النخيل، تحسبًا لسقوط تلك القطع، أما القطع المتبقية أو اللاصقة بالأشجار، فإنها تقشط بآلة حادة[٢].

وذكر صاحب دليل البحر الأرثري في هذا الشأن أن الأشجار التي تنتج البخور ليست بالطويلة أو الضخمة، والبخور يتقطر منها على لحائها، كما يحدث إلى الشجرة التي تسقط صمغها دمعًا في مصر.

ويقوم بجمع البخور عبيد الملك وأولئك الذين يبعثون لهذا العمل عقوبة لهم؛ إذ إن هذه الأماكن ليست صحية كما أنها موبوءة، وحتى إلى أولئك الذين يبحرون في محاذاة الساحل، إلا أنها بالنسبة إلى الذين يعملون هناك تكاد تكون قاتلة، وقد يقضون (نحبهم)؛ بسبب نقص الطعام أيضًا[٣]، ويعبأ اللبان في أقفاص خشبية مغطاة بالحصر المصنوعة من السعف، خوفًا من تهشُّمه؛ لأنه مادة تميل إلى الجفاف[٤].

**٣- م ر ر، أ م ر ر (اسم جمع) (𐩣𐩱𐩵) (𐩣𐩱𐩵𐩲) "مُرّ":**

وردت في نقش (Res3427/1) ، وجاءت المرة في لسان العرب بمعنى: شجرة أو بقلة، وجمعها مر، وأمرار، والمرار شجرة مر. ونقل ابن منظور عن ابن سيده:

(١) Groom, N. , op. cit, pp. 104-105.

(٢) النعيم، نورة عبد الله العلي، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٢م، ص٢٣٦.

(٣) زيادة، نقولا، المرجع السابق، ص٢٦٦، ٢٦٧.

(٤) Groom, N, op. cit, pp. 135-136.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

«وعندي أن أمرارًا جمع مر». والمرار: شجرٌ مرٌّ، ومنه بنو آكل المرار قوم من العرب، والمرُّ دواء[١].

وقد ورد ذكر المر في نقش(Res3427/1)، الذي يشير إلى تاجر معيني يسمى "زيد إيل بن زيد" كان يتولى توريد المر والقليمة من بلاده إلى معابد المعبودات في مصر ونص النقش كما يلي:

𐩲𐩣𐩺 | 𐩧𐩱𐩨𐩱𐩨 | 𐩧𐩧𐩬𐩵𐩨𐩮 |𐩦𐩧𐩺𐩬1𐩬𐩵| 𐩦𐩲𐩲𐩺𐩨

أ م ر ر ن / و ق ل ي م ت ن / ك أ ب ي ت ت / أ ل أ ل ت / م ص ر/

المر / والقليمة / لمعابد / المعبودات (في) وردت في نقش (Res3427/1)، الذي يشير إلى تاجر معيني يسمى " زيد إيل بن زيد" الذي كان يتولى توريد المر والقليمة من بلاده إلى معابد المعبودات في مصر.

وأشجار المر لها شكل جذع الشجرة عند نموها، وتتفرع أغصانها التي تحيط بها، فتغطي جذع الشجرة لمسافة قطرها قرابة ٢٠ قدمًا، ويصل طولها من ٤ إلى ١٥ قدمًا، وتزهر أشجارها بعد نزول الأمطار بمدة وجيزة، ومن ثم تجف وتتحول إلى أشواك[٢].

ويتم جمع المر بعد إحداث شقوق أكبر وأطول من الشقوق التي تعمل لجمع اللبان، وذلك من قاعدة الجذع، ويمكن تشقيق أشجاره إذا كانت قوية[٣]، وأجود أنواعه ما تنتجه الأغصان، ويعرف بمسمى ستاكت[٤]، وهو عبارة عن صمغ أحمر يميل إلى البني، في أثناء حرقه يخرج منه دخان أبيض قليل، له رائحة عطرة أخف من

(١) ابن منظور، المرجع السابق، اللسان، مادة (مرر)، (٥/ ١٦٧).

(٢) Van Beek, op. cit, P. 72.

(٣) Thomas, Bcrtram, Arabia Felix, London, 1932, p123.

(٤) Groom, N, op. cit, pp. 146,147.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

رائحة اللبان، ويوجد للمر أنواع ليس لها رائحة، تستعمل في الأدوية والعطور[١]، وتصل أنواعه إلى ٢٥٠ صنف، وقد تكشف الدراسات الحديثة مزيدًا من الأصناف مستقبلاً[٢]، وينقل المر بعد جمعه في أكياس من الجلد، لاحتوائه على نسبة كبيرة من الزيت خشية من جفاف الدهن وتسربه[٣].

**٤- ص ر ف (𐩱𐩣𐩨):**

ورد في المعجم السبئي أن الصرف(𐩱𐩣𐩨) هو نوع من أنواع البخور[٤] كما ورد ذكره أيضاً بالنقش (CIH ٤٠٠) وذلك فيما ينص " أنه لا يجوز شرعاً إبعاد أو بيع كل البخور "صرف" الموجود في معبد برأن "معبد المعبود المقه "، وهذا النقش يشير إلى أن الصراف كان يستخدمه بوصفه بخوراً، ويقدم بوصفه قرابين للمعبودات في المعابد.

**٥- ذهب (𐩤𐩧𐩥):**

ورد بالمعجم السبئي أن الذهب (ذ هـ ب ) هو نوع من البخور[٥]، وهو أيضاً نوع من الطيب يدخل في تركيب البخور، وقد ورد ذكره في نقوش المسند كما في النقش (CIH ٦٨٣) وذلك كما يلي:

| 𐩢𐩲𐩺 | 𐩣𐩺𐩲 | 𐩤𐩧𐩥 | 𐩲𐩲𐩣 |

ر ن د / ذ هـ ب / ن ع م / ق س ط /

(١) Van Beek, op. cit,p p,71,72.
(٢) Groom, N. , op. cit, pp. 104-105
(٣) Groom, N. , op. cit, p. 135,136.
(٤) بيستون، وآخرون، المعجم السبئي، مرجع سابق، مادة " صرف "، ص١٤٤.
(٥) المرجع نفسه، مادة " ذ هـ ب " ص٣٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

**٦- ك م ك م (اسم)، نوع من الطيب (𐩣𐩧𐩣𐩧) "كمكام":**

وكمكام هو(دهن المر) كما ورد في النقش (CIH682)، ومادة المر تختزن ١٧٪ من حجمها زيتًا إذا كانت طرية[١]، ويسمى بدهن المر، ومن مميزاته أنه يحافظ على رائحة العطور التي يكون أحد عناصر تركيبها مدة طويلة من الزمن، حددها ثيوفراستوس قرابة عشرة أعوام، وذكر أنه كلما عتق ازدادت رائحته طيبًا، يضاف إليه في بعض الأحيان قليلٌ من الخمر لصناعة صنفٍ آخر من الطيب. كما أنه يضاف إلى الخمور لإكسابها رائحة عطرة، وذكر بليني أن المر واللبان: «يحفظان للعطور رائحتها لمدة طويلة» [٢].

واستعمل المر في المعابد، وفي التحنيط، وفي معظم الأشياء التي تدخل في الدهن المقدس[٣]. وقيل: «المر، كالصبر، دواء سمي به لمرارته، وقد عالجوا به عدة أمراض» [٤].

وينص النقش (CIH٦٨٢) كما يلي:

𐩱𐩺𐩲 | 𐩣𐩧𐩣𐩧 | 𐩲𐩵𐩨 | 𐩺𐩺𐩵

ر ن د/ ض ر و/ ك م ك م/ ق س ط

**٧- ق س ط (اسم) (𐩱𐩺𐩲) "عود الطيب":**

القُسط ورد في النقش(CIH682)، والقُسط بالضم: عود يتبخر به، والقسط: عود يُجاء به من الهند يجعل في البخور والدَّواء، يقال لهذا البخور قُسْطٌ وكُسْطٌ وكُشْطٌ،

(١) Groom, N. , op. cit,. p. 12.

(٢) النعيم، نورة، مرجع سابق، ص١٩٠، ١٩١.

(٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، ط١، بغداد، ١٩٧٠م، ص٢٣٨.

(٤) الزبيدي، مصدر سابق، (باب بخر)، مادة (مرر)، (٣/ ٥٣٧).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وفي الحديث عليكم بالعود الهندي، وقيل هو القسط البحري، وقيل هو العود الذي يتبخر به. وفي حديث أُمَّ عطية: «لا تمسُّ طيبًا إلا نُبْذةً من قسط وأظفار، وفي رواية: قُسْط أظفار»، والقسط: ضرب من الطيِّب، وقيل هو العود، وقيل هو: عُقَّار معروف طيِّب الرَّيح تتبخر به النفساء والأطفال[١]. ويعتقد جواد علي أن نعته بـ(قسط أظفار) نسبة إلى (ظفار) قرب مرباط في جنوب الجزيرة العربية، التي تعرف بـ(ظفار الساحل) ونسب إليها العود الذي يتبخر به؛ لأنه يُجْلَبُ إليها من الهند، ومنها إلى اليمن[٢]، وقال ابن سيده: « الأظافير: ضرب من العطر أسود من أصله على شكل ظفر الإنسان، يوضع في الدخنة ولا واحد له»، أي أنه منسوب إلى الظفر وليس إلى مدينة ظفار[٣]. كما مر معنا أن البعثة الأمريكية أثبتت من خلال حفرياتها في هذه المدينة أنها أرض للبان. وقد ذكر(ديودورس) أن له ثلاثة أصناف هي: العربي، والهندي، والسوري، وأجوده العربي، خفيف الوزن ذو رائحة قوية، ولونه يميل إلى البياض، وكان يحضر على أيدي خبيرة[٤].

### ٨- ر ن د (اسم) (ر ن د) "رند" نوع من طيب[٥]:

ورد (رند) في النقش (CIH682)[٦]، و الرَّنْد: «الآس، وقيل: هو العود الذي يتبخر به، وقيل: هو شجر من أشجار البادية، وهو طيب الرائحة يستاك به، وليس

(١) ابن منظور، مصدر سابق، اللسان، مادة، قسط (٧/ ٣٧٩).
(٢) علي، جواد، المفصل، ج٧، المرجع السابق، ص٢٣٧.
(٣) ابن سيدة، المخصص، مادة (باب العود)، (٣/ ١٩٩).
(٤) Miller, J, Innrs, The Spice Trade of The Roman Empire 29, B. C. to A. D. 641, Oxford, The Clarendon Press, 1969, p85
(٥) ابن منظور، مرجع سابق، اللسان، مادة (رند)، (٣/ ١٨٦).
(٦) الجرو، أسمهان، الحياة الحضارية، المرجع السابق، ص٣٤.

بالكبير، وله حب يسمى الغار، واحدته رندة»[١].

**٩- ل د ن (اسم) (ل د ن) «لادن» نوع من طيب:**

ورد (لادن) في النقش(CIH685)، اللدن: هو اللين من كل شيء من عود، أو حبل، أو خلق، وكل رطب مأد لدن»[٢]. وهو عبارة عن ورد يحصل عليه من نبات يسمى (قلسوس)، ولا يزال يستعمل في صناعة العطور حتى اليوم[٣]، وقيل: هو الضرب من العلوك[٤].

**١٠- ض ر و (اسم)، (𐩱𐩣𐩵) نوع من الطيب:**

ورد (الضرو) في النقش(CIH681) ، والضِّرْوُ والضَّرْوُ: هو شجر طيَّبُ الريح يُستاك به، ويجعل ورقه في العطر، وقيل هو البُطْمُ نفسه، والبُطْمُ الحبة الخضراء، وقيل: هو من شجر الجبال، وهي: مثل شجر البلُّوط العظيم، له عناقيد كعناقيد البطمِ غير أنه أكبرُ حبًّا، ويُطْبَخُ ورقه حتى ينضج، فإذا نَضجَ صُفِّيَ ورقه ورُدَّ الماءُ إلى النار، فيعقد ويصير كالقُبَيَّطي، ويتداوى به من خشونة الصَّدر ووجع الحلق. وقيل إن الضرو بالكسر صمغ شجرة تدعي الكمكام تجلب من اليمن. وقيل إن أكثر منابت الضرو باليمن» [٥].

**١١- ق ل ي م ت ن (اسم جمع) (𐩲𐩤𐩺𐩥𐩨𐩣):**

قليمتن نوع من الطيب ورد في النقش (Res 3427/1). وقيل: إنَّ هذه اللفظة تعني: قصب الذريرة، والذريرة: فتات من قصب الطيب الذي يُجاء به من الهند

(١) ابن منظور، مصدر سابق، اللسان، مادة (رند)، (٣/ ١٨٦).
(٢) ابن منظور، المصدر السابق، اللسان، مادة (لدن)، (١٣/ ٣٨٣).
(٣) الدمياطي، محمود، معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي، ص١٢٨.
(٤) ابن سيدة، المصدر السابق، المخصص، مادة (باب الصمغ، واللثي، والعلوك ونجو ذلك)، (٣/ ٢١٩).
(٥) ابن منظور، المصدر السابق، اللسان، مادة (ضرا)، (١٤/ ٤٨٣).



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

يشبه قصب النُّشَّاب، وفي حديث عائشة: «طيَّبتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لإحرامه بذريرة»[١]، وقيل: هو نوع من الطيب مجموع.

وهو خليط من جملة مواد جافة أبرزها الحلب الأبيض، وجوز الطيب، وزهر الكافور، وتطحن هذه المواد، ويشتهر وادي(تبن) في لحج بكثرة إنتاجه منها[٢].

**١٢ - س ل خ، س ل خ ت (اسم) (𐩱𐩣𐩧𐩲):**

«سليخة»، «قرفة حطيبة» (نوع من الطيب) ورد في النقش (YM467) والسليخة: نوع من الـ(Cassia) أي: الأكاسيا وهي: قشرة تؤخذ من شجرة القرفة أو من أشجارها[٣]. وقيل: هي شيء من العطر تراه كأنه قشر منسلخ ذو شعب[٤]. والقرفة دواء معروف، والقرف: قشر شجرة طيبة الريح يوضع في الدواء والطعام، وقد غلبت هذه الصفة عليها، غلبة الأسماء لشرفها[٥]، ويستعمل دهنها الناتج من ثمرها أحيانًا[٦]. وقيل: إن القرفة ضرب من الدار صيني، وهي على أنواع منه: الدار صيني الحقيقي، ومنه أيضًا المعروف بقرفة القرنفل[٧].

**١٣- ط ن ف(𐩵𐩣𐩨):**

ورد بالمعجم السبئي أن طنف (𐩵𐩣𐩨) يقصد بها الطيب[٨]، وقد استخدمت بوصفها بخوراً وكان يتم تقديمها للمعبودات، ولكن هذا النوع ليس له وجود في الوقت الحاضر.

(١) صحيح البخاري، (٥٥٨٦).
(٢) شهاب، حسن صالح، مرجع السابق، ص١٤٦.
(٣) علي، جواد، مرجع سابق، ج٧، ص٢٣٩.
(٤) ابن سيده، المصدر السابق المخصص، (٣/ ٢٠١) (باب العودة).
(٥) ابن منظور، مرجع سابق، اللسان، مادة (قرف)، (٩/ ٢٧٩).
(٦) علي، جواد، مرجع سابق، ج٧، ص٢٣٨.
(٧) الزبيدي، المرجع السابق، تاج العروس، مادة (قرف)، (٦/ ٢١٩).
(٨) بيستون، وآخرون، المعجم السبئي، مرجع سابق، مادة " ط ن ف "، ص١٥٣.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

**١٤- ق ب ل (𐩱𐩣𐩫):**

استخدم القبل في المعابد بو صفه بخور ويقدم للمعبودات، وقد ورد بالمعجم السبئي (𐩱𐩣𐩫) بأنه نوع من الطيوب[١]، وقد جاء ذكره في النقوش المسندية، كما في النقش (CIH 439/2) الذي يشير إلى تقديمه مع الضرو بوصفه قرباناً للمعبود "المقه".

**١٥- ح ذ ك (𐩤𐩨𐩧):**

ورد في المعجم السبئي بأنه نوع من الطيب[٢]، وقد جاء هذا الاسم في النقوش المسندية، كما في النقش (CIH681)، و النقش (CIH 684) وذلك كما يلي:

𐩤𐩨𐩧 | 𐩨𐩮𐩲 | 𐩲𐩮𐩵 | 𐩧𐩨𐩤

ح ذ ك / ض ر و / رن د / ق س ط

حذك ضرو رند قسط

**١٦- أ ض م (𐩠𐩲𐩥):**

وردت لفظة (أضم) على مبخرة رقم (USM A-20-628) في متحف جامعة صنعاء كما هو موضح (انظر الشكل١، ٢)، وهو نوع ليس له وجود في الوقت الحاضر، ولكن تدل هذه المبخرة على أنها كانت تعد نوعاً من أنواع البخور.

**١٧- ن ع م (𐩯𐩲𐩥):**

استخدم بوصفه بخوراً في المعابد، ورد في المعجم السبئي أن " نعم " هو نوع من الطيوب[٣]، وقد ورد هذا النوع في النقوش(CIH 683) وذلك كما يلي:

(١) المرجع نفسه، مادة " ق ب ل " ص١٠٣.

(٢) المرجع نفسه، مادة " ح ذ ك " ص٦٥.

(٣) بيستون، وآخرون، المعجم السبئي، المرجع السابق، مادة " ن ع م " ص٩٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022



ر ن د/ ذ هـ ب/ ن ع م/ ق س ط/

رند ذهب نعم قسط

ومما سبق نستخلص كثرة الأسماء الواردة عن البخور في النقوش، لذا يجب علينا أن نلقي الضوء على الأوعية التي استخدمت لحفظ البخور، وفي العادة هذه الأوعية كانت مصنوعة من الأحجار، ومنها ما كان مصنوعـًا من البرونز. وقد حاول إنسان اليمن القديم أن يستفيد من البيئة المحيطة به، ونلاحظ مدى تأثيرها فيه، وذلك من خلال أعماله الفنية القديمة، ونلاحظ ذلك من خلال المعروضات الموجودات في متحف الآثار – عدن، فأغلبها مصنوع من الحجر، أي أنها أقرب وسيلة استفاد منها الإنسان اليمني في صنع ذلك التراث الأثري الرائع، (فصاغ نماذج فنية على درجة عالية من الدقة والجمال، وأن ذلك الإتقان يبرهن بما لا يدع مجالاً للشك بأن الفن اليمني لم ينشأ فجأة بدون مقدمات، بل جاء نتاجًا طبيعيًا لسلسلة من المقدمات المعقدة، التي استمرت الآلاف من السنوات وتطور خلالها المجتمع في العربية الجنوبية)، وإن كان هناك اختلاف من حضارة إلى أخرى، وهذا الاختلاف ناتج عن تأثر الإنسان بالبيئة المحيطة به، أو عن عوامل عقائدية، يعُدُّ الفن سجلاً للأحداث التاريخية وللعقائد[١].

(١) الشرعبي، عبدالغني علي سعيد، العلاقات المصرية من خلال الشواهد الأثرية والأدلة التاريخية منذ القرن الثامن قبل الميلاد وحتى القرن السادس، رسالة دكتوراه غير منشورة، في الآثار القديمة، جامعة القاهرة، كلية الآثار قسم المصريات، ١٩٩٥م، ص٢٨٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

## المبحث الثالث

### المباخر أو المجامر: م ق ط ر (𐩢𐩨𐩣𐩱)

ق ط ر، م ق ط ر (جمع)،م ق ط ر ت (اسم)، "مقطرة "، " مجمرة " (للبخور)، ورد في نقش(CIH 338/8) ، وقد عرفت المبخرة في لغة اليمن القديم باسم (م ق ط ر) [١]، فقد أتت كثير من النقوش بهذا الاسم، وقد عثر على نماذج عديدة منها مصنوعة من مواد مختلفة، ولاحظت مباخر جيرية رخامية، ذات غطاء مفتوح من الأعلى، وتوجد بعض المباخر مفتوحة (مبخرة برنزية) في مقدمتها وعل، وبعضها الآخر ثور. وهي ذات أشكال متعددة دائرية وغيرها. وقد تفنن الإنسان اليمني القديم في عملها. وقد نقش على بعضها اسم البخور الذي يحرق فيها، واسم صاحبها، واسم المعبد الذي خصصت له، والإله الذي نذرت له. وهناك قطع أثرية تعطينا الحفريات غير الشرعية فكرة وإن لم تكن كاملة عن نوعية القطع في المعابد (مذابح، مباخر، موائد إراقة السوائل (الخمور)[٢] .

#### صناعة المباخر وأهميتها في الطقوس الدينية:

يبدو أن أغلب مدن العربية الجنوبية (اليمن القديم) بها معابد، وقد تخصصت هذه المعابد لعبادة الآلهة، وقد يتخصص المعبد لعبادة إله واحد يكرس المعبد له، ويسمى باسمه وعلى سبيل المثال (معبد المقه)[٣]، أو (عثتر)، وتنذر له النذر، ويشرف على إدارة المعبد رجال دين (كهنة)، يقومون بالشعائر الدينية، ويستلمون النذور التي تنذر له، فقد كان أهل العربية الجنوبية (اليمن القديم) يقدمون النذور

(١) بيستون، وآخرون، المعجم السبئي، المرجع نفسه، مادة " ق ط ر " ص١٠٩.

(٢) بافقيه، محمد عبد القادر، مختارات من النقوش اليمنية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥م، ص١٠٢.

(٣) العريقي، منير عبد الجليل، معابد اليمن، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م، ص٣٠٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

والقرابين لآلهتهم في المعابد، فالمعبد في نظرهم ملك للإله، يستخدمه بوصفه منزلاً وتُحصَّل فيه الضرائب والعشور). وتقدم له النذور والقرابين، لذا فقد امتلأت المعابد بالنذور الكثيرة، التي هي عبارة عن تماثيل صغيرة، ومباخر وحيوانات، ولوحات فيها كلمات الدعاء، ونقوش بسيطة تعدد دواعي الشكر، التي يبتغي الحصول عليها من الإله في المستقبل.

وتعد المباخر من أهم أثاث المعابد في العربية الجنوبية وهي المخصصة لحرق البخور[١]، وهذه المباخر أيضًا تقدم بوصفها نذوراً للآلهة، فقد عُثِرَ في المعابد على كميات كثيرة متنوعة أيضًا. وأهم المواد التي تصنع منها تلك المباخر الآتي:

**أ- المباخر الحجرية:**

إن الأواني الحجرية التي تُعدُّ المباخر إحدى أنواعها، من أهم الصناعات الفنية التي قامت في العربية الجنوبية (اليمن القديم) لذا نلاحظ أن طبيعة اليمن الجبلية أثَّرت فيما أنتج إنسان اليمن القديم من فن. فنجد الأعمال الفنية القديمة سواء أكانت الأعمال الفنية الصغرى، منها الأواني واللوحات والنقوش، أم الأعمال الكبرى منها فن العمارة. فمثلًا نلاحظ على المباخر تأثير الحجر؛ فأمَّا أن تكون مصنوعة كليًا وأمَّا جزئيًا، وقد تم العثور على مبخرة مكورة ذات رجلين من الحجر الجيري، نقشت على أحد أوجهها وبخط غائر وهي الطريقة الأكثر استخداماً على المباخر المختلفة وقد عثر عليها (بخربة البيضاء)، وأما بارزة وهذا النوع قليل الاستخدام ولاسيما على المباخر الحضرمية[٢]، والسبئية الريدانية (الحميرية)

(١) الحمادي، هزاع محمد عبد الله، القرابين والنذور في الديانة اليمنية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار، قسم الآثار المصرية، عام ٢٠٠٦م، ص٤١٧.

(٢) بافقيه، محمد عبد القادر، لمحات من أعمال الصيانة والترميم في اليمن القديم، مجلة دراسات يمنية، العدد ٣٦، ص٥٣.

المتأخرة، وهناك مباخر صنعت من أحجار متنوعة منها الكلسية (الجيرية)، أو الأحجار الرملية ومنهاما صنع من الرخام أو المرمر وقليل منها ما صنع من الأحجار البازلتية الإسفنجية ذات اللون الأسود المعروف في العربية الجنوبية حالياً باسم أحجار الحبش، وهو حجر بركاني أسود اللون، وأقل من ذلك المباخر المصنوعة من المعادن وبالذات معدن البرونز، وكذلك المباخر المصنوعة من الفخار التي انتشرت صناعتها في وقتنا الحالي، إلى جانب المباخر المصنوعة من المعادن مثل النحاس والفضة وغيرها [١].

**ب- المباخر المصنوعة من الفخار والطين:**

إن الفخار في العصور القديمة كان السلعة، أو الأداة التي تستعمل أكثر من أي شيء في الحياة اليومية، فمنه كانت تصنع أواني الطعام والأوعية اللازمة للحفظ والتخزين، وبعض أنواع المؤن، كما تصنع منه أوعية لحفظ البخور، وبعض الأوعية ذات غطاء، وبعضها الآخر مفتوح (كما في المتحف - عدن).

لقد تم العثور على بعض المباخر من هذا النوع في حفريات مدينة(ريبون) في محافظة حضرموت، فقد عُثِرَ في أطلال معبد المدينة على كميات كثيرة من المباخر، وكان بعضها مصنوعاً من الحجر، وبعضها الآخر من الفخار المحروق.

وقد ذكر بافقيه: أنه لم يعثر على مبخرة من الفخار من الذي يستعمل حاليًا في حضرموت، ولكنه عثر في منطقة أثرية في سوريا على مبخرة شبيهة بمباخر الطين، التي تستعمل في محافظة حضرموت اليوم. وقد أرجع بافقيه وجود تلك المبخرة الأثرية في سوريا، بوصفها دليلاً على نمط المبخرة الطينية الحضرمية[٢].

(١) الحمادي، هزاع محمد عبد الله، مرجع سابق، ص٤١٩.
(٢) تقرير ريبون، صادر عن أعمال البعثة اليمنية السوفيتية، عام ١٩٨٣م، ص٤٣.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

### ج- المباخر المصنوعة من المعادن:

تَمَّ العثور على نماذج قليلة، من المباخر المصنوعة من المعادن التي عثر عليها في اليمن، مثل التي صنعت من البرنز، أو الذهب، أو الفضة. ونورد على سبيل مثال واحدة منها هي مبخرة مصنوعة من البرنز، (انظر الشكل (٢) أ، ب)، الذي عثر عليها في مواقع (أم ذيبية) في وادي ضراء في محافظة شبوة[١]، وقد عثر في هذه المبخرة على بقايا البخور الذي أحرق يوم الدفن غالبًا.

## النقوش والرسوم والزخارف في تزيين المباخر:

غالبًا ما تأتي المباخر في صور متعددة من حيث الشكل، والحجم، والنقوش، والرسوم. وبالرغم من المباخر التي عثر عليها مختلفة بعضها عن بعض، والرموز التي تأتي فيها هي غالبًا رموز دينية معينة ومحددة. ومن المباخر التي احتوت عليه من الزخارف المتنوعة، التي شغلت الواجهة الأمامية للمبخرة (انظر الشكل رقم٣)[٢].

### أ- المباخر التي رسم عليها الهلال والقرص:

إنَّ هذين الرمزين أكثر الرسومات التي تتكرر على مباخر اليمن القديم، وعلى الرغم من أن تلك المباخر التي تحمل هذه الرسومات، قد عثر عليها في مواقع مختلفة، إلا أن هناك فكرة واحدة يرمز إليها هذان الرمزان. وقد اختلف الباحثون حولهما، فمنهم من يقول: إنهما يرمزان للقمر، وهو كامل النمو وهلال، ومنهم من يقول: إنهما يرمزان للهلال والشمس، وحول ذلك نجد أن (أحمد فخري) يقول: «تماثيل الوعول تبرهن على أن المذبح قد خصص للإله المقه، ولكن الهلال والقرص ربما يرمزان لآلهة أُخَرَ أيضًا(انظر الشكل ٤). وهي رمز للآلهة ذات

(١) المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

(٢) نامي، خليل، نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٤٣م، ص٨٦.

حميم، ويشاركها الإله (ود) في معين، و(عم) في قتبان، و(سين) في حضرموت[١].

وقول آخر (نور الدين): «إنَّ هذه الرموز الدينية غالبًا ما تمثل رأس ثور يبرز من بين قرنيه دائرية تمثل الشمس، وهذا الرمز المتفق عليه أنه للإله المقه. ونجد أن هذين الرمزين يختلفان في بعض المباخر؛ حيث يظهر لنا الهلال ملتصق بقاعدة، وربما كانت ترمز لرأس ثور من الخلف، يظهر قرناه ويعلو القرص، والأشكال الكروية داخل قرون الحيوانات، التي يظن أنها ترمز إلى القمر (المعبود الأب في الثالوث الكوكبي)[٢].

ومن المباخر التي قدمت للإله المقه والتي رُسِمَ عليها صورتا الهلال وقرص الشمس ولاسيما على جوانبها (انظر الشكل ٤) في الجزء العلوي للمبخرة ذات الشكل المكعب الذي تعرض في بعض أجزائه لكسور، وقد دون السطران الأول والثاني من النقش فيما يبدو من الصورة في أعلى صورتي الهلال وقرص الشمس ولاسيما على جوانبها، حيث تعرضت بعض حروف كلماتها الأخيرة للتلف، ودون بقية النقش على الجانب الأمامي من المبخرة، ومما ورد في مضمون النقش (NA68)، ما يأتي:

١- و هـ ب م / ب.

٢- ط ن. .

٣- هـ ق ن ي / إ ل.

٤- م ق هـ/ ب ع ل.

٥- ن ي ط / م ف.

(١) فخري، أحمد، رحلة أثرية إلى اليمن، مرجع سابق، ص١٥٣.

(٢) نور الدين، عبد الحليم، مقدمة الآثار اليمنية، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٦٩.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

٦- . . م / م[١].

معني النقش:

صاحب النقش المسمى (و هب ب. . . طان قدم- قرب (للإله) ال مقه سيد (المعبد المسمى) نبط أو (نايط) مفحم (مقطر).

**ب- المباخر التي تحمل نقوشًا وكتابات:**

لقد حاول الفنان في العربية الجنوبية أن يظهر تلك المباخر بأشكال جميلة، حيث نقش عليها نقوشًا زخرفية، وكتابات بخط المسند؛ حيث إنها تمدنا بمعلومات تفيدنا في دراسة الحياة الدينية للإنسان اليمني. كما ذكرنا سابقًا أن هناك مباخر وجِدَت عليها كلمات تشير إلى نوع البخور فيها بعض الكتابات بالخط المسند، ويظهر عليها رمز الإله المقه. وأيضًا من المباخر التي قدمت للإله إل مقه في معبده المسمى نيط كما ورد في النقش (NA68)، وفي النقش (Ja696=Ja697).

**ج- المباخر التي رسم عليها رموز حيوانية:**

للثور والوعل أهمية كبيرة في الرموز الدينية القديمة. علمًا أنَّهُ في ديانات اليمن القديمة لم يُعد الحيوان إلهًا قطُّ، وإنما استعمل بوصفه رمزاً للآلهة. فنجد الثور والوعل هما رمزان دينيان، وربما كانا يرمزان لإله الإخصاب والقوة ويتكرران كثيرًا في الآثار اليمنية القديمة. كذلك الوعل يتكرر في بعض الرسومات التي تظهر على المباخر العربية الجنوبية، فنلاحظه صورة كاملة أو صورة رأسه فقط.

وفي المبخرة التي ذكرها (فخري)، عثر عليها في المعبد باسم (دار البيضاء)، وإذا ما نظرنا إلى هذه المبخرة، فإننا نجد في الجزء الأسفل من الجانب الأعلى منظرًا

(١) نامي، خليل، نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٤٣م، ص٨٦.

يمثل (شجرة الحياة)، ويقف على جانبيها وعلان، يقف كلٌّ منهما على رجليه الخلفيتين، ويقول: إنَّ الفكرة الأساسية وراء هذا المنظر لابد من أنها متأثرة بالفن والأساطير البابلية، ووجود صورة الوعل على المبخرة يبرهن أنها خصصت للإله المقه(انظر الشكل رقم ٥)[١]

**د- المباخر التي رسمت عليها رموز زخرفية:**

هناك مباخر رسمت عليها رموز زخرفية من الخارج، وهي عبارة عن أشكال... وبعضها تحمل زخارف معمارية رائعة، رسمت عليها أكاليل، وزهور، وأشجار النخيل[٢].

ومن الآثار الشعائرية التي تقدم في المعابد ما قدمت إلى المعبود ذي سماوي التي عثر عليها في اليمن، وهي نوعان:

١- مذابح في شكل مجامر صغيرة مكعبة الشكل؛ أغلبها مصنوع من الحجر الكلسي، وبعضها من الفخار، ولها أربع أرجل صغيرة، وعلى أبدانها زخارف مختلفة منها المثلثات، والحزوز، والخطوط المتقاطعة، ومنها ما يحمل أسماء أنواع مختلفة من البخور المستعملة في ذلك الوقت، منها اللبان، والرند، والقسط، والضرو، والقلم. . إلخ، وقد وجدت هذه المذابح، أو المجامر الصغيرة المكعبة-(انظر الشكل (٦) أ،ب)- في أماكن كثيرة من الجزيرة العربية مثل: تمنع، شبوة، قرية الفاو، ثاج، جنوب الظهران[٣]. وقد اختفى هذا

(١) فخري، أحمد، رحلة أثرية إلى اليمن، مرجع سابق، ص١٥٣.
(٢) المرجع نفسه والصفحة ذاتها، ص٢٢٤.
(٣) الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، قرية الفاو، صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، الرياض، عمارة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ١٤٠٢هـ، ص٦٤.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

النوع من المذابح بحسب رأي (بيرين) في نحو القرن الأول قبل الميلاد(١).

٢- مذابح في شكل مجامر كبيرة مصنوعة من الحجر، تقدم -في العادة- لتلك المعبودات، وهذه يُحمل هيكلها على قاعدة هرمية الشكل، وفي العادة تزخرف واجهاتها بزخارف متنوعة منها ما هو على شكل هلال، يضم بين جنباته قرص الشمس، ويرتكز على قاعدة مخروطية، فضلاً عن زخارف معمارية تتمثل في الأبواب والنوافذ الوهمية. ومن الزخارف ما يمثل رسومًا لبعض الحيوانات كالوعول، فضلاً عن نصوص التقديم التي تحوي أسماء المقدمين والآلهة، وقد وجد هذا النوع من المذابح بكثرة في قرية الفاو(٢).

وترد في نقوش المسند أسماء مختلفة لمذابح البخور التي كان يحرق عليها أنواع البخور المختلفة. فقد كان يطلق على هذه المذابح الأسماء م ق ط ر (مقطر)، و م س و د ت (مسودت)، و م ف ح م (مفحم)، و م ج م ر (مجمر). ومن مذابح الحجرية المشارة إليها آنفًا، هو في شكل مجمرة متوسطة الحجم عليها بالخط المسند، يسجل إهداء المذبح ذاته إلى المعبود ذي سماوي (ذ ي س م و ي)(٣) كما ورد في النقوش كلمة(أ ذ ن ن) لقب للمعبود ذي سماوي يرمز للسلطة أو القوة والقدرة(٤).

(١) بيرن، جاكلين، الفن في منطقة الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام، دراسات يمنية، العددان ٢٣، ٢٤، ١٩٨٦م، ص٢٣.

(٢) التمامي، منيرة حمد، مجامر قرية الفاو، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ، ص٥٧.

(٣) طيران، سالم بن أحمد، مذبح بخور (م ف ح م)، عليه نص إهدائي للمعبود ذي سماوي، إدوماتو، العدد الأول، مجلة نصف سنوية محكمة تعني بآثار الوطن العربي، شوال ١٤٢٠هـ/ يناير ٢٠٠٠م، ص٥١.

(٤) بيستون، وآخرون، المعجم السبئي، المرجع السابق، ص٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

## المبحث الرابع
## الآلهة الذين قدمت له البخور و المباخر

تُعَدَّ المباخر من أهم أثاث المعابد، وهي تُعَدَّ أمراً ضرورياً لعملية إحراق البخور فيها، وتعد من الطقوس الدينية المهمة التي تقدم في مناسبات متعددة، منها قدوم المتعبد إلى معبد الإله المعبود للقيام بأداء شعائره الدينية، ومنها تقديم القرابين الإهدائية، أو القرابين النذرية، حيث يبدأ المتعبد بإحراق بخور قدومه للمعبد، إما في المباخر التي وضعت في قدس الأقداس، أو في أروقة المعبد، أو في الفناء المكشوف منه(١).

حيث يتم بعد ذلك تبخير القربان أو النذر المقدم، ولاسيما متى ما كان من نوع القرابين أو النذور المذبوحة؛ لأن عملية حرق البخور في الديانة اليمنية القديمة طقس شعائري مطلوب القيام به في كل المعابد العربية الجنوبية القديمة(٢).

### أولاً - الآلهة الذين قدمت لهم البخور:

البخور من أهم القرابين والنذور التي كانت تقدم للآلهة في العربية الجنوبية، وكانت هذه المادة أغلبها تقدم بوصفها عشوراً للمعابد عن الكميات التجارية منها، أو تقدم بوصفها مادة محروقة، وفي العربية الجنوبية يؤرخون بيوم إحراق البخور في المعابد بكميات كبيرة لأحداث أُخرَ معمارية أو غيرها من الأحداث القديمة، ومن الآلهة التي ورد في النقوش ذكر تقديم البخور لها ما يلي:

**- الإله المقه:**

من النقوش التي ورد فيها ذكر تقديم البخور للإله إل مقه، النقش (CIH582).

(١) الحمادي، هزاع محمد عبد الله، مرجع سابق، ص٤١٧.
(٢) العريقي، منير عبد الجليل، المرجع السابق،ص٣٠٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ويتكون هذا النقش من سطرين دوِّنا بطريقة خط المحراث على قطعة حجرية عثر عليها في معبد أوأم في مأرب، وهذا ما يدل على أنه من النقوش القديمة، وربما العائدة إلى عهد مكاربة سبأ، ومما ورد فيه ما يلي:

١- ي ش ط / ب ن / ت ب ع ك ر ب / هـ

٢- ق ن ي / إ ل ق هـ / أ ب خ ر

معنى النقش:

صاحب النقش المسمى (يشبط بن تبع كرب قدم - قرب للإله) إل مقه بخوراً[١]

**- الإله ود:**

قدم البخور للإله ود (القمر) وكان إلهـًا رئيسـًا لمملكتي أوسان ومعين. ومن النقوش التي ورد فيها ذكر تقديم البخور لهذا الإله باسم (معثي أو معثيت) في النقش(GI1234)، إذ ورد في السطر الخامس من هذا النقش، ويشير هذا التاريخ للحدث المعماري المكرس لآلهة معين بما قدم من بخور للإله ود، وذلك على النحو الاتي:

- ي و م / ع ر ب / د ح م ل / و ب د ي ت / وع ب د ت / م ث ع ع ي / و د م/ ب ح ض ر هـ س.

معني النقش:

يوم قدم (أصحاب النقش) دحمل وباية وعبيدة بخوراً (للإله) (ود) في هيكله أو في معبده ربما في موسم الحج الخاص به [٢].

(١) الحمادي، هزاع، المرجع السابق، ص٤٩٨.

(٢) المرجع نفسة والصفحة ذاتها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

**- الإله عثتر ذو رحبة:**

قدم البخور للإله عثتر في معابده المقامة بمنطقة المعينية أو في المناطق الأخرى، إما بصورة منفردة أو مع آلهة أُخَرَ، ومن النقوش التي قدم فيه البخور لهذا الإله بصور منفردة النقش (Res2846) ورد فيه ما يأتي:

- م ث ع ي ت / ع ث ت ر / ذ ر ح ب ت

أي أن صاحب النقش المتلف اسمه قدم بخوراً للإله عثتر في معبده المسمى ذو رحبة. وتقع هذه المنطقة إلى الشمال من صنعاء[1]، وكانت تتبع مملكة معين في أوج ازدهارها.

**ثانياً: الآلهة التي قدمت لهم المباخر:**

كانت المباخر تستخدم لحرق البخور عليها في المناسبات الدينية منها الحج، أو في الزيارات الموسمية، أو في الطقوس الدينية اليومية، ولهذا فقد كثر تقديم المباخر بوصفها قرابين أو نذوراً للآلهة المعبودة في العربية الجنوبية، وهناك من المباخر ما خصصت للاستخدامات الشخصية، حيث دونت عليها أسماء الأشخاص الذين خصصت لهم في معابد الآلهة المعبودة دون الإشارة إلى إهدائها للإله المعبود في المعبد الذي وجدت فيه، فربما تكون قدمت بوصفها تذكاراً بدلاً عن التمثال الذي ربما كانت تكاليفه كبيرة، ولا يقدر عليها بعض الأشخاص من العامة (انظر الشكل رقم (٧) أ، ب).

**- الإله المقه:**

ومن النقوش التي يرد ذكر للمباخر التي قدمت بوصفها قرباناً للآلهة النقش (Ja696=Ja697)، وهذا النقش عثر عليه في معبد أوأم الخاص بالإله إل مقه

(١) القحطاني، محمد سعيد، المرجع السابق، ص١٧١.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

(القمر) والواقع خارج مدينة مأرب، ورد في هذا النقش ما يلي:[١].

١- ع ل هـ ن / ب ن / ع ل هـ ن / أ

٢- د م / ك ب ر / خ ل ل / هـ ق

٣- ن ي / ث ر ن هـ ن / و م ق ط رن.

معنى النقش:

صاحب النقش المسمى علهان من أسرة علهان التابعة (لأسرة أو قبيلة) كبيرة خليل قدم- قرب (تمثالي) الثورين والمقطرة (المبخرة). والواضح من النقش أنه لم يذكر فيها المناسبة التي قدم من أجلها القربان، فربما يكون هناك نقص في النقش أدى إلى عدم معرفتها، وربما يكون القربان المذكور تطوعي دون أية مناسبة.

**- الإله عثتر:**

من المباخر التي قدمت لمعابد الإله (عثتر)، ومن هذه النقوش النقش (CIH422)، وهو من النقوش السبئية، ويتكون من أربعة أسطر كتبت على واحد من وجوه قاعدة المبخرة المقدمة للإله عثتر، ورد في محتوى النقش ما يأتي: [٢].

١- أ م ت / ش م س م / ذ ت / و هـ

٢- ر ن / هـ ق ن ي ت / ع ث ت ر / م ق ط ر

٣- ن / ل س ع د هـ م و / ن ع م ت م

٤- و أ و ل د م / هـ ن أ م.

معنى النقش:

صاحبة النقش المسماة أمة شمس الوهرانية (نسبة إلى أسرة أو منطقة تسمى

(١) Ja696=Ja697، وانظر: الحمادي، هزاع، المرجع السابق، ص٤١٩.

(٢) CIH422، وانظر: الحمادي، هزاع، المرجع السابق، ص٤٢٢.

وهران)، قدمت – قربت (للإله) عثتر هذه المقطرة (المبخرة)؛ من أجل ما أسعدها به (الإله عثتر) من النعم والأولاد الأصحاء السالمين.

**– الإله سين:**

ومن المباخر المسماة بـ (مفحم) التي قدمت للإله الحضرمي سين (القمر)، وهذا ما وضحه النقش المدون على أحد جوانب عمود مستطيل الشكل به بروز من أعلى، وآخر من أسفل وتحديداً في الجانب الأمامي من الدعامة فيما يلي النقش مباشرة، (انظر الشكل رقم ٨) الذي عثر عليه في معبد الإله المسمى (ذو حلسم) في منطقة بالقطفة، وقد نشر هذا النقش (جاكلين بيرين) تحت رمز(BAQ1)، وذلك ضمن النقوش الأخرى التي كشف عنها في هذا المعبد، ومما ورد في هذا النقش ما يلي:

– ذ ل ح د س / ب ن / ي ك ب د / س ق ن ي / س ي ن / م ف ح م هـ ن [١].

معنى النقش:

صاحب النقش المسمى (ذو لحدس بن يكبد)، قدم – قرب (للإله) سين المفحم (المبخرة). ومن محتوى النقش تبين أن صاحب النقش لم يذكر المعبد الخاص بالإله سين الحضرمي، الذي عبد في منطقة باقطفة التي عثر على هذ النقش فيها، حيث كانت قديماً ضمن مناطق نفوذ مملكة حضرموت.

**– الإله لحيعثت والإله عم أنس:**

من المباخر التي قدمت لهذين الإلهين الذين قد عبدا في منطقة ناعط، وهي التي عثر فيها على مبخرة عليها نقش (Na8)، وهي مبخرة صغيرة مصنوعة من الحجر،

(١) -Pirenne , J. L´ Apport des lnseriptions a PInterpretation du temple de Ba-Qutfah. Raydan, vol 2,Louvain (Belgium)1979, p. 217



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

وقد تعرضت لبعض الكسور في أطرافها العلوية (انظر الشكل ٩)، وهي المبخرة الوحيدة تقريبًا التي دون بداية النقش فيها على رأس ثور ذي الشكل المثلث، الذي شكل قرنية الهلال رمز الإله القمر، وفي أعلاه القرص الدائري رمز الإلهة الشمس، والذي عدَّه بعض الباحثين شكل نجمة [١]، وعلى هذا الأساس احتمل باحثون آخرون** أنه رمز الإله عثتر (كوكب الزهرة)، وهو في الحقيقة رمزاً للإله القمر.

## المبحث الخامس

## أهمية البخور وأثره في العلاقات الخارجية

أهمية صناعة النباتات العطرية في استخداماتها المختلفة، سواء أكان في الطقوس الدينية أم في المناسبات أم في العلاج الطبي؛ ساعد في إقامة علاقات تجارية بين جنوب الجزيرة العربية، وبين دول العالم القديم لاسيما مصر، الذين يطلقون على أرضها وما يقابلها من شواطئ إفريقيا المطلة على البحر الأحمر، اسم (أرض بونت)*** واسم (الأرض المقدسة)، التي يجلب منها البخور لإحراقه في معابدهم، أو يقدمونه قربانًا لآلهتهم، وظلت على أهميتها تلك في العصر الهلينستي،

(١) نامي، خليل، المرجع السابق، ص١٢.

** حيث يرى منير العريقي: من المعروف أن من رموز التي اتخذها أهل العربية الجنوبية كانوا يرمزون بها عن الشمس هي الأسد والحصان كما رمز لها بالكروم (العنب). للمزيد انظر: العريقي، منير عبدالجليل، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم، مكتبة مدبولي، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٦٧، ورمز النجمة: يقصد بها الآله عثتر: عند باحثين آخرين ومنهم: عبدالحليم نور الدين، مقدمة في الآثار، المرجع السابق، ص٦٦؛ وباخشوين، الحياة الدينية، المرجع السابق، ص٢٢١.

*** عن أرض بونت أو بلاد(Punt) انظر، باوزير، محمد بن هاوي، " اليمن في القرآن الكريم والشعر الجاهلي وكتب المؤرخين والجغرافيين العرب القدس "، رسالة دكتوراه (غير منشورة) في جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - تونس، 14 يونيو 2004م، ص56 - 58.

وصارت تعرف بأرض البخور وغيره، ونظرًا لتطور العلاقات الاقتصادية بينهما، فقد عثر في الجيزة على نقش بالخط المعيني لتاجر معيني يدعى زيد بن زيد من عهد بطليموس الثاني، الذي يعتقد أنه أصبح كاهنًا في أحد المعابد المصرية؛ حيث قام باستيراد كميات من المر والبخور بسفينة، كان يمتلكها مقابل نوع من المنسوجات التي كانت تصنع في معبده(١)

من المعلوم أن منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية (العربية الجنوبية)، قد أقامت علاقات مختلفة مع دول العالم القديم خلال المدة من القرن العاشر حتى نهاية القرن الأول ق. م. وكانت على رأس تلك الصلات تجارة البخور والمباخر، وكان للمؤثرات الجغرافية والبشرية والتاريخية والسياسية أهمية بارزة في الحركات التجارية لتلك المنطقة(٢).

لا يخفى على الباحث الرصين والمتعمق في شؤون حضرموت التي تُعَدَّ بلد البخور؛ أنها مملكة مترامية الأطراف كانت تتوسط جنوب شبه الجزيرة العربية، وتمتد من مشارق وادي بيحان في قتبان غربـًا إلى حدود عمان شرقـًا منطقة ظفار أَفضل المناطق المنتجة للبخور، وقد امتدت عبر البحر حتى جزيرة سقطرى، وإلى عاصمتها (شبوة)، وكان يجلب اللبان لتخزينه فيها، وكانت مدينة(قنأ) الميناء التجاري الرئيس لحضرموت(٣)

لقد توافرت في منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية ثلاث مقومات رئيسة أسهمت بدور كبير في قيام دول مستقرة على أساس اقتصادي قوي مستمر، أولها: زراعة منتظمة تقوم على مساحات كبيرة من الأراضي الخصبة، وقدر كاف من الأمطار

(١) عبد العليم، مصطفى كمال، المرجع السابق، ص٢٠٢.
(٢) يحيى، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ص١٠٤.
(٣) بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، بيروت، ١٩٨٥م، ص١١.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الموسمية الغزيرة، وثانيها: مناطق واسعة من الأشجار الطبيعية والنباتات التي تنتج التوابل والطيوب (البخور)، وهي سلعة كان العالم القديم في حاجة شديدة إليها، أما ثالث: هذه المقومات فهي التجارة، هذا إلى جانب موقع يتحكم في بدايات الخط التجاري البري من الجنوب إلى الشمال، والخط التجاري البحري بين الشرق والغرب عند ملتقى المحيط الهندي والبحر الأحمر(١).

لقد كان للبخور الذي تنتجه أراضي تلك الدول دور مهم في تلك العلاقات بين شعوبها، وكان واحداً من أَهم الأسباب التي أدت إلى وجود تنافس وصراع مستمر بينهم في سبيل السيطرة على طرق تجارته التي تمر عبر أراضيهم(٢).

لقد تميزت منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية بإنتاجها لأجود أَنواع البخور والمواد العطرية التي أسهمت بصورة كبيرة في ازدهارها بتجارة البخور خلال المدة من القرن العاشر حتى نهاية القرن الأول ق. م. والبخور عبارة عن مواد صمغية غير سامة، وهي طيبة الرائحة، مع إضافة عود الصندل في بعض الأحيان، وغيره من المواد الأخرى ليعطي روائح عطرة، ويصنع البخور إما في شكل مصنوع أو أعواد(٣).

لقد أدى ظهور البخور في العربية الجنوبية إلى بناء أساس اقتصادي راسخ وإلى بقاء دول جنوب شبه الجزيرة العربية وتمتعها بقدر واضح من التوافق أو التكامل السياسي فيما بينها. وربما كان هذا انعكاساً للتكامل الاقتصادي بين تلك الدول، فقد كانت كل دولة تتميز بإنتاجها لنوع من الطيوب (البخور) أو التوابل

(١) يحي، لطفي عبد الوهاب، الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الرياض، ١٩٨٤م، ص٩٩.
(٢) عبد الله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن، المرجع السابق، ص٢٢٠.
(٣) مجموعة من المؤلفين، (البخور) الموسوعة العربية العالمية، المرجع السابق، ص٢٣٦.

دون الأخرى[١]، بل شكّل البخور أقوى مظاهر العلاقات الخارجية بين الممالك القديمة؛ إذ كانت تلك الأنواع تتجمع عند بداية خط القوافل البري (طريق البخور) الذي يمر في مناطق حددتها التضاريس الطبيعية وجعلتها أنسب من غيرها، لذلك كان لابد من وجود قدر من التكامل بصورة أو بأخرى بين تلك الدول؛ إذ اتخذ شكل تبادل السيادة أو تتابعها على المنطقة من حين لآخر[٢].

إن أثر البخور في العلاقات الخارجية لأشهر دول العربية الجنوبية تمثل بدول خمس هي حضرموت وسبأ و معين وقتبان وأوسان، قامت في مدد متداخلة ومتعاقبة، وكانت متعاصرة متعاونة أو متنافسة متناحرة، كل واحدة منها تستقل بنفسها تارة، وتدين بالولاء لبعض جاراتها تارة أخرى[٣]. ويبدو أن البخور الذي تنتجه أراضي تلك الدول له دور مهم في العلاقات بين شعوبها، وكان واحداً من أهم الأسباب التي أدت إلى وجود تنافس وصراع مستمر بينهم في سبيل احتكار تجارته، والسيطرة على طرق تجارته التي تمر عبر أراضيهم[٤].

**الخاتمة:**

بعد رحلة البحث استخلصت الباحثة النتائج الآتية:

- أَن (البخور) و (المباخر) قد احتلت مكانة عظيمة في الحياة الدينية والاجتماعية في العربية الجنوبية (اليمن القديم).
- أصبحت سلعة (البخور) و (المباخر) توأم الحياة الاجتماعية والطقوس الدينية التي لا يمكن أَن يستغني عنها في أية مناسبة (دينية – اجتماعية)، وعلى وفق ما تقدم تفنن الإنسان في العربية الجنوبية في عملها وأتقن ذلك.

(١) يحي، لطفي عبد الوهاب، الوضع السياسي، المرجع السابق، ص٩٩.
(٢) المرجع نفسه والصفحة ذاتها.
(٣) بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص١١.
(٤) عبد الله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، المرجع السابق، ص٢٢٠.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

- ينفي فان بيك نمو أشجار اللبان في المرتفعات الغربية والتي كانت تقع تحت حكم السبئيين ويحمل فان بيك كل من ثيوفراست، وديودور، وأسترابو، وأرتميدس مسئولية الخلط والتشويش فيما يتعلق بموقع مناطق اللبان بسبب ادعائهم بأن بلاد السبئيين تنتج اللبان، ويعتقد بأن الأدلة الأثرية سوف تؤكد ذلك وتوجد أشجار اللبان بمنطقة المهرة والمحفد، وكلما اتجهنا (شرقا)،وفي وادي حجر والتلال الشرقية لحضرموت جبال الجول (حيث يوجد فيها اللبان البدوي ويتم استنباته في مناطق الزراعة المروية، ولازالت أشجار اللبان تنمو في وادي الغبر أحد الأودية التي تتفرع من وادي دوعن. كما يوجد في جزيرة سقطرى عدة أنواع. وأيضًا على شاطئ باب المندب.
- لقد ازدهرت الحركة التجارية في المنطقة بفضل التقدم الزراعي والاجتماعي وأثره في تجارة البخور والمباخر.
- أصبحت دول العربية الجنوبية آنذاك تسوِّق منتوجاتها المتنوعة لاسيما منتوجاتها الطيوب والعطور.
- أصبحت العربية الجنوبية وسيطًا تجاريًا مهمًا بين الشرق والغرب، لموقعها الجغرافي الاستراتيجي، وأظهر أهلها مهارةً ونبوغًا في أمور البيع والشراء.
- أكسبهم الاتجار بالبخور والمباخر معرفة عميقة للطرق التجارية، البرية والبحرية.
- كان نشاطهم التجاري ولاسيما في تجارة البخور له مردود مالي وفير، ساعد على زيادة خزينة الدولة، ومن ثَمَّ ثراؤها وترف شعبها.
- يبدو أن هذه التجارة (تجارة البخور) قد عكست نفسها في المدى التاريخي على الصلات والعلاقات التجارية والحضارية ودول بلاد العرب الجنوبية والحضارات القديمة ولاسيما المجاورة لها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

## الملاحق

### جدول يوضح ألفاظ (أنواع البخور، المباخر)، الواردة في البحث:

| المسند | اللفظ | الصفة | المعنى | المصدر |
|---|---|---|---|---|
| 𐩣𐩲𐩨 | ط ن ف | اسم | طيب | Ja635/4 |
| 𐩧𐩲𐩨𐩲/𐩲𐩨𐩲 | ل ب ن، ل ب ن ي، ل ب ن ي | اسم | (بخور) اللبن، الميعة | Ym 467 |
| 𐩵𐩺𐩧 | م ر ر | اسم | مر | RES 3427/1 |
| 𐩵𐩺𐩧𐩱 | أ م ر ر | جمع | مرور | RES 3427/1 |
| 𐩣𐩵𐩫 | ص ر ف | اسم | نوع من أنواع البخور | CIH400 |
| 𐩧𐩵𐩨𐩨 | ط ي ب م | صفة | عاطر ذو رائحة | Ja635/4-5 |
| 𐩧𐩨𐩮𐩨 | ذهب | | نوع من البخور | CIH683 |
| 𐩧𐩫𐩧𐩫 | ك م ك م | اسم | (نوع من الطيب) كمكام، دهن المرو | CIH682 |
| 𐩨𐩱𐩣 | ق س ط | اسم | عود | CIH682 |
| 𐩮𐩱𐩵 | ر ن د | اسم | رند (نوع من الطيب) | CIH682 |
| 𐩱𐩱𐩺 | ل د ن | اسم | لادن(نوع من البخور) | CIH685 |
| 𐩣𐩺𐩧 | ض ر و | اسم | نوع من الطيب | CIH681 |
| 𐩱𐩫𐩮𐩮𐩣 | ق ل ي م ت ن | اسم جمع | نوع من الطيب | CIH681 |
| 𐩫 𐩮 𐩺 𐩱 | س ل خ، س ل خ ت | اسم | نوع من الطيب | Ym 467 |
| 𐩣𐩱𐩨 | ط ن ف | اسم | يقصد بها الطيب | المعجم السبئي |
| 𐩺𐩨𐩣𐩨 | قبل | اسم | نوع من الطيوب | CIH439/2 |
| 𐩲𐩧𐩮𐩣 | حذك | اسم | نوع من الطيوب | CIH681-684 |
| 𐩧𐩧𐩯𐩣 | أضم | اسم | نوع من أنواع البخور | USM A-20-628 |
| 𐩧𐩣𐩱𐩱 | نعم | اسم | نوع من الطيوب | CIH683 |
| 𐩵𐩺𐩨𐩧𐩣 | م ق ط ر | جمع | مجامر، مقاطر | CIH338 |

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

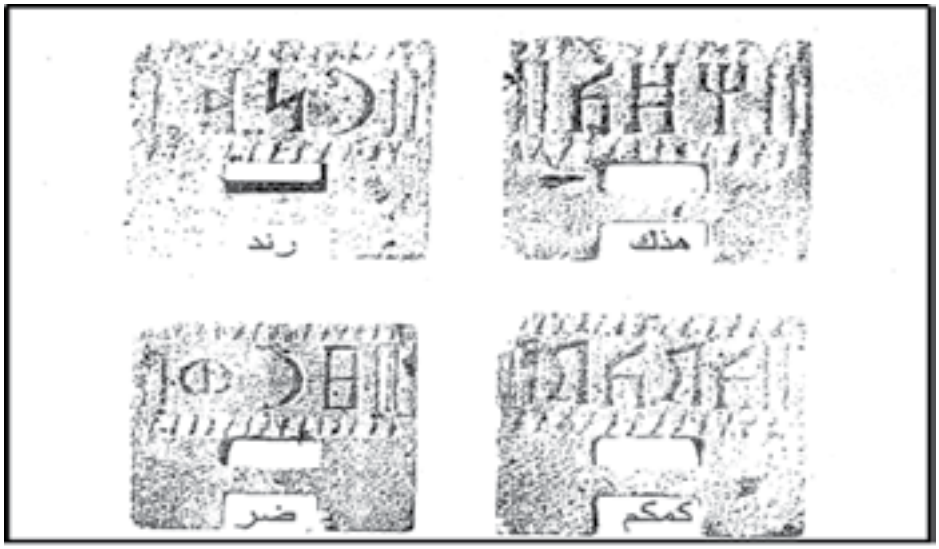


**الشكل (ا) أ**

مباخر حجرية كل واحدة منها تحمل اسم البخور الذي يحرق عليه

الجرو، أسمهان سعيد، الحياة الحضارية في اليمن القديم، ص١٥٨.

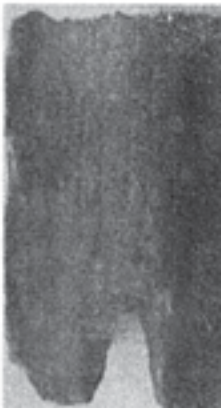

**شكل (ا) ب**

مبخرة رقم

(USM A-20-628)

متحف جامعة صنعاء،

كتب عليها لفظة أضم

**شكل (ا) ج**

مبخرة يظهر عليها لفظة

اللبان (لبني)

اللبان (لبني) (YM467)

**شكل (ا) د**

مبخرة يظهر عليها

لفظة السليخة (سلخت)

(YM467)

**شكل (٢) أ**

**مبخرة من البرونز دائرة الشكل يظهر بها الوعل والهلال والقرص والمسنات**

ME 132909

http:/www. briushmuscum. org/expiore/ online_ tours/iniddle_east/ancient south Arabia/bronze incense bu

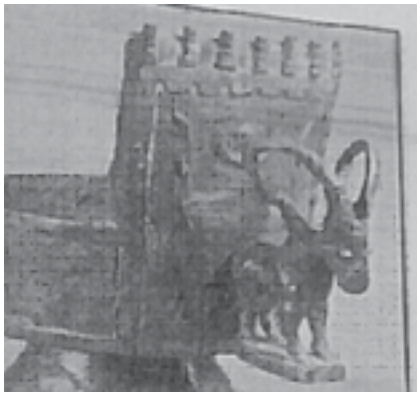

**شكل (٢) ب**

**مبخرة من البرونز دائرية الشكل ملتصقا بها الوعل والهلال والقرص والمسنات**

http://www. acaciatours. com/html/ itje_2. htm1

from South Arabia: H(27. 6)Yemen .tourism: Bronze incecse burnercm

**شكل رقم (٣)**

**مبخرة من الحج الكلسي مدون عليها نقش في جزئيها العلوي والسفلي**

**خليل يحي نامي عام ١٩٤٣م**

**شكل رقم (٤)**

**مبخرة حجرية زخرفت بأشكال هندسية**

Boucharlat. Rand Salles,J. , The Tylos (period(300BC-600AD

P. 109



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

**الشكل رقم (٥)**

**فخري، أحمد، رحلة أثرية الى اليمن، ١٩٨٨م, ص٢٢٤**

**الشكل (٦) أ**

**الشكل (٦) ب**

**طيران،سالم بن أحمد، أدوماتو العدد الأول،يناير،٢٠٠٠م،ص٥١**

**شكل (٧)**

مبخرة من الحجر الكلسي
عن الهيئة العامة للآثار

**شكل (٨)**

مبخرة على عمود من الحجر
الكلسي عن فرانسوا
بريتون ١٩٧٩م

**شكل (٩)**

مبخرة من الحجر الكلسي مدون عليها نقش في جزئيها
العلوي والسفلى، عن خليل يحيى نامي ١٩٤٣م

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

## قائمة المختصرات والرموز

ب. ت = بدون تاريخ

ASOR= Annual of the American School of Oriental Research, Philadelphia, The Americal Research.

- BAQ = Inscriptions Ba-Qutfah Temple- published dy J. pirenne.
- CIH= Corpus Inscriptionm Semiticarum, Himyariticas et Sabaeas Continens, Tomus I,II,III,Paris, 1889. 1911,1929
- Ja = inscriptions publieés par A. Jamme:
- Ibib = تعني المرجع نفسه
- NA=Inscriptions published by Khalil Yahya Nami
- RES=Repérotoire d,Epigraphie Sémitique. -
- RY=Rnscriptions published by Ryckmans.
- USM =University of Sana'a, a Museum.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

## المصادر والمراجع


١- الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، قرية الفاو، صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٢- بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، بيروت، ١٩٨٥م.

٣- . . . . . ، مختارات من النقوش اليمنية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥م.

٤- . . . . . ، لمحات من أعمال الصيانة والترميم في اليمن القديم، دراسات يمنية، العدد ٣٦، أبريل، مايو، يونيو، مجلة فصلية تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٩م.

٥- باوزير، محمد بن هاوي، " اليمن في القران الكريم والشعر الجاهلي وكتب المؤرخين والجغرافيين العرب القدس "، رسالة دكتوراه (غير منشورة) في جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – تونس، ١٤ يونيو ٢٠٠٤م.

٦- . . . . . ، الشواهد النقشية لتجارية البخور وثيقه مهمة وصورة حية للوحدة الحضارية بين اليمن القديم والوطن العربي القديم، المجلة اليمنية للبحوث الزراعية، العدد (٢٦)، دار جامعة عدن، يونيو ٢٠٠٨م.

٧- . . . . . ، كراسات في تاريخ حضرموت وتراثها، ط١، دار الوفاء للدراسات والنشر، عدن، ٢٠١٤م.

٨- بيرن، جاكلين، الفن في منطقة الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام، دراسات يمنية، العددان ٢٣، ٢٤، ١٩٨٦م.

٩- بيستون، أ. ف. ل، محمود الغول، والتر موللر، جاك ريكمانز، المعجم السبئي، بيروت، لوفان، مكتبة لبنان، ودار نشريات بيترز، ١٩٨٢م.

١٠- التمامي، منيرة حمد، مجامر قرية الفاو، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، (١٤١٩ه).

١١- تقرير ريبون، صادر عن أعمال البعثة اليمنية السوفيتية، عام ١٩٨٣م.
١٢- الجرو، أسمهان، التواصل الحضاري بين عرب الجنوب والعالم القديم، مجلة دراسات يمنية، العدد ٣١، صنعاء، ١٩٩٠م.
١٣- حبتور، ناصر صالح، حسين، أسوان محمد، عامل نشوء المراكز والمدن في اليمن القديم، سبأ، مجلة تاريخية حولية محكمة تصدر عن أقسام التاريخ والآثار، جامعة عدن، العدد (١٨-٢٠)، جمادي الآخر ١٤٢٤هـ/ إبريل ٢٠١٣م.
١٤- حتي، فيليب، تاريخ العرب المطول، ج١، ط١، دار الكشاف، بيروت، ١٩٦٥م.
١٥- الحمادي، هزاع محمد عبد الله، القرابين والنذور في الديانة اليمنية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار، قسم الآثار المصرية، ٢٠٠٦م.
١٦- الدبعي، عبد الرحمن سعيد، الخليدي، عبد الولي أحمد، النباتات الطبية والعطرية في اليمن، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء ١٩٩٧م.
١٧- زكريا، أحمد وصفي، رحلتي إلى اليمن، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٨٦م.
١٨- الزبيدي، محب الدين أبي فيض السيد مرتضى الحسيني، شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، (د. ت).
١٩- زيادة، نقولا، "دليل البحر الإرتيري وتجارة الجزيرة العربية البحرية"، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، إشراف: أ. د. عبد الرحمن الأنصاري، مطابع جامعة الملك سعود، ط١، (١٤٠٤هـ).
٢٠- سيد، عبد المنعم عبد الحليم، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.
٢١- شرف الدين، أحمد، مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية، إشراف: أ. د. عبدالرحمن الأنصاري، مطابع جامعة الملك سعود، ط١، (١٤٠٤هـ).
٢٢- عبد الحكيم شائف محمد، تجارة اللبان والمر في اليمن القديم، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الاجتماعية والإنسانية. العدد٤، ٢٠٠٨م.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

٢٣- شهاب، حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار العودة، ط١، بيروت، ١٩٨١م.
٢٤- الشرعبي، عبدالغني علي سعيد، العلاقات المصرية من خلال الشواهد الأثرية والأدلة التاريخية منذ القرن الثامن قبل الميلاد وحتى القرن السادس، رسالة دكتوراه غير منشورة، في الآثار القديمة، جامعة القاهرة، كلية الآثار قسم المصريات، ١٩٩٥م.
٢٥- طيران، سالم بن أحمد، مذبح بخور (م ف ح م)، عليه نص إهدائي للمعبود ذي سماوي، إدوماتو، العدد الأول، شوال، مجلة نصف سنوية محكمة تعني بآثار الوطن العربي،١٤٢٠هـ (يناير ٢٠٠٠م).
٢٦- عبدالعليم، مصطفى كمال، تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية، إشراف: أ. د. عبدالرحمن الأنصاري، مطابع جامعة الملك سعود، ط١، (١٤٠٤هـ).
٢٧- عبدالله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره- مجموعة بحوث ومقالات، ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩٠م.
٢٨- عبد المولى، أسامه محمود، تجارة البخور في شبه الجزيرة العربية في الفترة من القرن العاشر حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، قسم شبه الجزيرة العربية،٢٠١٣.
٢٩- العريقي، منير عبدالجليل، معابد اليمن، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، جامعة القاهرة ٢٠٠١م.
٣٠- . . . . . ، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم، مكتبة مدبولي، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٣١- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٠م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٣٢- العسقلاني، أحمد بن علي بن بحر، شرح فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
٣٣- غلاب، محمد السيد، التجارة في عصر ما قبل الإسلام، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية، إشراف: أ. د. عبدالرحمن الأنصاري، مطابع جامعة الملك سعود، ط١، (١٤٠٤هـ).
٣٤- فريا ستارك، '' البوابة الجنوبية لبلاد العرب''، ترجمة: علي محمد باحشوان، مجلة اليمن، مركز البحوث والدراسات، جامعة عدن، العدد الثاني، ١٩٩٠م.
٣٥- القحطاني، محمد سعيد، آلهة اليمن القديم الرئيسة ورموزها حتي القرن الرابع الميلادي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٩٧م.
٣٦- لوكاس، الفريد، المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة: زكى إسكندر ومحمد زكريا غنيم، القاهرة، ١٩٩١م.
٣٧- مجموعة من المؤلفين،((البخور)) الموسوعة العربية العالمية، مج٤، الرياض، ١٩٩٤م.
٣٨- ابن منظور، جمال الدين محمد مكرم، لسان العرب، دار صادر، (د. ت)، بيروت، ١٩٧٠م.
٣٩- نامي، خليل، نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٤٣م.
٤٠- النعيم، نورة عبدالله العلي، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٢م.
٤١- نور الدين، عبد الحليم، مقدمة الآثار اليمنية، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٤٢- يحي، لطفى عبد الوهاب، الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادى، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الرياض، ١٩٨٤م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

## المراجع الأجنبية:


1- Groom, N, Frankincense and Myrrh, in: A study of the Arabian incense trade, Longman, librairie du Liban, London and New York, 1981.

2- The Encycolpedia Americana, the International work, Americana Corpora on, New York, vol,XX11, 1829.

3- Strabo, The geography of Strabo, translated by: Horace Leonard Jones, P, H, D, LL, D, the Loeb classical library, Vol, B, XV1, (4), London, 1966.

4- Wellested J. R. Travel in Arabia, Graz ADV, Vols 2, 1978.

5- Van Beek, Frankincense and Myrrh, B. A, New Haven, ASOR, Vol. 23, 1960.

6- Thomas, Bcrtram, Arabia Felix, London, 1932.

7- Miller, J, Innrs, The Spice Trade of The Roman Empire 29, B. C. to to A. D. 641, Oxford, The Clarendon Press, 1969.

8- -Pirenne ,J. L´ Apport des lnseriptions a PInterpretation du temple de Ba-Qutfah. Raydan, vol 2 ,pp. 202-241,Louvain (Belgium)1979



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

# طرق القوافل التجارية في حضرموت القديمة

د. محمد عوض باعليان[1]

**الملخص:**

يعالج هذا البحث طرق قوافل التجارة الرئيسة في حضرموت القديمة من خلال تقصي مسارات تلك الطرق ودروبها عبر وديان حضرموت وسهولها وهضابها الواسعة الممتدة بين ظفار شرقًا وحدود حضرموت الغربية، التي كانت تربط بين موانئ حضرموت وأهمها سمهرم وقنا وبين العاصمة شبوة وغيرها من المدن والأسواق، إلى جانب الطرق الرئيسة والبديلة التي كانت تخرج من شبوة باتجاه عواصم ممالك الجنوب الأخرى، والإشارة إلى محطات الاستراحة والمرافق الخدمية الواقعة على تلك المسالك لتوفير الغذاء والحماية لقوافل التجارة، كما يناقش البحث العوامل السياسية والاقتصادية التي أدت إلى ازدهار تلك الطرق أو اضمحلالها.

## Abstract

This article discusses the main commercial caravans routes in the ancient Hadramout by exploring these roads

(١) أستاذ مشارك في قسم الآثار بكلية الآداب- جامعة عدن.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

through the valleys, plains and plateaus of Hadramout, which extends from Dhofar in the east to borders of West Hadramout, which connected between ports of Hadramout as Samhram and Qena with capital Shabwa and other cities. as well as The main and alternative routes that were coming out of Shabwa towards the capitals of the other southern kingdoms, and the dedicate the rest stations and service facilities located on those routes to provide food and protection for caravans commerce.

**المقدمة:**

مارس اليمنيون القدماء التجارة على نطاق واسع داخليًا وخارجيًا في مختلف البضائع المحلية والمستوردة، وكانت الطيوب لاسيما اللبان والمر على رأس السلع النقدية التي كانت تعود بمردود كبير على اقتصاد ممالك جنوب الجزيرة العربية من خلال تصديرها إلى الشعوب والبلدان المجاورة عبر شبكة معقدة من الطرق البرية التي يعود أقدم مسالكها إلى عصور ما قبل التاريخ في اليمن. وقد كانت شبكة الطرق الداخلية تجتمع لتؤلف الطريق التجاري الدولي أو طريق اللبان بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها خلال العصور التاريخية. وكانت مملكة حضرموت أكبر ممالك جنوب الجزيرة العربية إنتاجًا للُّبان، وقد ساعدها ذلك على التحكم في طرق التجارة الرئيسة داخل حدودها وخارجها، حيث مهدت مساراتها وشقت الممرات الجبلية في مسالكها الوعرة ورصفتها بالحجارة، فضلًا عن تزويد الطرق بمحطات لراحة القوافل وأبراج لمراقبة وتأمين طرق التجارة وتأسيس مراكز لتحصيل الضرائب.

ويتناول هذا البحث موضوع طرق القوافل التجارية البرية الرئيسة التي كانت تقع ضمن نطاق أرض حضرموت قبل الإسلام، وهو موضوع لم ينل ما يستحقه من الدراسة من قبل. ويهدف هذا البحث إلى تتبع تلك الطرق عبر دراسة وصفية تُحدد

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

مساراتها وتقدر مسافاتها، وتُبين المحطات الواقعة عليها من خلال ما ورد عنها في كتابات الكلاسيكيين والرحالة المستشرقين، إلى جانب بعض الأبحاث المتعلقة بالتجارة ومسالكها في جنوب الجزيرة العربية.

ويقسم هذا البحث إلى مبحثين يتناول أولهما نشوء التجارة المحلية في جنوب الجزيرة العربية وأهم مراكزها التجارية والسلع الأكثر رواجًا. ويتناول المبحث الثاني مسارات طرق التجارة البرية الحيوية في حضرموت التي ربطت العاصمة شبوة بمناطق إنتاج اللبان الواقعة في شرق وجنوب المملكة من جهة، وبموانئها الرئيسة من جهة أخرى، إلى جانب تتبع طرق التجارة البديلة بين شبوة وعواصم الممالك العربية الجنوبية المجاورة.

## البحث الأول
## نشوء التجارة المحلية في جنوب الجزيرة العربية

تشير المعطيات الأثرية إلى أن أقدم عمليات التبادل التجاري في جنوب الجزيرة العربية ترجع إلى مرحلة العصر الحجري الحديث في حوالي الألف الخامس قبل الميلاد. وقد تنوعت السلع المتبادلة بين أقاليم جنوب الجزيرة العربية وكانت مادة حجر الاوبسيديان(Obsidian=Natural Glass) من بين أبرز المواد التي راج تبادلها محليًا في هيئة مادتها الخام أو على شكل أدوات مصنعة ومتعددة الاستخدامات مثل المكاشط والشفرات وبعض خرز الزينة التي تم العثور على بعضها في موقع متفرقة في وسط الجزيرة العربية وجنوبها وشرقها، كظفار في شرق حضرموت وذمار وريده وعسير في منطقة المرتفعات، وقطر على الساحل الشرقي للجزيرة العربية[1].

(١) زارنس، يورس، أرض اللبان- دراسة ميدانية أثرية في محافظة ظفار بسلطنة عمان، تحرير وترجمة معاوية إبراهيم وعلي التجاني الماحي، منشورات جامعة السلطان قابوس، سلسلة علوم الآثار والتراث الثقافي، مجلد(١)، (٢٠٠١)، ص٦٤-٦٥.

وقد تطلب تبادل تلك المواد نشوء عدد من المسالك البرية التي ربطت أقدم التجمعات السكانية والمستوطنات البشرية الواقعة في شرق الجزيرة العربية وجنوبها غربها. وتم عبرها نقل مختلف المنتجات التي لم يعثر الآثاريون منها إلا على بعض المواد التي قاومت عوادي الزمن وعوامل التلف، مثل بعض الخرز والمكاشط وقليل من أدوات الزينة المصنوعة من الأوبسيديان والأحجار الكريمة وشبه الكريمة والأصداف التي تم الكشف عنها في مناطق متفرقة وفي أماكن بعيدة عن مناطق إنتاجها، حيث لم يستدل في مناطق العثور عليها على أي مناجم أو ورش لإنتاج تلك الأدوات، وهي إشارة واضحة إلى أنه تم نقل تلك المواد من أماكن إنتاجها وورش صناعتها الأصلية[١]. ففي المطهفة بظفار شرق حضرموت مثلًا دلت التحقيقات الأثرية والتحاليل الكيميائية على أن مصدر تلك المواد هو منطقتي ذمار وريدة في المرتفعات الغربية، كما تم الكشف عن سبع خرزات من الأوبسيديان في قبرين شرق قطر يؤرخ لهما بالألف الخامس قبل الميلاد، وتبين بعد الكشف الكيميائي عن تلكم الخرزات السبع أن مصدرها منطقة عسير، وهو ما يشير كما يبدو إلى ارتباط جنوب الجزيرة العربية بشرقها عبر شبكة من الطرق التجارية امتد بعضها لمسافات تصل إلى(١٥٠٠كم) عبر الصحراء إبان مرحلة العصر الحجري الحديث[٢].

(١) دي ميجرية، اليساندرو، عصر البرونز في المرتفعات، في: اليمن، في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، ودار الأهالي، دمشق،(١٩٩٩)، ص٣٦؛ إدريس، جمال الدين محمد، قراءة في عصور ما قبل التاريخ حول نشأة المدينة في مرتفعات اليمن الوسطى، مجلة كلية الآداب، عدد ٤، يوليو، كلية الآداب، جامعة عدن،(٢٠٠٧)، ص٢٨٦.

(٢) زارنس، أرض اللبان، ص٦٤-٦٥.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وبنهاية تلك المرحلة مرت المنطقة بتغيرات مناخية قلَّت معها الأمطار الساقطة عليها ما أدى إلى حدوث هجرة تدريجية للسكان الرعاة، فتوغل بعضهم نحو مناطق المرتفعات الغربية لليمن التي احتفظت بنسبة رطوبة أكثر من غيرها، والبعض الآخر استقر في الشريط المحاذي لأطراف رملة السبعتين من الجنوب والغرب، معتمدين على استغلال مياه الأمطار المنحدرة من الجبال الجنوبية والغربية. وفي زمن لاحق من العصر البرونزي في اليمن(٢٦٠٠-١٨٠٠ قبل الميلاد) ظهرت أولى المستوطنات في مناطق خولان الطيال جنوب شرق صنعاء، في دلالة على بدء حياة الاستقرار[١] التي أدت بالضرورة إلى مزاولة سكان المستوطنات الناشئة لبعض الحرف، مثل صنع الفخار الذي تم إنتاجه بأشكال وأحجام متنوعة، وبكميات تجارية هائلة كما في موقع صبر شمال عدن، الذي كشف فيه عن أكبر معامل لصناعة الفخار في الجزيرة العربية يعود تاريخها إلى عصر البرونز[٢]. وفي مجال الزراعة، تم العثور على بذور القمح والشعير والذرة. وبطبيعة الحال، فإن هكذا نشاطات أدت إلى وجود فائض في المنتجات الزراعية والحيوانية شجع على نشوء نوع من التبادل تجاري للسلع بين التجمعات السكانية الصغيرة، يمكن لنا أن نتصور أنه كان متواضعا في بداياته، ولكنه ما لبث مع مرور الزمن أن ازدهر مؤديًا إلى ظهور طرق بسيطة كانت تسلكها الحمير كأقدم حيوان نقل وركوب، حيث

(١) Fedelel.F,"Man,Land. and Climate: Emerging Interactions from the Holocene of the Yemen Highlands" in: Man's Role in Shaping of the Eastern Mediterranean Landscape ,S. Bottema, G. Entjes-Nieborg and and W. va Zeist (eds), Balkema, Rotterdam, ( 990), p.38-39

(٢) ينظر: دي ميغريه، عصر البرونز، ص٣٤-٣٩؛ فوكت، بوركهارت و سيدوف، اليكسندر، ثقافة صبر على الشاطئ اليمني: اليمن، في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، ودار الأهالي، دمشق، (١٩٩٩)، ص٤٢- ٤٨.

كانت هناك اتصالات وتبادل للسلع الرئيسة كالذرة والقمح والتمر بين مناطق جنوب الجزيرة العربية إبَّان عصر البرونز[١].

لا شك أن استئناس الجمل الأسرع والأقوى والأكثر تحملًا في المدة ما بين منتصف الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد في منطقة جنوب غرب الجزيرة العربية[٢] أدى إلى تحسن سرعة وكثافة التبادل التجاري في تلك المرحلة ونشوء الطرق التجارية الطويلة بين جنوب وشمال الجزيرة. وفي سياق متصل، تشير المعطيات التاريخية والأثرية إلى رواج التجارة الداخلية بشكل ملحوظ منذ بداية العصور التاريخية في اليمن في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد تقريبًا، وتجلى ذلك في زيادة حركة نقل البضائع وتبادلها بمختلف أنواعها بين مدن جنوب الجزيرة العربية وحواضرها الواقعة على الحواف الجنوبية لرملة السبعتين التي كانت تمثل مركز الثقل السياسي والاقتصادي لجنوب الجزيرة العربية حتى ظهور الميلاد. وقد أدى رواج التجارة المحلية إلى شيوع مناخ من التواصل والتعايش والتفاعل بين سكان المجتمعات المحلية، إذ تشير بعض النقوش القتبانية مثل (RES4329;4337) إلى أن مدن مثل تمنع في وادي بيحان وهربت في وادي حريب كانت مستقرًا لعدد من الجماعات (الجاليات) السبئية والمعينية التي كانت تشتغل بالتجارة مع القتبانيين[٣].

(١) زارنس، أرض اللبان، ص٨١.

(٢) باعليان، محمد عوض، حيوانات النقل والحرب في اليمن القديم، دراسة في ضوء النقوش والآثار، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عدن(٢٠١٢) ، ص٤٦.

(٣) بافقيه محمد عبد القادر، بيستون، الفرد، روبان، كريستيان، الغول، محمود، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،( ١٩٨٥)، ص٣٠٢؛ القدسي، بشير حميد، الطرق التجاري موزع- ظفار، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، قسم الآثار، جامعة صنعاء، (٢٠١٦)، ص٤٩.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ومن نافلة القول إن ازدهار تجارة جنوب الجزيرة العربية قد ارتبط بزيادة الطلب على مواد البخور العطرية لاسيما اللبان والمر من مختلف المراكز الحضارية في الشرق القديم طوال الألف الأول قبل الميلاد، وبحلول العصر الميلادي ظهرت بوادر الضعف في تجارة اليمن الدولية لاسيما عقب اكتشاف حركة الرياح الموسمية في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي في زمن هيبالوس ما أدى إلى تنامي حركة النقل البحري على حساب حركة التجارة عبر الطريق البري والذي أدى بدوره إلى تدني أهمية ومركزية حواضر ممالك الجنوب الواقعة على الطريق الرئيس للتجارة الدولية عند حافة الصحراء فانتقلت السيطرة من تلك الحواضر إلى منطقة الهضبة أو المرتفعات الغربية. وازداد الأمر سوءاً مع قلة الطلب على مواد البخور العربية بعد تبني الإمبراطورية الرومانية للديانة المسيحية كدين رسمي للدولة في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، وترتب على ذلك ترك المعتقدات الوثنية القديمة فعزف الناس عن استخدام البخور في المراسم والاحتفالات الدينية والطقوس الجنائزية فاثر ذلك على اقتصاد ممالك اليمن القديم بعد ان أصيب بالركود. أضف إلى ذلك، أن احتدام الصراعات الداخلية بين ممالك اليمن القديم خلال تلك المرحلة أسهم في تدني اقتصادات تلك الممالك بشكل تدريجي حتى تلاشى الدور الريادي لتجار جنوب الجزيرة العربية في نقل التجارة، مع سقوط آخر الممالك الجنوبية على يد الأحباش في بداية القرن السادس الميلادي، وانتقال السيطرة على التجارة الدولية ومسالكها إلى قبيلة قريش في وسط الجزيرة العربية[١]

(١) الجرو، دراسات ، ص١١٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

### ١.١.أهم السلع التجارية:

مارس اليمنيون القدماء التجارة على نطاق واسع داخليًا وخارجيًا في مختلف البضائع وعلى رأسها عدد من المواد العطرية أهمها اللبان والمر والقرفة والإذخر وغيرها(١)، إلى جانب المتاجرة بمنتجات النباتات الليفية كالكتان والقطن وكذا الأصباغ العضوية مثل نبات النيلة(٢). فضلاً عن التجارة بالسلع المستوردة عبر الموانئ من مصر والشام وأهمها القمح والنبيذ والمنسوجات الملونة والموشَّاة والأواني المصنوعة من الذهب والفضة والنحاس(٣)، ومن بلاد فارس كان يصل الذهب واللؤلؤ(٤) والزجاج وأدوات الزينة النسائية مثل المشابك والدبابيس والأساور والقلائد(٥). ومع تطور النشاط السكاني وتنوعه تنوعت السلع والمنتجات وظهرت حرفة التعدين باستخراج النحاس والقصدير، ثم الفضة والذهب والأحجار الكريمة كالعقيق بأنواعه من مناجم كثيرة في المرتفعات الوسطى ظلت مستغلة إلى زمن العصور الوسطى الإسلامية، حيث تم الكشف عن أكثر من ٤٠ موقعًا لاستخراج النحاس يقع أكبرها إلى الشمال من منطقة البيضاء(٦)، وتبع ذلك معرفة حرفة صناعة حلي الزينة البدائية مثل العقود المصنوعة من الأحجار والصدف، وفيما بعد من الذهب المرفق بالأحجار الكريمة التي يمكن

(١) أحمد، عبد المعطي محمد عيد، نشاط قتبان التجاري وعلاقتها بمصر القديمة، رسالة ماجستير(غير منشورة) جامعة الزقازيق،(مصر)، (٢٠٠٠)، ص١٠٦-١٠٧.

(٢) باور ج.م، و لوندين، أ، تاريخ اليمن القديم- جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور، ترجمة أسامة أحمد، دار الهمداني للطباعة والشر، عدن، (١٩٨٤)، ص١٦.

(٣) Casson.L, The Periplus Maris Erythraee, translation and commentary by Lionel Casson,Princeton University press,(1989), ch.24,p.65

(٤) الجرو، دراسات، ص٦٠.

(٥) Pliny, Natural History,Vol.XII, no.88

(٦) زارنس، أرض اللبان، ص٨٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

رؤية بعض نماذجها ضمن معروضات المتاحف في اليمن وخارجها، ولا ننسى صناعة الأسلحة كالسيوف والخناجر التي اشتهر بها اليمن قبل الإسلام والتي تم تمثيل أقدم نماذجها بالنحت الغائر على بعض الكتل الحجرية الضخمة العائدة إلى مرحلة عصر البرونز في منطقة الجول بحضرموت ومناطق متفرقة أخرى(١). وكانت حياكة المنسوجات ودباغة الجلود والصناعات المرتبطة بها من أهم منتجات منطقة المرتفعات نظرًا لوفرة الثروة الحيوانية ولاسيما الأبقار التي استخدمت جلودها في عدة أغراض حياتية.

نالت الطيوب النصيب الأكبر من الاهتمام من بين كل البضائع التجارية في جنوب الجزيرة العربية بوصفها أهم السلع المصدرة للخارج التي عادت بمردود كبير على اقتصاد ممالك جنوب الجزيرة العربية بصفة عامة. إذ كانت طيوب اللبان والمر من أبرز السلع النقدية في جنوب الجزيرة العربية. وقد ذُكر اللبان في النقوش العربية الجنوبية مثل(UAM204;YM467) باسم(ل ب ن ي)، وينتمي إلى فصيلة(Boswellia sacra) وهي نبتة شديدة الخضرة وخالية من الشوك وتنمو في مناطق حضرموت كظفار والمهرة وفي شمال الصومال وإثيوبيا والسودان، ويوجد خمسة أنواع من أشجار اللبان إلا أن تجارة جنوب الجزيرة العربية اعتمدت على نوعين منها فقط عرفا باسم (Frereana) Carterii(٢). أما المر فقد جاء في نقوش

(١) للمزيد ينظر: اودوان، ريمي، وادي ضراء: اليمن، في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، ودار الأهالي، دمشق،(١٩٩٩)، ص٢١٢-٢١٤.

(٢) Tucker.A,FrankincenseandMyrrh,EconomicBotany,Vol.40,No.4,(1986), p.425;Raffaelli M, Mosti. S, Bellini. C, Mariotti. M .Lippi, Dhofar, the Land of Frankincense, in: Along the aroma and spice routes ,The harbour of Sumhuram, its territory and the trade between the Mediterranean, Arabia and India, Finito di stampare nel mese di Gennaio, (2011), p.25

المسند مثل(RES3427) باسم(أ م ر ر ن)، وتنتمي شجرته إلى فصيلة تعرف باسم(Commiphora)، وتتصف ببعض صفات نباتات الصحراء فهي غبراء اللون كثيفة الشوك، وتشبه في شكلها شجرة العلب(السدر)، ولها أوراق صغيرة يميل لونها إلى الرمادي[١]، وكانت تنمو بكثرة في سفوح السلسلة الجبلية الواقعة على التخوم الجنوبية والغربية لأرض قتبان وأوديتها الفرعية كوادي مرخة الذي اشتهر قديمًا بزراعة أشجار المر[٢].

وقد عُدت المتاجرة بمادتي المر واللبان من أهم ركائز اقتصاد اليمن القديم، وذلك بسبب الإقبال الشديد على شرائها في مدن الشرق القديم وحوض البحر الأبيض المتوسط؛ كونها من المواد الرئيسة للتعطير أو التبخير(البخور المقدس)، وذلك بحرقها في أثناء الطقوس الدينية في المعابد الفرعونية والرومانية وفي بلاد الرافدين؛ ونظرًا لذلك، كانت أسعار تلك التوابل والعطور مرتفعة جدًا؛ لذا ساعدت على نمو حجم التبادل التجاري لجنوب الجزيرة العربية الذي أسهم بدوره في حدوث تلاقح ثقافي بين حضارتي الجنوب وسورية القديمة منذ الألف الأول قبل الميلاد[٣].

تنمو أشجار اللبان والمر بشكل طبيعي في وديان جنوب الجزيرة العربية وهضابها وسفوحها، ونتيجة لازدهار المتاجرة بمنتجاتها العطرية؛ تم استحداث

(١) جروم، نايجل، اللبان والبخور، دراسة لتجارة البخور العربية، ترجمة عبد الكريم بن عبدالله الغامدي، جامعة الملك سعود،(٢٠٠٨)، ص١٤٨؛ Bowen. R.L,"Ancient Trade Routes in South Arabia" in: Bowen, R. and Albrigt, F.P: Archaeological Discoveries, (AFSM), Baltimore press. ,(1958), p. 41;

(٢) الجرو، أسمهان سعيد.، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، مجلة جامعة عدن للعلوم الاجتماعية والإنسانية، صنعاء، مج٢، عدد٣، ( ١٩٩٩)، ص٤٣.

(٣) كليب، مهيوب غالب، مدخل إلى دراسة التاريخ السياسي والحضاري لجنوبي شبه الجزيرة العربية-اليمن القديم(٢)، دار جامعة ذمار للطباعة والنشر(٢٠١٢)، ص٣٣٣.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +201008170225

مزارع لرعايتها إلى جانب الأشجار البرية التي كانت تنمو بشكل طبيعي على مساحات شاسعة، حيث ظهرت منذ القرنين السابع والسادس قبل الميلاد مزارع خاصة لأصناف مختلفة من أشجار البخور(المر واللبان) في أماكن واسعة ومتفرقة تمتد على طول سلسلة الهضاب والمرتفعات الجنوبية لمملكتي قتبان وحضرموت التي تمتد من هضبة ظفار شرقًا حتى تلتحم بكتلة المرتفعات الوسطى غرب اليمن، وهي أراض تمثل النطاق الجغرافي الرئيس لزراعة أشجار المر واللبان. ويتصف الجزء الأكبر لهذه المرتفعات بمناخ مداري ملائم لنمو شجر المر واللبان، حيث ينمو اللبان بكثرة في مناطق تحظى عادة برطوبة كافية أكثر مما يحتاجه المر، حيث كانت أشجار اللبان تنمو في مناطق الهضبة الواقعة بين ظفار والمهرة، وقد أشار بعض الدارسين إلى نموه في المناطق المقابلة للشريط الساحلي لمسافة يُقدر طولها بأكثر من(٥٠٠ ميل) بين ظفار شرقًا وقنا غربًا بما فيها وادي حجر[١]، بل تمتد منابت اللبان حتى منطقة حبان غرب ميفعة[٢]، وهو ما جعل جل الدارسين يعتقد أن مملكة حضرموت كانت الدولة الرئيسة المنتجة والمصدرة للُّبان في جنوب الجزيرة العربية[٣].

### ٢.١. أهم الأسواق والمراكز التجارية:

مثلث عواصم ومدن الممالك العربية الجنوبية أبرز الأسواق والمراكز التجارية

(١) جروم، اللبان والبخور، ص١٦٩-١٧٠.

(٢) جروم، المرجع نفسه، صvan beekGus W, Frankincense and Myrrh in١٦٨ Ancient South; Arabia, Journal of the American Oriental Society, Vol. 78, No.3, (1958), p. 142 ;

(٣) باوزير، محمد عبدالله، بلاد الأحقاف.. حضرموت- الاسم والموقع من خلال المصادر التاريخية، مجلة اليمن، مركز الظفاري للدراسات والبحوث، جامعة عدن، عدد٣٤، (٢٠١٥)، ص٣١٠؛ كوجين، يوري، العمارة الطينية الحضرمية التقليدية، تعريب عبدالعزيز بن عقيل، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، المكلا،(٢٠١٥)، ص٨٣.

في منطقة جنوب الجزيرة العربية، وتشير كتابات الإغريق والرومان إلى أهم مركزين تجاريين وهما: مدينتا تمنع العاصمة القتبانية، وشبوة حاضرة مملكة حضرموت، اللتان كانتا مركزين تجاريين لتجميع السلع التجارية المحلية والمستوردة عبر الموانئ الجنوبية. حيث تقع شبوة عند وادي المعشار قرب مصبّ وادي عرما وتتموضع عند تقاطع عدد من مسالك التجارة التي تمر بها قادمةً من نواحي المملكة في الجنوب والشرق[١]، فيما تقع مدينة تمنع عند مصب وادي بيحان وتضم سوقًا عُرف بسوق شمَر يقع وسط المدينة، وتنتصب في ساحته مسلة حجرية كتب عليها نصّ قانون قتبان التجاري على هيئة نقش بالمسند يوسم بـ(RES4337)، وهو قانون مهم ينظّم التجارة وعملية البيع والشراء داخل المدينة[٢]، حيث كانت تمنع مركزًا مهما لجمع المر من مناطق إنتاجه في سفوح سلسلة الجبال الواقعة جنوب مملكة قتبان وشرقها، فيما كانت مدينة شبوة أكبر مركز تجاري لخزن اللبان الحضرمي بكميات تجارية قبل تصديره للخارج.

وغني عن القول، أن موانئ جنوب الجزيرة العربية أدّت دورًا مهما كأسواق ومراكز تجارية حيوية تنشط وتنتعش بقدوم السفن ببضائعها المستوردة والمتنوعة من خارج البلاد، حيث كان يتم تسويق وتبادل البضائع مع قارات العالم القديم، فكانت تلك الموانئ الوسيط التجاري بين أسواق جنوب شرق آسيا من جهة، ومدن حوض البحر الأبيض المتوسط وأسواق الإمبراطورية الرومانية وأسواق شرق إفريقيا وموانئها من جهة أخرى، فكان ميناءا قنا وعدن أهم المرافئ الواقعة على

(١) ينظر: بريتون، جان فرانسوا، شبوة: عاصمة حضرموت، اليمن، في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة: يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، ودار الأهالي، دمشق، (١٩٩٩)، ص١١٢- ١١٤.

(٢) النعيم، نوره، التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (٢٠٠٠)، ص١٨٢- ١٨٥.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

البحر العربي على الإطلاق، فضلًا عن ميناء موزع التي كانت تمر عبرها مختلف السلع التجارية المستوردة، كأقمشة الحرير، والملابس المنسوجة، والعباءات، والبطانيات، والعطور، والمراهم، والقمح، والخمور، والحبوب، والجلود، والخيول، والبغال، والذهب، والنحاس، والأحجار الكريمة، والعاج، وغيرها[١]، إلى جانب السلع المحلية مثل المر واللبان (البخور) وغيرها، التي كانت تصلها من البر الداخلي ثم تُصدر بحراً إلى مدن البحر الأبيض المتوسط، أو براً عبر قوافل الجمال التي كانت تعود من هناك ببضائع تلك البلدان.

## المبحث الثاني

## طرق القوافل التجارية في حضرموت القديمة

تعد مملكة حضرموت القديمة إحدى ممالك جنوب الجزيرة العربية الرئيسة (الأربع) وأكبرها مساحة، ويمتد تاريخها من بداية الألف الأول قبل الميلاد إلى نهاية القرن الثالث الميلادي. ولا تقتصر أرض حضرموت القديمة على واديها الشهير كما قد يتبادر إلى ذهن القارئ، بل كانت رقعتها الجغرافية تمتد شرقًا حتى هضبة ظفار، وشمالًا حتى حدود الربع الخالي، وغربًا إلى حدود مملكة قتبان، وجنوبًا حتى سواحل بحر العرب.

وتتشكل طبوغرافيا حضرموت أو الهضبة الشرقية من صخور رسوبية سهلة التشكيل ساعدت على تكوين الأودية العميقة التي حفرتها مياه السيول، وكانت همزة الوصل بين مناطق الساحل والداخل[٢]، إلى جانب السهول والهضاب

(١) Casson, The Periplus, ch.24-27,p.65-67

(٢) الجرو، دراسات، ص٦٠.

الواسعة. ويُعد وادي حضرموت أبرز معالمها الجغرافية، وعُرف في النقوش بلفظ (سررن)[١]، ويمتد لمسافة (٢٠٠كم) من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، حتى يصبّ في بحر العرب غرب سيحوت، ويتصف مجرى الوادي باتساعه في الغرب وتتقلص مساحته تدريجيًا نحو الشرق، وتبلغ حوالي(٥. ٢٢كم٢)، وترفده عدد من الأودية الصغيرة، تبدأ من الغرب قرب مدينة شبوة بوادي رخية ووادي دهر. ومن معالم حضرموت، الجول الجنوبي، وهو هضبة جرداء مستوية السطح يبلغ ارتفاعها حوالي(١٣٥٠متر) ومساحتها(٢٠٠كم٢) تقريبًا، وتنحدر منها باتجاه الشمال والشمال الشرقي عدد كبير من الأودية والشعاب باتجاه الوادي الرئيس، وأهمها وادي عمد ووادي دوعن وعينات وسنا. وهناك أيضًا وادي حجر وهو من أكبر أودية حضرموت المنحدرة من المرتفعات الغربية للجول الجنوبي باتجاه الجنوب الشرقي حتى ساحل البحر العربي عند قرية ميفع حجر اليوم غرب مدينة المكلا، إلى جانب الجول الشمالي الذي تسيل شعابه نحو الوادي الرئيس في الجنوب وأهمها سر و تريم و عيديد و دمون[٢].

مارس الحضارم التجارة منذ القدم في مختلف السلع المحلية والمستوردة التي مر بنا ذكرها، ولكن اللبان يعدُّ السلعة الرئيسة ذات القيمة العالية في تجارة حضرموت القديمة، التي كانت تنقل برًا وبحرًا إلى خارج حدود المملكة، إلى جانب سلع أخرى مثل: الصبر، ودروع السلاحف، والسمك، المملح، والأخشاب، والمعادن، والأقمشة، ومواد الصباغة، والحبوب، وغيرها[٣]. وقد دلت الأبحاث

(١) بافقيه وآخرون، مختارات، ص٢٣٢.

(٢) الجرو، دراسات، ص١٢.

(٣) قريازنفتش، بطرس، وبيتروفسكي، ميخائيل، التجارة والطرق التجارية في حضرموت القديمة: نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المجمعية المشتركة لعام ١٩٨٨م، الجزء (١)، تحرير بطرس قريازنفتش وعبد العزيز بن عقيل، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيؤون، (١٩٨٨)، ص٨٧.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

العلمية وأعمال المسح الأثري في مناطق مختلفة من حضرموت على وجود شبكة من الطرق البرية لنقل السلع التجارية يعود استخدام أقدمها إلى عصور ما قبل التاريخ كما مر بنا، وخاصة تلك الطرق التي ربطت ظفار بمنطقة المرتفعات اليمنية الغربية من جهة وبشرق الجزيرة العربية من جهة أخرى، فضلاً عن طرق أخرى كانت تصل بين الموانئ الرئيسية للمملكة على ساحل البحر العربي مثل سمهرم وقنأ وسيحوت وبين شبوة حاضرة حضرموت وغيرها من المدن. وسوف نتتبع هنا مسالك ودروب أبرز طرق التجارة الحيوية داخل حضرموت:

### ٢.١. الطريق البري بين ظفار وشبوة (خريطة رقم١)

ظفار، هضبة تقع في أقصى حضرموت ويرتفع حدها الجنوبي المطل على ساحل البحر العربي حوالي(٣٠٠متر) ويتدرج في الارتفاع نحو الشمال حتى (٨٠٠ متر) تقريباً فوق مستوى سطح البحر. ويتخلل هذه الهضبة عدد من الأودية المنحدرة نحو الشمال وهي منطقة تتصف بمناخ شبه صحراوي مقارنة بمناخ جنوب الهضبة[١] الذي يمتاز بخصوبة أراضيه وتمتعه بغطاء نباتي كثيف نظراً لما تحظى به تلك المنطقة من أمطار غزيرة بفضل كميات البخار الكبيرة المندفعة اليها بفعل الرياح الموسمية للمحيط الهندي (monsoon) التي تشكل كميات كثيفة من السحب الممطرة تسقط فوق جبال ظفار مهيئةً بذلك بيئة ملائمة لنمو أشجار اللبان بوفرة ضمن شريط أفقي يمتد عرضه حوالي ٤٠كم وتقع جل مساحته خلف الجبال الواقعة شمال ميناء سمهرم على ارتفاع يتراوح بين(٦٠٠-٧٥٠متر) فوق سطح البحر وتحديداً بين خطي الطول (21.°00,55 °53)[٢]. مما جعلها من أكبر مراكز إنتاج اللبان في جنوب الجزيرة العربية[٣]. وقد تبنت الدولة عملية زراعة

(١) Raffaelli et al, Dhofar, p.25
(٢) زارنس، ارض اللبان، ص٦٢.
(٣) زارنس، ارض اللبان، ص٢١.

اللبان وإنتاجه وتصديره، وكان يتم جمع محصول اللبان بواسطة عبيد تابعين للملك[١]، وبعد ذلك ينقل المحصول إلى محطات تجميع ومخازن تقع في أطراف أرض اللبان من جهة الشمال، وأخرى تقع جنوبًا في ميناء سمهرم (خور روري). ومن ثم ينقل محصول اللبان باتجاه العاصمة شبوة عبر طرق برية وأخرى بحرية، كما سنرى لاحقًا.

ارتبطت العاصمة الحضرمية شبوة بمناطق المملكة ومدنها في الجنوب والشرق بشبكة من المسالك التجارية البرية التي كانت تنطلق من أراضي إنتاج اللبان والمر، ومن الموانئ المطلة على سواحل بحر العرب باتجاه مدينة شبوة التي كانت تعد أكبر مركز تجاري في مملكة حضرموت لتجميع وخزن البضائع التجارية بمختلف أصنافها، وفي مقدمتها اللبان الذي ينقل إليها على ظهور الإبل، ومنها يتم تصدير البضائع إلى الأسواق المحلية أو إلى شمال الجزيرة العربية وشرقها عبر طريق اللبان الشهير، بعد أخذ الضرائب المقررة على تلك السلع التي قدرت بالعُشر كيلًا لا وزنًا[٢] لاسيما على مادتي اللبان والمر. لذلك حرص ملوك حضرموت على أن تكون عاصمتهم مجمع وملتقى لأهم طرق القوافل التجارية في المملكة، والتي تلتحم بطريق اللبان الرئيس بدءًا من شبوة، ومن أجل ذلك حرصت الدولة على بناء المخازن الكافية في عاصمة المملكة لحفظ البضائع قبل تجهيزها للتصدير داخليًا وخارجيًا. وفي هذا السياق، كشفت البعثة الفرنسية التي نقبت في أطلال مدينة شبوة سنة ١٩٧٥م على عدد من الغرف الصغيرة المتجاورة حول مبنى معبد المدينة يعتقد أنها كانت تستخدم كمخازن لحفظ اللبان في المدينة[٣].

(١) الجرو، طرق التجارة، ص٣٢.
(٢) Pliny, Natural History,Vol.XII, no.63
(٣) جروم، اللبان والبخور، ص٢٨١، ٢٨٤.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

وقد تقصى بعض الدارسين عددًا من مسارات طرق التجارة الرئيسة المباشرة وغير المباشرة التي كانت ممتدة بين ظفار ومدن حضرموت وموانئها، وأهمها مدينة شبوة التي كان يتجه إليها طريقان: أحدهما ينطلق من جنوب ظفار ويسير إلى الغرب بمحاذاة الساحل صوب ميناء قنا والموانئ الواقعة على ساحل المهرة وأهمها سيحوت، والطريق الآخر كان يبدأ من شمال ظفار في منطقة حانون الواقعة على بعد(٦٠كم) شمال سمهرم، وهي منطقة عرفت في نقوش المسند مثل النقش (Ja895/4) باسم (سأنن) (سأنن)، وقد بنى فيها الحضارم معبدًا لمعبودهم سين[١]، حيث كشف الآثاريون هناك عن أساسات مخازن تشبه مخازن ميناء سمهرم وهو ما يؤيد أن حانون كانت محطة لتجميع اللبان قبل نقله إلى مدينة شبوة[٢]على ظهور الجمال عبر طريق يسير بمحاذاة الحافة الشمالية للمرتفعات الجبلية حتى منطقة حبروت، وهي إحدى أكبر مستوطنات العصر الحجري الحديث في المهرة، وتؤرخ بين (٦٠٠٠-٢٥٠٠ قبل الميلاد)[٣]. وتشير الشواهد الأثرية إلى استمرار الاستيطان فيها خلال العصور التاريخية، حيث ورد ذكرها في نقش عبدان الكبير المؤرخ بمنتصف القرن الرابع الميلادي في سياق سرده لقرى المهرة ومدنها التي غزاها اليزنيون (عبدان/ ٢٢)، وكانت كما يبدو سوقًا ومحطة استراحة للقوافل التجارية بين شرق حضرموت وغربها. ويرجح الباحثون أن الطريق كان

(١) Beeston. A., Ghoul. M, Muller. W,Sabaic Dicitionary, Publcation of Sana,a University, Louvain et Biyrouth(Librariane du liban),(1982), p.127

(٢) عبد المولى، أسامه محمود، تجارة البخور في جنوب شبه الجزيرة العربية في الفترة من القرن العاشر حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة الزقازيق، الزقازيق، (٢٠١٣)، ص٥٥.

(٣) نهيم، حسين سالم، و خالد الحاج، صلاح الحسيني، أعمال المسح الأثري في محافظة المهرة، الموسم الثالث، مديرية حوف، الهيئة العامة للآثار والمتاحف- المهرة، (٢٠٠٥)، ص٦.

يتفرع في حبروت إلى مسارين: أحدهما يتجه جنوب غرب حتى يتصل بالطريق القادم من ظفار نحو سيحوت بمحاذاة الساحل، فيما يتجه الطريق الآخر غربًا نحو وادي حضرموت، مخترقًا القفار عبر منطقتي سناو وثمود(١)، ويستمر بموازاة سلسلة المرتفعات التي تشكل الحد الشمالي الشرقي لهضبة الجول الشمالي. وقرب منطقة السوم، تهبط قوافل الجمال إلى مجرى وادي حضرموت، وتستمر في السير نحو الغرب مرورًا بمدن تريم وشبام حتى حريضة، وهي مستوطنة ومحطة تقع في مخرج وادي عمد، ومنها يمكن للطريق التجاري أن يتفرع إلى اتجاهين: أحدهما يصعد عبر مجرى وادي عمد حتى سطح هضبة الجول الجنوبي، ويلتحم بمسالك الطرق الصاعدة من وادي حجر باتجاه شبوة، أو الهابطة من الجول عبر وادي عماقين إلى ميفعة، ثم إلى قنا(٢)، وقد أشارت إليه الرحالة الإنجليزية فريا ستارك عندما زارت حضرموت في عام ١٩٣٤م، وذكرت أنه حينما تسوء الأحوال الأمنية في أعلى وادي عمد فإن القوافل تتحول إلى الطريق بين بير علي ودوعن عبر الجول(٣).

(١) جروم، اللبان والبخور، ص٢٧٥.

(٢) Ingrams.H, From Cana (Husn Ghorab) to Sabbatha (Shabwa): the south Arabian Incense Road, JRAS,No.2,(1945), p. 171

(٣) ستارك، فريا، البوابات الجنوبية لجزيرة العرب، رحلة إلى حضرموت عام١٩٣٤م، ترجمة وفاء الذهبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، (٢٠١٣)، ص٢٦٢ – ٢٦٣.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

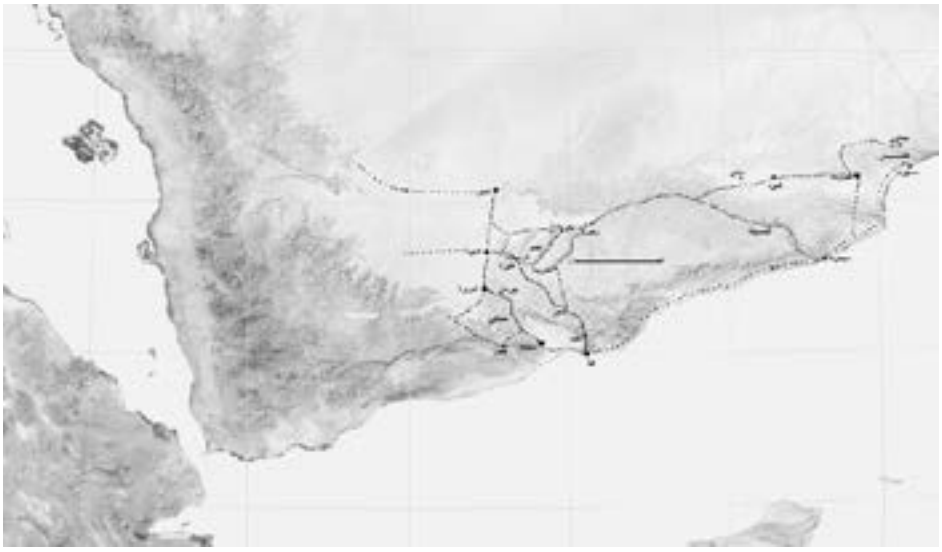

**خريطة رقم ١**
**توضح طرق القوافل الخارجة من ظفار**
**بتصرف، عن: رشاد واينزان (٢٠٠٧)**

أما المسار الرئيس للطريق فيواصل تقدمه باتجاه الغرب حتى مدينة شبوه. وتجدر الإشارة إلى أن القوافل التجارية يمكنها الانحراف عن مسار هذا الطريق متجاوزةً شبوة نحو نجران مباشرةً مرورًا بمحطة العبر، وهي موقع استيطان قديم ذكرته نقوش المسند الجنوبية منها(Ja665/15;CIH541/32)، وكانت بمثابة مركز لتحصيل الضرائب ومحطة تجارية تتجمع فيها طرق القوافل الخارجة من شبوة ومن وادي حضرموت باتجاه وادي الجوف ونجران.

ويعتقد بعض الباحثين مثل(Groom.N) أن هذا الطريق لم يكن طريقًا رئيسًا بين ظفار وشبوة؛ نظرًا لطوله ومشقته لاسيما في جزئه الممتد بين ظفار ووادي حضرموت، حيث يمر بمناطق قاحلة وشحيحة المياه مثل صحراء ثمود[١]، وأنه

(١) جروم، اللبان والبخور، ص٢٧٥.

لذلك استخدم على نطاق ضيق في مقابل الطريق البحري الأقصر والأيسر والأقل تكلفة، ويرى أن هذا الطريق لم يستخدم سوى في ظروف محدودة حين تتعطل فيها عملية الإبحار مثل القرصنة، واضطراب الأحوال الجوية، وتوقف حركة النقل البحري، إذ كان تجار اللبان لا ينتظرون تحسن الظروف الملائمة للإبحار بل يلجؤون إلى الطريق البري لنقل تجارتهم على ظهور الجمال إلى شبوة؛ كي لا تفوتهم بداية الموسم التجاري والبيع بأسعار أفضل(١)، إلى جانب رغبة كبار التجار في التهرب من دفع المكوس المرتفعة التي ربما كانت تفرض على بضائعهم في مينائي سمهرم وقنا(٢).

والحقيقة أن ذلك الاعتقاد مبني على تقرير مسح ميداني(قديم) للطريق قام به سبرنجر (Sprenger)، لم يذكر فيه أي دليل يدعم استخدام هذا الطريق كمسلك رئيس للقوافل التجارية، مثل محطات الاستراحة وآبار المياه، ولم يستدل على أثر -حسب زعمه- لأي محطة في شمال ظفار يمكن أن تكون نقطة تجمع للقوافل التجارية قبل انطلاقها إلى شبوة(٣). غير أن هذا الرأي يصبح ضعيفًا في ضوء نتائج بعض الاكتشافات الأثرية الحديثة في حانون الواقعة على الحدود الشمالية لمنطقة زراعة اللبان، والتي كشفت عن أطلال مباني يرجح أنها كانت مخازن، نظرًا للتطابق بينها وبين المخازن المكتشفة في ميناء سمهرم(٤)، وهي إشارة إلى أن منطقة حانون كانت مركزًا لتجميع محصول اللبان وتخزينه، أي أنها النقطة التي كان يبدأ منها طريق القوافل التجارية إلى شبوة. وفي ضوء ما تقدم نعتقد أن هذا الطريق لم يكن

(١) جروم، اللبان والبخور، ص٢٧٦.
(٢) النعيم، نوره، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف، الرياض، (١٩٩٢)، ص٢١٣.
(٣) جروم، اللبان والبخور، ص٢٧٥- ٢٧٦.
(٤) عبدالمولى، تجارة البخور، ص٥٥.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022S

ثانويًا بل ربما كان الطريق الرئيس الذي ربط شرق حضرموت بغربها لقرون طويلة قبل تأسيس ميناء سمهرم في حدود القرن الثاني قبل الميلاد، لاسيما أن المعطيات الأثرية تدعم فرضية استخدام هذا الطريق لنقل السلع المحلية بين ظفار ومنطقة المرتفعات الغربية اليمنية خلال العصر الحجري الحديث(١)

**٢ .٢. الطريق البري بين ظفار و قنأ (خريطة رقم١):**

يبدو أن جزءًا كبيرًا من محصول اللبان كان يُجنى من منابته في جبال ظفار، ثم يُنقل جنوبًا إلى مخازن في مدينة سمهرم على ساحل خليج القمر(٢)، حيث يتم تجهيزه للتصدير بكميات تجارية إلى ميناء قنا عبر طريقين: أحدهما بري والآخر بحري يُحمل عبره اللبان فوق طوافات من الجلد المنفوخ إلى ميناء قنا(٣) الواقع في كنف جبل حصن الغراب غرب قرية بير علي اليوم، والواقعة بين خط الطول(٤٧,٨) شرقًا ودائرة العرض(١٣,٥٩) شمالًا. ويعد ميناء قنا من أهم موانئ جنوب بلاد العرب على سواحلها الجنوبية. ويرى بعض الدارسين أن بداية نشاط الميناء تعود إلى منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد(٤)، إلا أنه لا توجد أدلة أثرية حتى الآن تعود بتاريخ الميناء إلى تلك الحقبة(٥)، حيث تشير المكتشفات الأثرية الناتجة من تنقيب البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة في قنا إلى مرور الموقع بمرحلتين من الازدهار،

(١) ينظر: زارنس، ارض اللبان، ص٦٤-٦٥.

(٢) van beek, Frankincense and Myrrh, p.144

(٣) Casson, The Periplus, ch. 27,p. 67

(٤) حبتور، ناصر صالح، وادي ميفعة، دراسة تاريخية لأحد المراكز الحضارية في اليمن القديم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عدن، (١٩٩٧)، ص١١٠- ١١١.

(٥) قريازنفتش، بطرس، دراسة ميناء(قنا) القديم(آفاق ونتائج أولية): نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المجمعية المشتركة لعام ١٩٨٨م، الجزء(١)، تحرير بطرس قريازنفتش وعبدالعزيز بن عقيل، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيؤون، (١٩٨٨)، ص٢٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

الأولى: هي مرحلة سيطرة حضرموت على الميناء التي امتدت من القرن الأول حتى الثالث الميلادي، وانتهت بتدمير الميناء وحرقه في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي على يد الملك السبئي شعر أوتر، وهو حدث أشارت إليه نقوش تلك المرحلة ومنها نقش(Ir13/39). والمرحلة الثانية كانت في عهد السيطرة الحميرية على المنطقة من القرن الرابع إلى نهاية القرن السادس الميلادي ومع نهايتها اختفى نشاط هذا الميناء. وتتميز المرحلة الأولى بغناها مقارنة بالمرحلة الثانية؛ نظرًا لأن أكثر العملات التي عثر عليها المنقبون تعود إلى تلك المرحلة من عمر الميناء[١]، حيث كان ميناء قنا في بداية العصر الميلادي هو الميناء الرئيس لمملكة حضرموت، فكانت تصدر منه وإليه البضائع التجارية من موانئ حوض البحر الأبيض المتوسط، وموانئ جنوب شرق آسيا وسواحل إفريقيا وموانئ الخليج العربي[٢] لعدة قرون، ومنها المر واللبان التي كانت ترد إليه من مختلف مناطق حضرموت مثل ظفار والمهرة ووادي حجر، وكانت تكوم هناك في مخازن مخصصة، عثرت البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة في ثمانينيات القرن الماضي على بعض أساساتها في مربع حفر رقم (٦) شمال غرب الموقع، حيث تم الكشف على عدد من الغرف تبلغ مساحة الواحدة منها حوالي (٢٩٠متر)، وكانت سقوفها مدعمة بأعمدة[٣]، وعثر في أرضيات بعضها على قطع وبقايا متناثرة من اللبان[٤].

(١) أكوبيان وآخرون، التنقيبات الاثرية، ص٥٠ – ٥١.

(٢) Casson, The Periplus,ch.32,p.69-71

(٣) سيدوف، الكسندر، قنا ميناء كبير بين الهند والبحر المتوسط: اليمن، في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، ودار الأهالي، دمشـــق، (١٩٩٩)، ص١٩٤.

(٤) أكوبيان وآخرون، التنقيبات الأثرية، ص٥٢-٥٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وهناك طريق بري آخر يمتد بين مينائي سمهرم في الشرق وقنا في الغرب، يبدأ من سمهرم أو من السفوح الجنوبية لهضبة ظفار باتجاه الغرب نحو ميناء حضرموت الرئيس في مسار متعرج ترتفع أرضه في المهرة إلى قرابة (٢٥٠متر) عن مستوى الساحل، فبعد اجتيازها حدود ظفار تقطع القوافل مسافة تقدر بأكثر من (٣٧٠كم) حتى سيحوت[١] التي تصب عندها سيول وادي حضرموت (المسيلة)، وكان بها ميناء قديم يُجمع فيه اللبان الذي يتم جنيه من مناطق المهرة والجول الجنوبي، ثم يُصدر جزء منه إلى ميناء قنا الكبير قرب بير علي[٢]. ومن سيحوت يتفرع الطريق التجاري إلى مسارين: أحدهما يسير باتجاه الغرب قرب ساحل البحر إلى ميناء قنا[٣]، فيما يصعد المسار الثاني للطريق عبر وادي المسيلة إلى وادي حضرموت الواقع على بعد حوالي (١٦٥كم) من سيحوت[٤]، ويلتحم هناك بالطريق التجاري القادم من ظفار إلى شبوة[٥] مرورًا بالوادي. وطبقًا لطبوغرافيا المنطقة، لا شك أن القوافل المرتادة لهذا الطريق كانت تجتاز عددًا من المسالك الوعرة والأراضي الكلسية والرملية ومجاري الشعاب والأودية التي تصب في البحر.

### ٣.٢. طرق التجارة بين قنا ومدينة شبوة:

رغم الدمار الذي لحق بميناء قنا على يد السبئيين في مطلع القرن الثالث الميلادي إلا أنه مارس نشاطه لثلاثة قرون لاحقة على الأقل[٦]، فمنه كانت تنطلق قوافل

(١) نهيم وآخرون، أعمال المسح، ص٤.
(٢) جروم، اللبان والبخور، ص١٦٧.
(٣) الجرو، طرق التجارة، ص٢٤.
(٤) الجرو، دراسات، ص١٢.
(٥) نهيم وآخرون، أعمال المسح، ص٨.
(٦) حبتور، ناصر صالح، اليزنيون: موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم، جامعة عدن ودار الثقافة العربية، الشارقة، (٢٠٠٢)، ص٢٠٦.

الجمال المحملة بالسلع المختلفة (المحلية والمستوردة) إلى أسواق حضرموت الداخلية، وأكبرها سوق مدينة شبوة الذي يربطه مع قنا طريقان رئيسان: أحدهما غربي عبر ميفعة، والآخر شمالي عبر وادي حجر:

### ٣.٢. ١. الطريق الغربي عبر ميفعة (شكل رقم١):

وهو طريق رئيس يربط قنا بمدينة شبوة بطول(٢٥٧كم)[١]، ويتكون من جزأين تفصلهما مدينة ميفعة(نقب الهجر) بوصفها أكبر سوق ومحطة تجارية تقع على هذا الطريق، وهي حاضرة حضرموت القديمة، وتقع على بعد حوالي(١٠٠كم) غرب قنا[٢]. وطبقًا لطبوغرافيا المنطقة فإن مسار هذا الطريق يبدأ من قنا نحو الغرب عبر سهل ساحلي فسيح يتصف بسهولة أرضه وملائمته لحركة قوافل الجمال، وتقع على مساره عدد من المحطات التجارية منها سبع محطات رئيسة للمبيت تبعد كل واحدة عن الأخرى مسافة مرحلة(نهار يوم كامل) تقريبًا، ربما كانت تمثل أسواقًا تجارية صغيرة فيما مضى، إلى جانب عدد مماثل تقريبًا من المحطات الصغيرة أو الثانوية التي تتوقف فيها القوافل وقت الظهيرة للراحة وللتزود بالماء والعلف، وقد تموضعت بانتظام في منتصف المسافات الفاصلة بين المحطات الرئيسة. بمعنى آخر، أن جميع محطات الطريق توزعت على مسافات متساوية تتناسب مع أوقات الراحة المفترضة للقوافل بحيث تفصل بين كل محطة وأخرى مسافة (نصف مرحلة) أي ما يعادل نصف نهار، أي أن جمال القوافل كانت تستريح كل ٦ ساعات من النهار في إحدى المحطات الثانوية الواقعة على الطريق في حال انطلاقها عند الصباح أو بعد الظهيرة. ويبدو أن هذا النظام كان متبعًا في الطرق التجارية التي كانت تمر بمناطق مأهولة كهذا الطريق. أما الطرق التجارية المارة بمناطق مقفرة فكان عدد محطات

(١) جروم، اللبان والبخور، ص٢٧٧.
(٢) أكوبيان وآخرون، التنقيبات الأثرية، ص٥٥ – ٥٦.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +201008170225

الاستراحة (الصغيرة) فيها أقل، وتقع الرئيسة منها على مسافات متباعدة. وفي هذا السياق، تقصى (de Maigret) المسافة بين محطتين تقعان على طريق البخور شمال نجران ووجدها تقدر بحوالي (٤١كم) وهي مسافة تتفق مع المسافة التي يقطعها الجمل العربي في نهار اليوم الواحد[١]. وفيما يتعلق بهذا الطريق، فإن أولى المحطات التجارية الواقعة على مساره بعد قنا هي جِلْعِه، وهي قرية ما تزال عامرة إلى اليوم، تقع قرب الساحل إلى الغرب من بير علي، وتصلها القوافل في منتصف النهار بعد انطلاقها من قنا في الصباح، تليها محطة الجُوَيْرِي التي تبلغها القوافل مع حلول مساء اليوم الأول للرحلة، حيث تبيت فيها ثم تنطلق منها في صباح اليوم الثاني إلى عين بامَعْبَد، فتصلها عند الظهر وتستريح بعض الوقت قبل أن تتحرك غربًا حتى السَهَيم حيث تبيت فيها القوافل، وفي صباح اليوم الثالث تسير حتى تصل محطة الحَوِيل (حويل بلعرب) ظهرًا، وبعد استراحة قصيرة تواصل مسيرها إلى محطة لَمْصُون للمبيت قبل أن تتابع طريقها صوب مدينة مَيْفَعَة، فتصلها عند منتصف اليوم الرابع من الرحلة[٢]. وفي ميفعة يمكن لقوافل الجمال أن تستريح بقية النهار، وتبيت في المدينة بوصفها محطة وسوق تجاري كبير، قبل أن تستأنف رحلتها في صباح اليوم التالي، وفي حال أراد تجار القوافل مواصلة السير بعد ظهر اليوم نفسه من ميفعة إلى شبوة فإن عليهم سلوك طريق صاعد عبر مجرى وادي عمقين[٣]

(١) de MaigretA, La route caravanière de l'encens dans l'Arabie préislamique, Éléments d'information sur son itinéraire et sa Chronologie, in; Chroniques yéménites,no.11, (2003), p.5

(٢) حبتور، وادي ميفعة، ص٦٠.

(٣) يتمتع وادي عمقين الذي تتجه مياهه نحو الجنوب بأهمية تاريخية؛ نظرًا لوقوعه في منطقة تتناثر فيها التجمعات السكانية التي مارس أهلها بعض الأنشطة الزراعة على ضفاف الوادي، مستغلين مياه الغيول التي ما زال بعضها جاريًا إلى اليوم، وقد ذكر الوادي في نقوش المسند مثل النقش(RES 5085/6) من القرن الخامس الميلادي، ومن أشهر الأماكن

حتى أعلى هضبة (السوط)[١] أو الجول الجنوبي لحضرموت المذكور في بعض نصوص المسند مثل (RES3945/1). وأولى القرى أو المحطات الواقعة على مسار الطريق هي مدينة الحوطة التي تبيت فيها القوافل بعد مسيرة نصف نهار من ميفعة، وفي صباح اليوم الخامس تنطلق القوافل إلى الروضة فتصلها عند الظهر، وبعد برهة قصيرة تواصل السير فتبيت في قرية سر[٢]. ومع بداية اليوم التالي تتابع جمال القوافل طريقها عبر وادي عمقين فتصل محطة ريمة في منتصف النهار، ومنها يصعد الطريق عقبة رهوان إلى قرية الظاهرة[٣] مع نهاية نهار اليوم السادس، وهي قرية كما يشير اسمها تقع في الجول أعلى وادي عمقين، وبعدها تقطع القوافل هضبة الجول ثم تهبط إلى مجرى وادي جردان المنحدر باتجاه الشمال الغربي عبر عقبة العلهانة التي تربط عمقين بوادي جردان[٤]، ويسير الطريق بأرض الوادي إلى هجر البريرة عند مخرج جردان، وهي محطة لتحصيل الضرائب[٥] عُثر فيها على

= الواقعة في عمقين شعب ينبق الذي كشف فيه عن ٤٩ نقشًا بالمسند أشهرها نقش ينبق ٤٧ من عهد اليزنيين، ويؤرخ له بالقرن السادس الميلادي وذكر أسماء عدد من مناطق مملكة حضرموت مثل ميفعة ورخية وجردان وساكلن (ظفار) وسكرد (سقطرى) واسعين (الشحر)، ينظر:(بافقيه وروبان، نقوش جديدة من ينبق (اليمن الديمقراطية)، ريدان- حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف- عدن، منشورات بيترز- بلجيكا،(١٩٧٩)، العدد الثاني، ص٢٥-٢٨.

(١)جروم، اللبان والبخور، ص٢٧٧.

(٢) حبتور، وادي ميفعة، ص٦٣.

(٣) الخليفي، محمد أحمد السدلة، وادي جردان من القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عدن، (٢٠١٣)، ص٩٤ - ٩٥.

(٤) الخليفي، المرجع نفسه، ص١٢.

(٥) النعيم، الوضع الاقتصادي، ص٣١٢.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

بعض العملات النقدية وبقايا منشآت معمارية وخزانات مياه وقنوات ري وأطلال سور تقع عليه بوابة في اتجاه الشمال. ومن البريرة تتجه القوافل بعد ظهر اليوم السابع نحو شبوة مرورًا بمحطة البناء الواقعة على بعد بضعة كيلومترات شمال غرب البريرة، وهو موقع كان يحيطه سور دائري محاط بالحقول الزراعية(١)، وهي آخر استراحة لمبيت القوافل قبل تحركهما في اليوم التالي، ومرورها بدربس وعياذ الواقعتين على الطريق إلى مدينة شبوة التي تدخلها قوافل الجمال عبر بوابتها الجنوبية في نهاية اليوم الثامن للرحلة من قنا.

وتكمن أهمية هذا الطريق بسهولة مسالكه مقارنة بغيره من الطرق، إذ لا يوجد به الكثير من العقبات أو الممرات الجبلية سواء عقبتي رهوان والعلهانة(٢)، كما يعد أقصر الطرق الرابطة بين قنا وشبوة في ذلك الوقت؛ لأنه يمر عبر مجرى واديي عمقين وجردان اللذين يقطعان هضبة الجول الجنوبي الفاصلة بين ميفعة في الجنوب وشبوة في الشمال(٣)، ويتميز الواديان بسكناهما وخصوبة أراضيهما، لذلك كان طريق القوافل المار عبرهما يمر بالعديد من محطات الراحة والمبيت التي كانت توفر إمدادات الغذاء والحماية للقوافل التجارية(٤). لا شك أن هذا الطريق يعد أقدم الطرق الرئيسة التي كانت تربط مناطق جنوب غرب حضرموت بالعاصمة شبوة الواقعة عند المدخل الغربي لوادي حضرموت، التي أصبحت تمثل

(١) الخليفي، وادي جردان، ص١٠٠؛ Doe.B, Monuments of south Arabia, oleander press and falcon press, Itay,(1983), p.135-136

(٢) الخليفي، وادي جردان، ص٩٥.

(٣) حبتور، اليزنيون، ص٣٥.

(٤) النعيم، الوضع الاقتصادي، ص٣١٢؛ جروم، اللبان والبخور، ص٦٧٢.

المركز الإداري والسياسي للدولة بسبب تموضعها في منطقة تشرف على مسالك الطرق التجارية المتصلة بطريق البخور الرئيس، وتحكمها في تحصيل الضرائب على مرور البضائع. ومن ثم فإن هذا طريق يسبق زمنيًا الطريق الشمالي المار بوادي حجر والذي نرجح أن ظهوره ارتبط بتأسيس مينا قنا وازدهاره بين القرن الأول والثالث الميلاديين.

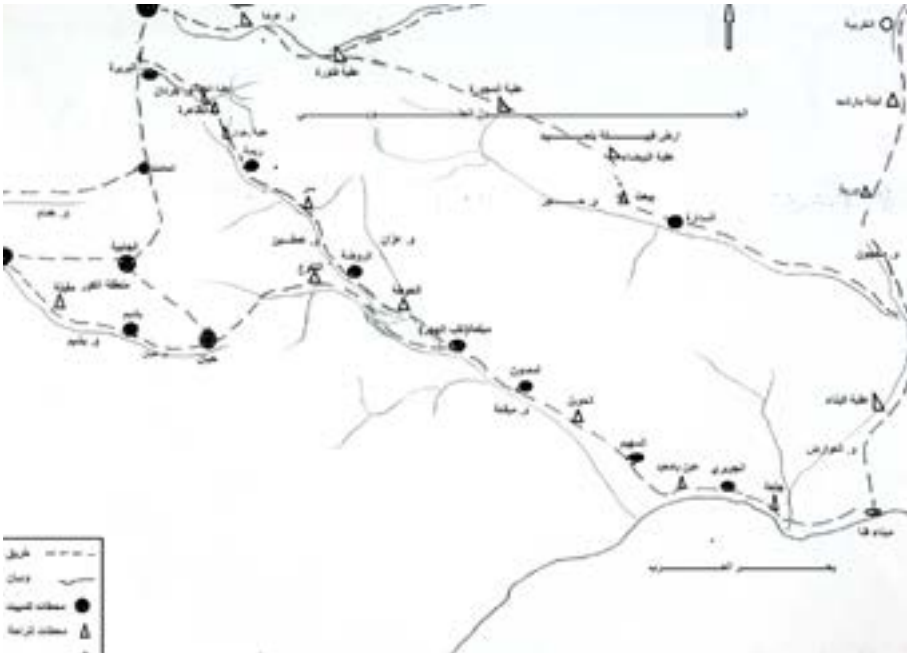

**شكل رقما**

**الطرق التجارية الخارجة من قنأ**

**بتصرف عن: حبتور، (١٩٩٧)**

### ٢.٣.٢. طريق ميفعة- الحاضنة-شبوة (شكل رقما)

يتخذ مسار الطريق الغربي نفسه حتى مدينة ميفعة ثم يتفرع شمال المدينة عند نقطة التقاء واديي عمقين وحبان فتسلك القوافل وادي حبان غربًا، وتمر بعدد



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

من القرى أهمها: لماطر، والنقوع، وقطاو، والنبوة، ولهية[١]، وصولاً إلى مدينة حبان الواقعة على بعد ١٦٥كم غرب ميفعة[٢]، وتعد من أكبر المحطات والأسواق التجارية الواقعة في منطقة الحدود الفاصلة بين مملكتي حضرموت في الشرق وقتبان في الغرب. ومن حبان تصعد القوافل نحو الشمال عبر هضبة الضلعة حتى حاضنة خليفة، بعد أن تقطع قرابة٦٠كم مرورًا بالعطف وخمر إلى منطقة الجابية، وبعدها يمر الطريق بعدد من المحطات أهمها: نوخان، ونعضة، والمصينعة، وهي مستوطنات قديمة تضم العديد من المخربشات والرسوم الصخرية لحيوانات كالجمال والخيول والكلاب[٣]، وجميعها تقع على الطريق التجاري المتجه إلى شبوة عبر محطتي البناء وعياذ أسفل وادي جردان.

### ٣.٣.٢. الطريق الشمالي عبر وادي حجر (شكل رقم١)

يقدر طول هذا الطريق بنحو(٢٧٣كم)[٤]، يبدأ من ميناء قنا باتجاه الشمال مرورًا بوادي هرشان ثم منطقة النوبة فجول باحاوه، حتى ممر أو جدار البناء أو المبنى[٥]، وهي منشأة تقع في الجبال شمال ميناء قنا على بعد (٣٠كم) تقريبًا عند الإحداثيات (N 14.28588 E 48.33187 E lev.409)[٦]. وعُرفت في نقوش المسند بعقبةقلت، وتتكون من جدار رئيس يمتد من الشرق إلى الغرب، بُني على منحدر جبلي يشرف مباشرة على وادي العوارض المؤدي إلى وادي حجر بطول

(١) حبتور، وادي ميفعة، ص٢٧.
(٢) الخليفي، وادي جردان، ص٩٧ .
(٣) الخليفي، وادي جردان، ص٩٧- ٩٨.
(٤) جروم، المرجع نفسه، ص٢٧٧.
(٥) قريازنوفتش وبيتروفسكي، التجارة والطرق، ص٩٢.
(٦) الحسيني صلاح سلطان، الحواجز الجدارية في المناطق المفتوحة في اليمن القديم- دراسة آثارية ميدانية، أطروحة دكتوراه(غير منشورة)، جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، المغرب، (٢٠١٦)، ص٦٩.

يبلغ حوالي (١٥٤متر) وارتفاع (٤متر)، ويتدرج سمك الجدار من (١٨ ,١متر) في طرفه الغربي حتى (٥٥ ,١متر) ناحية الشرق (صورة رقم ١)، وتتوسطه بوابة ضخمة يبلغ متوسط عرضها (٥ ,٢متر)، كانت القوافل الجمال تمر عبرها إلى وادي حجر (صورة رقم ٢)[١]. كما يوجد أربعة جدران أخرى بُنيت جنوب شرق المنشأة الرئيسة على المنحدر الشرقي للواديالممر وعلى مسافات متباعدة ممتدة من الشمال إلى الجنوب، وفي مواضع تمنع رواد الطريق من التسلل بعيدًا عن البوابة الرئيسة الآنفة الذكر. ويعود تاريخ جدار البناء إلى عهد مكرب حضرموت يشهر إل يهرعش ابن أب يسع في حدود القرن الأول الميلادي، وطبقًا لما ذكره النقش (RES2687) المسجل على كتلة حجرية في جدار البوابة الرئيسة، فقد أمر المكرب الحضرمي آنف الذكر أحد أتباعه ويدعى شكمم سلحن بن رضوان للإشراف على بناء عقبة (طريق جبلية صاعدة) سماها (قلت) ووجهه أن يبني هناك جدارًا وبوابة، وبناء طريق جبلية أخرى (عقب) في وادي حجر وتحصينها من جهة البحر بحجارة من أسفلها إلى أعلاها. ويذكر النقش أن أتباع الملك وصلوا إلى ميفعة وتوقفوا في أرض قبيلة الضيفة (ضيفتن) وبنوا وحصنوا عقابها وبنوا جدارًا وبوابة وبرجين دفاعيين، وقد سجل صاحب النقش أن تلك التحصينات التي بنوها في قلت كانت بهدف التصدي لغارات حميرية على حدود حضرموت.

**النقش** RES 2687 :

١- ش ك م م/ س ل ح ن / ب ن / ر ض و ن/ ق ت د م[/ ] (م) ر أ (س/ ي ش) [هـ] (ر أ ل/ ي)[هـ](ر)[ع](ش)/ ب ن/ أ ب ي س ع/ م ك ر ب/ ح ض ر (م) ت/ م ت/ أ م ر س/ م ر أ س و و .

٢- هـ ي س [ع] أ ل/ ع ل هـ ن/ ب ن/ ب ن أ ل/ و د و س م / م س( ب ض/ ب

(١) الحسيني، الحواجز الجدارية، ص٧٠ - ٧٢.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +201008170225

ن/ ظ) ر ب/ هـ ب (ن) أ/ ع ق ب ت هـ ن/ ق ل ت/ و ع ق ب/ ح ج ر/ ع ل هـ ت هـ ن / ب ن/ ب ح ر هـ ن/ ق د م م/ ع ل هـ ي/ ج ر

٣- ب ت/ و (ن هـ)م ت/ و ج م س م هـ ي/ ج ن أ/ ق ل ت/ و ع ق ب (هـ) ن/ (م) ت/ح ذ ر و/ ح م ي ر م/ و ت ب ع/ ه ي س ع أ ل/ و د و س م/ و ع م س م ن/ ب ن/ أ ب هـ ت ي/ ح ض ر م ت/ و م ت س ك/ ب

٤- م ي ف ع (ت)/ و(ض) [ي ف ت] (هـ) ن/ ق ر ن هـ م/ و ب ن ي/ و ي ع ر/ع ق ب/ ض ي ف ت هـ ن/ و ب ن ي/ ج ن أ هـ ن/ و م ح ف د ي هـ ن/ ي ذ أ ن/ و ي ذ ت أ ن/ و خ ل ف هـ ن/ ي ك ن/ ب م ع ر ب/ و س٣ د م/ و ض و ي م/

٥- [.....]/ و أ ب ر ي/ ب ن م و/ ر ب ب م/ أ د/ ش ق ر م/ ب ن م و/ ل ب ن/ ش م س/ ذ هـ ي/ ي ش [ر] ح (إ) ل/ ذ ع ذ ذ م/ (س٣) ن ي هـ ن/ ش ل س٣ ت/ أ و ر خ م/ ب ع ش ر ي/ و م أ ت/ أ س د م/ ج س م هـ (م).

**معنى النص:**

١- شكيم سلحان بن رضوان تقدم سيده يشهر إل يهرع شبا أب يسع مكرب حضرموت، وذلك عندما أمره أسياده.

٢- هيسع إل علهان بن بن إل ودوس مسربض بن ظرب لبناء عقبة قلت وعقبة وادي حجر المواجهتان لناحية البحر من أعلى الواجهة.

٣- وسمت الدار وسور قلت والعقبة، وذلك حذرًا من قبيلة حمير، ووجه هيسع إل ودوسم برفقة شيوخ حضرموت وتوقفوا.

٤- في ميفعة وموطن قبيلة الضيفة وبنوا عقبة الضيفة وبنوا السور والبرجين يّذأن ويّذتأن وبوابة يكن وكسوها بالحجارة في الدخل والمأوى.

٥- ودعموها من الأساس إلى أعلى القمة بعون شمس، وذلك لسنتين من زمن يشرح إل ذو عذاذ وخلال ثلاثة أشهر وبواسطة مأة وعشرون رجل.

**صورة رقم١، جدار عقبة قلت**

**عن الحسيني، (٢٠١٦)**

**صورة رقم٢، بوابة عقبة قلت**

**عن الحسيني، (٢٠١٦)**

وطبقًا لما سجله النقش (RES2687)، فإن منشأة البناء تمثل تحصينات دفاعية كان هدفها الرئيس صد أي هجمات محتملة من حِمْيَر (الحميريون)على حدود مملكة حضرموت عبر وادي حجر، ولكننا لا نعلم على وجه اليقين أهي حِمْيَر الدولة المعروفة، أم أن المقصود بها قبيلة حِمْيَر (الصغرى) التي ما تزال تعرف بهذا الاسم إلى اليوم في بلاد الواحدي في محافظة شبوة، والتي يرى البعض أنها مارست



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

التقطع والسطو على القوافل التجارية في أطراف مملكة حضرموت الغربية؟، الأمر الذي دفع ملوك حضرموت إلى إقامة هذه المنشأة الدفاعية وغيرها لصد هجمات السطو على القوافل التي تمر بوادي حجر[١]. إلى جانب ما ذكره النقش أعلاه، توحي طبيعة منشأة عقبة (قلت) أنها كانت تمثل صمام أمان لمنطقة حضرموت الداخل[٢]، وهذا يعني أنها كانت الموضع الطبيعي الوحيد في هذه المنطقة الذي يمكن أن تنفذ عبره الطريق المؤدية إلى مرتفعات الجول ووادي حضرموت، لذلك فقد استغلت كمحطة لتحصيل الضرائب من تجار القوافل الذين أجبرتهم الدولة كما يبدو على سلوك هذا الطريق الجبلي (العقبة) باتجاه العاصمة شبوة أو نحو وادي حضرموت عبر وادي عمد، وتفاديًا لقطَّاع الطرق المتربصين على طريق (قنا- ميفعة - شبوة).

وقد تتبَّع هارولد إنجرامز (Ingrams.H) سنة ١٩٣٩م مسار هذا الطريق وذكر أنه بعد اجتياز بوابة البناء (قلت) تهبط القوافل في اليوم الثاني إلى مجرى (نهر) وادي حجر عبر ممر وعر يسمى نوعب، فتسلك مجرى الوادي حتى قرية الصدارة الواقعة على بعد يومين من السير على الأقدام، وهي مسافة تقدر بـ ٨٠كم تقريبًا. وأشار إنجرامز إلى وجود عدد من الخرائب والحصون، ومقالد المياه (أحواض) المحفورة في الأرض، فضلًا عن عدد من نقوش المسند على الصخور المنتشرة على جانبي الطريق، إضافة إلى وجود العديد من أكوام الحجارة التي تسمى محليًا بالعروم، وهي نوع من القبور المنتمية إلى ثقافة عصور ما قبل التاريخ[٣]،والتي ربما استخدمت فيما بعد كلامات أرضية لتحديد مسار الطريق الرئيس للقوافل التجارية. ومن الصدارة يصعد مسار الطريق من أرض الوادي، ويجتاز ممر أو

(١) جروم، اللبان والبخور، ص٢٨٠.
(٢) الجرو، طرق التجارة، ص٢٤.
(٣) Bin ‘Aqil1. A., McCorriston. J, Prehistoric small scale monument types in Hadramawt (southern Arabia):convergences in ethnography, linguistics and archaeology, ANTIQUITY 83,(2009),p.606

عقبة البيضاء[١] بعد ظهيرة اليوم الرابع، ومنها تتجه القوافل إلى أعلى هضبة الجول الممتدة بين منطقة حجر في الشرق وأعالي وادي جردان في الغرب[٢]. وفي صباح اليوم الخامس من الرحلة تواصل القوافل سيرها نحو الشمال الغربي على طول منبسط الجول في يسر وسهولة على مدى ثلاثة أيام تمر خلالها بمناطق مأهولة أهمها المشيجرة والشعبة في أرض قبيلة بلعبيد، وبينهما تنتشر على جانبي الطريق كثير من العروم وكتابات المسند ورسوم الوعول. ويجتاز الطريق بعض المسالك الضيقة مثل ممر المعابر، وعددًا من الممرات الجبلية أهمها عقبة المجورة أو (Majarrah عند انجرامز)، وهو ممر جبلي تم رصف أرضيته وجوانبه بالحجارة على امتداد عدة كيلومترات تسهيلًا لحركة الجمال وربما العربات[٣]، وعلى بُعد بضعة كيلومترات يجتاز الطريق ممرًا جبليًا ثانيًا يسمى عقبة فتورة (العقيبات)، وهو طريق يربط مرتفعات الجول بوادي عرما المؤدي إلى مدينة شبوة[٤]، وقد تم تمهيده وبناؤه على منحدر وعْرٍ بعرض يبلغ حوالي (٥متر)، ورُصفت أرضيته ودُعمت بعض جوانبه بحجارة ضخمة[٥]. ويعتقد البعض أن بناء فتورة وغيرها من العقاب على هذا الطريق ينسب إلى الملك الحضرمي (سمهرم علهان)، الذي شهد عهده ازدهارًا تجاريًّا في المملكة خلال القرن الرابع قبل الميلاد، والذي ترك نقشين بالمسند على إحدى صخور عقبة فتورة[٦]. كما عثر إنجرامز هناك على نقش بالمسند محفور على واجهة إحدى الصخور يعرف

(١) Ingrams, From Cana, p. 177-180

(٢) حبتور، اليزنيون، ص٢٧.

(٣) Ingrams, From Cana, p. 181-182

(٤) جروم، اللبان والبخور، ص٢٧٧.

(٥) Ingrams, From Cana, p. 182-183

(٦) الخليفي، وادي جردان، ص١٣- ١٤.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

بـ (Ingrams 1)[١] وعبر عقبة فتور، تنزل القوافل التجارية متخذةً من أرض وادي عرما طريقًا لها نحو مدينة شبوة مرورًا بعدد القرى الواقعة على جانبي الوادي أهمها قرية المافود التي تصلها القوافل في نهاية اليوم الثامن تقريبًا. وبالقرب من شبوة يلتف مجرى عرما نحو الجنوب الغربي، عندها يصعد طريق القوافل من أرض الوادي باتجاه الشمال ليختصر المسافة نحو شبوة من خلال اجتياز طريق جبلي أخير يسمى العُقَيْبة[٢]، وهو ممر عريض مرصوف بالحجارة يقع على بعد عدة كيلومترات شرق مدينة بشبوة[٣] التي تصلها القوافل في منتصف اليوم التاسع تقريبًا من بداية الرحلة بين قنا وشبوة.

يعدُّ هذا الطريق أنموذجًا لهندسة طرق التجارة البرية؛ نظرًا لقيام الدولة بشق ممراته الجبلية الوعرة ورصفها وتدعيم جوانبها بالحجارة لعدة أميال، إضافة إلى تزويد مسار الطريق بعدد من المنشآت الخدمية، مثل أحواض المياه المنحوتة في الصخر أو المبنية على جوانب الطريق التي ما تزال أطلالها باقية إلى جانب عدد من النقوش والمخربشات على الصخور في أماكن متفرقة على طول هذا الطريق[٤]، والتي تدل على حيويته وكثرة استخدامه على الرغم من وعورة مسالكه مقارنة

(١) يعود هذا النقش إلى عهد الملك الحضرمي يدع إل بن رب شمس الذي حكم في القرن الثالث الميلادي، ويتكون من ستة أسطر، وهو نقش لا يتعلق ببناء الطريق، بل يحكي عن رحلة صيد قام بها ملك حضرموت يدع ال بن ربشمس إلى وادي عرما، حيث يبدو أن هذا الوادي كان حينذاك منطقة صيد للنمور والفهود والوعول التي ذكر النقش أنه تم اصطيادها في هذه الرحلة.

(٢) النعيم، الوضع الاقتصادي، ص٢١٤.

(٣) Ingrams, From Cana, p.183

(٤) Ingrams, From Cana, p.179-180

بالطريق الآخر المار عبر ميفعة[١]. ويعزا هذا الاهتمام بحسب رأي بعض الباحثين لعدد من الأسباب: منها حرص الدولة على التحكم في حركة التجارة وتوجيهها إلى العاصمة شبوة؛ كي تتمكن الدولة من فرض الضرائب على كميات اللبان والمر وغيرهما من البضائع، وكان الطريق عبر وادي حجر أأمن الطرق الواصلة إلى شبوة. لذلك سنّ ملوك حضرموت عقوبات صارمة تصل إلى حدّ الإعدام لمن ينحرف من التجار عن المرور بهذا الطريق[٢]. وعلى النقيض من ذلك، كان الطريق عبر ميفعة أقل أمانًا؛ لأنه يمر بسهول فسيحة ومفتوحة يسهل من خلالها على تجار القوافل الهرب ببضائعهم باتجاه الغرب عبر الطرق الذي يربط ميفعة بوادي حبان ومنها إلى تمنع القتبانية عبر وادي يشبم[٣]. ومن الأسباب الأخرى لازدهار الطريق الشمالي هو أن وادي حجر والمنطقة المحيطة به تُعد من الأراضي المنتجة للمر واللبان منذ القدم وحتى الوقت الحاضر، ويرجح أن إنتاجها من اللبان في غابر الأزمان كان يجمع وينقل إلى شبوة مباشرة أو إلى ميناء قنا ليصدر إلى الخارج. وفي هذا السياق، ذكر كتاب (Natural History) منطقة سماها (Sariba) وذكر أنها تبعد عن شبوة مسيرة ثمانية أيام[٤]. وبناء على تلك المعطيات يرجح أن (Sariba) هي المنطقة الواقعة شمال مينا قنا وتضم أراضي وادي حجر وما جاورها بدليل أن المسافة الحقيقية من منطقة وادي حجر إلى مدينة شبوة تقدر بثمانية أيام سيرًا على الأقدام[٥].

(١) جروم، اللبان والبخور، ص٢٧٨.

(٢) Pliny, Natural History, translation by H. Rockham,M.A, Harvard university press, London,(1968),Vol.XII,no.37

(٣) جروم، اللبان والبخور، ص٢٧٩.

(٤) Pliny, Natural History,Vol.XII, no.52

(٥) جروم، اللبان والبخور، ص٢٦٥-٢٦٦.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

### ٢. ٤. الطريق بين قنا و دوعن (خريطة رقما)

وهو طريق يمتد بين قنا ودوعن[١] ليربط الميناء الرئيس لحضرموت بعمق الأرض الحضرمية (وادي حضرموت). يبدأ من ميناء قنا باتجاه منشأة البناء ثم وادي حجر الذي تخرج منه القوافل باتجاه هضبة الجول عبر وادي محجون، وتجتاز قرى وربة ولبنة بارشيد حتى محطة الخريبة[٢]، وهي قرية كبيرة تقع على حافة الجول المطلة على وادي دوعن، ثم يهبط الطريق ويسير على طول مجرى الوادي وجوانبه إلى محطة ريبون في مخرج دوعن. وقد قام بعض أعضاء البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة للتنقيب عن الآثار في سنة ١٩٨٧م بتتبع هذا الطريق ووصفوا مساره والقرى التي يمر بها، وقاموا بتسجيل المسافات ورصدوا بقايا بعض الجدران والأسوار على جوانب الطريق، وذكروا بعض البقايا الإنشائية المنتشرة على طول الطريق مثل الممرات الجبلية وأحواض المياه المحفورة في الأرض وبعض محطات الاستراحة لخدمة القوافل. كما تم العثور على بعض كتابات المسند التي تؤرخ بناء على شكل الخط بالمدة من القرن الرابع إلى السادس الميلادي، إلى جانب نص يوناني عثر عليه في وادي خراش، ويعود إلى القرن الخامس أو السادس الميلادي، وفي ذلك إشارة إلى استخدام هذا الطريق إلى عصور متأخرة[٣].

### ٢. ٥. الطرق الخارجة من حضرموت

هناك عدد من طرق القوافل البرية التي كانت تنقل عبرها تجارة حضرموت إلى أسواق مدن الممالك الواقعة إلى غرب شبوة لاسيما قتبان، التي تربطها بحضرموت

(١) Bowen, Ancient Trade, p.42
(٢) قريازنوفتش وبيتروفسكي، التجارة والطرق، ص٩٢.
(٣) قريازنوفتش وبيتروفسكي، المرجع نفسه، ص٩٢-٩٤.

حدود متداخلة تبدأ في الجنوب الغربي قرب حبان، وتمتد نحو الشمال الغربي حتى حدود أودية المشرق مثل عبدان وضراء التي خضعت لمملكة حضرموت. وتجدر الإشارة إلى أن تلك الحدود كانت تتمدد وتنكمش من حين لآخر تبعًا للمتغيرات السياسية بين الدولتين.

### ٢.٥. ١. الطريق بين قنا و تمنع (شكل رقم١)

ارتبط ميناء قنا بطريق مباشر بمدينة تمنع القتبانية ويعد من أكثر الطرق استقامة في مساره بين قنا وتمنع[١]، حيث يتخذ مسار الطريق الخارج من ميفعة حتى حبان ومنها يصعد الطريق عبر وادي يشبم المتصل بوادي حبان. وتقطع القوافل مسافة تقارب (٢٢كم) من حبان وتمر بعدد من القرى أهمها الشعبة ويشبم حتى الصعيد حاضرة وادي يشبم[٢]، ومنها يتابع الطريق مساره ويخرج من يشبم باتجاه قرية أو محطة الجابية، ومنها ينعطف غربًا نحو نصاب كبرى مدن المشرق، ومنها تتقدم القوافل إلى أسفل وادي مرخة، ثم تكمل مسارها صعودًا نحو الجنوب الغربي على طول مجرى الوادي، بعدها يقطع الطريق عدد من الممرات الجبلية إلى أعلى وادي بيحان، ثم ينحرف جنوبًا صوب العاصمة القتبانية تمنع.

ويبدو أن وادي يشبم كان يشكل شريان رئيس لمرور القوافل التجارية منذ القدم، حيث يذكر النقش القتباني (MuB659/4-5) الذي يؤرخ له بالقرن الثاني قبل الميلاد[٣] عبارة (خ ل ف ن/ ي ش ب م) وتعنى ) (بوابة يشبم)إضافة إلى

(١) عبدالمولى، تجارة البخور، ص٥١؛37 .Bowen, Ancient Trade, p.

(٢) البعسي، فيصل حسين، شبكة الطرق القديمة في أودية كور العوالق في اليمن، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر،(٢٠١٤)، ص٧٧.

(٣) Kitchen. K.A, Documentation for Ancient Arabia II, Bibliographical catalogue, Liverpool University Press,(2000), p.23



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

عبارة (أربعن/ كسوتن/ ذتي/ شأمن/ ويمن) (سطر٧-٩) التي يرى بافقيه أنها تعني «أربع كسوات لجانبي البوابة»[١]، بينما يرى الباحث البعسي أن تلك العبارة تشير إلى أربعة أبراج تقع عن يمين ويسار وادي يشبم، والتي مازالت آثارها موجودة إلى اليوم على جانبي الوادي، وتظهر البقايا الماثلة للعيان اليوم آثار غرف صغيرة إلى جانب بقايا منشآت مائية كانت ملحقة بتلك الأبراج.[٢].

### ٢.٥.٢. الطريق بين شبوة و تمنع (خريطة رقم٢)

هناك عدد من طرق القوافل التجارية الرئيسة والبديلة التي كانت تربط مدينة شبوة بمدن الممالك المجاورة لحضرموت من جهة الغرب (قتبان وسبأ ومعين). ففيما يتعلق بالطريق إلى تمنع يذكر بليني في سياق حديثه عن اللبان الحضرمي أنه «لا يمكن تصديره إلا عبر بلاد القتبانيين، حيث تفرض هناك ضريبة تدفع للملك»[٣]. ويفترض بعض الباحثين مثل (Groom.N) وجود طرق ثانوية أو بديلة كانت تربط -إلى جانب الطرق الرئيسة- بين شبوة وكل من تمنع ووادي الجوف ونجران، منها طريقان يصلان بين شبوة وتمنع، أحدهما مباشر يمتد لمسافة (١٤٥كم) تقريبًا تقطعها القوافل خلال (٥-٦ أيام)[٤]، وعلى الرغم من قصر مسافته مقارنة بغيره من المسالك، إلا أن هذا الطريق يتصف بالمشقة؛ لأن القسم الأكبر منه يخترق الأطراف الجنوبية لرملة السبعتين، فهو يخرج من تمنع نحو الشرق عبر السهل الفيضي لوادي بيحان الذي تجتازه القوافل في يسر وسهولة لمسافة ٤٨كم تقريبًا

(١) بافقيه، محمد عبدالقادر، نقوش ودلالات، ريدان، عدد(٦)، مؤسسة ريدان للدراسات الأثرية والنقشية، عدن، (١٩٩٤)، ص٨-٩.
(٢) البعسي، شبكة الطرق، ص٧٩.
(٣) Pliny, Natural History,Vol.XII, no.63
(٤) جروم، اللبان والبخور، ص٢٨٦.

حتى مناجم عياد للملح. ومن هذه النقطة تحديدًا، يبدأ الجزء الشاق من الطريق، وتكمن مشقته في السير على مدى ثلاثة أيام خلال سهل واسع من الحصى بين البريرة ومصب وادي بيحان يخلو من مصادر المياه(١). وجدير بالإشارة إلى أن هذا الطريق ما يزال يستخدم من البعض للوصول إلى بيحان(٢).

ويرى (Groom.N) أن مسار هذا الطريق يعد من الطرق البديلة المؤدية إلى بيحان، ويفترض وجود طريق تجاري رئيس آخر بين شبوة وتمنع تقطعه القوافل خلال (٨-٩ أيام)(٣)، ورغم طول مساره إلا أنه آمن وسهل المسلك؛ لأنه يمر بمحطات كثيرة للراحة والتزود بالماء والغذاء بسبب ابتعاده عن الصحراء نحو الجنوب بمحاذاة مصاب الأودية المنسابة صوب الصحراء. حيث يبدأ من مدينة شبوة باتجاه الجنوب مرورًا بالبريرة، ومنها يتخذ الطريق مساره على أرض منبسطة وحصوية نحو الجنوب الغربي في خط مستقيم حتى القاع الفيضي لوادي مرخة، ومنه يمكن للطريق أن يتخذ مسارين: أحدهما يصعد الوادي متجاوزًا مدينة نصاب، ويستمر حتى أعلى وادي مرخة، ثم يجتاز بعض الممرات الجبلية المؤدية إلى داخل وادي بيحان، فينعطف جنوبًا باتجاه مدينة تمنع، فيما يسلك المسار الآخر من الطريق وادي همام باتجاه جنوب غرب، حتى ينتهي في مدينة نصاب ومنها تتجه القوافل غربًا إلى وادي مرخة(٤).

(١) جروم، اللبان والبخور، ص٢٨٧.
(٢) استخدم هذا الطريق في أثناء الحرب(٢٠١٥-٢٠١٧م) كطريق بديل للوصول إلى بيحان بدلًا عن الطريق الرئيس عتق- نصاب- بيحان.
(٣) جروم، اللبان والبخور، ص٢٨٩.
(٤) جروم، اللبان والبخور، ص٢٨٨.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

### ٣.٥.٢. الطريق بين شبوة و قرناو (خريطة رقم٢)

كان هناك طريق مباشر يربط مدينة شبوة بوادي الجوف، يتجه من شبوة نحو الغرب، ويخترق صحراء رملة السبعتين متحاشيًا المرور بكل من تمنع ومأرب، حتى يصل إلى قرناو في وادي الجوف(١). وفي منتصف الطريق تقع محطة الرويك وهي موقع استيطان يضم عددًا من الأطلال العائدة إلى ما قبل الإسلام. ومن الرويك يمكن للقوافل أن تغير مسارها الرئيس، وتنعطف قليلًا نحو اليسار (جنوب غرب) صوب مدينة مأرب مباشرة، وربما كان يمر في المناطق التي يمر بها الطريق في الوقت الحاضر بين مارب وحضرموت. وقد استمر استخدام الطريق بين شبوة والجوف من قبل القوافل التجارية حتى بداية خمسينيات القرن العشرين(٢)، إذ قطع الرحالة فلبي مسار هذا الطريق بالسيارة في ثلاثينيات القرن الماضي، ووصف مشقة وصعوبة السفر عبره، حيث تنعدم فيه مصادر المياه إلى مسافة (٢٤١كم) تقريبًا قبل الوصول إلى اقرب آبار وادي الجوف، لذلك يرى البعض أنه يعد من الطرق الثانوية لاسيما أن مساره يخلو من وجود أي آثار تدل على استخدامه من قبل تجار القوافل، ولكنه ربما كان يستخدم في أثناء الحروب التي تتسبب في تعطيل الحركة عبر الطرق الرئيسة(٣).

(١) جروم، اللبان والبخور، ص٢٨٩.
(٢) Bowen, Ancient Trade,p.39
(٣) جروم، اللبان والبخور، ص٢٨٧-٢٨٨

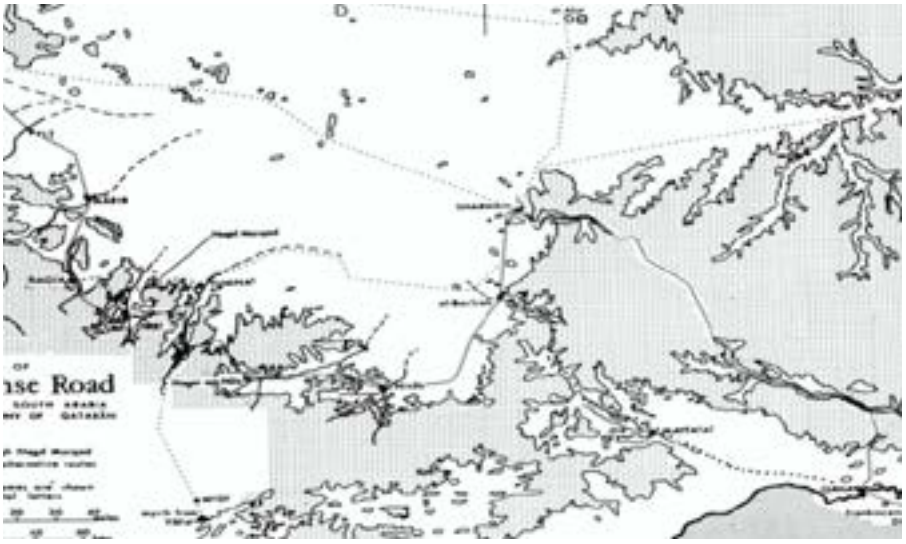


**خريطة رقم٢**
**توضح طرق القوافل الخارجة من شبوة**
**عن: جروم، (٢٠٠٨)**

### ٢.٥.٤. الطريق بين شبوة و نجران (خريطة رقم٢)

يعدّ هذا الطريق مسارًا مختصرًا لنقل اللبان والسلع التجارية الأخرى من قنا إلى نجران في خط مباشر يمر بشبوة ويتحاشى المرور بعواصم ممالك الجنوب الأخرى الواقعة على طريق اللبان الرئيس، ويبدأ من العاصمة شبوة باتجاه الشمال حتى محطة العبر التي كانت ومازالت ملتقى لعدد من الطرق الداخلة والخارجة من حضرموت، منها طريق كان يخرج من وادي حضرموت بدءًا من منطقة العروض، ثم عين على حدود حضرموت الغربية مرورًا بعدد من محطات الراحة وآبار المياه مثل حضابر وخليفة. ومن محطة العبر يتجه الطريق في خط مستقيم نحو الغرب، ويمتد مساره على أرض صخرية عبر وادي القبيح، وفي منتصفه تقع المشينقة، وهي محطة استراحة للقوافل وسط الصحراء عثر فيها جون فلبي سنة ١٩٣٦م



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

على بئر جافة حفرت في الصخر، إلى جانب كتابة حميرية ربما تدل على استخدام الحميريين لهذا الطريق(١). ومن المشينقة تواصل قوافل الجمال المحملة بالسلع التجارية سيرها غربًا، ثم تلتف مع الطريق التجاري ناحية اليمين في حركة دوران حول الحدود الجنوبية الغربية لصحراء الربع الخالي باتجاه شمال غرب، حتى يتصل بطريق اللبان الدولي الخارج من وادي الجوف صوب نجران(٢). ويَعدُّه بعض الدارسين من مسالك طرق التجارة القديمة المهمة بدليل العثور على بضعة آبار للمياه وعدد من المخربشات على الصخور المتناثرة على جانبي الطريق في وادي العقبان(٣).

يستنتج مما تقدم أن بعض الطرق التجارية الخارجة من شبوة نحو شمال الجزيرة العربية كانت تتجاوز مدن تمنع ومأرب وقرناو، أي أنها لم تلتزم بخط التجارة الدولي (طريق اللبان) الذي كان يمر بعواصم ممالك الجنوب كمحطات تجارية مهمة. ما يعني أن غالبية تلك الطرق كانت بديلة، ويلجأ إليها تجار القوافل في حالات يتعذر معها سلوك طريق اللبان الرئيس. وعلى الرغم من أن تلك الطرق تختصر مسافات الرحلة لاسيما بين شبوة ونجران، إلا أنها تتصف بمشقة السفر عبرها نظرًا لاجتيازها مناطق صحراوية شحيحة المياه، تغطيها الكثبان الرملية المتحركة التي يصل ارتفاع بعضها إلى (٩١متر)(٤). وهنا يبرز السؤال: ماهي الأسباب التي أدت إلى نشوء طرق القوافل البديلة ؟.

وللإجابة عن هذا السؤال، فإننا نفترض وجود دوافع أمنية وأخرى اقتصادية

(١) Bowen, Ancient Trade, p.39
(٢) جروم، اللبان والبخور، ص٢٨٧.
(٣) جروم، المرجع نفسه، ص٢٨٨.
(٤) جروم، المرجع نفسه، ص٢٨٦.

وربما كلاهما معًا، أدت إلى ظهور طرق بديلة للتجارة كان يسلكها تجار القوافل رغم صعوبة ممراتها وأراضيها الواقعة في صحاري جنوب الجزيرة العربية. وتتمثل الدوافع الأمنية في الحروب التي كانت تنشب بين ممالك اليمن القديم في أزمنة متفرقة بسبب التوسع والتنافس على النفوذ والسيطرة، لاسيما تلك الممالك التي تقع طرق التجارة الرئيسة في أراضيها كحضرموت وقتبان، والتي تسببت في اضطراب نظام الحماية الذي كانت توفره الدولة لطرق التجارة، وينتج عن ذلك التقطع والسطو على القوافل التجارية من قبل قطاع الطرق والقبائل التي تفقدها الحرب بعض امتيازاتها الاقتصادية. وبطبيعة الحال، ففي حالات الحرب تحاول أطراف الصراع تضييق الخناق على بعضها، ويسعى كل طرف إلى حرمان خصمه من موارده المالية مثل ضرائب المرور التي كانت من أهم موارد الدول القديمة، وذلك من خلال حرف مسالك التجارة الرئيسة المؤدية إليه، وتشجيع القوافل وتوجيهها لسلوك طرق بديلة تتفادى المرور بمدن العدو وحرمانه من موارده الضريبية. فضلًا عن ذلك، كان الضعف الاقتصادي الناتج عن الحروب يؤدي إلى ركود حركة التجارة وتدنيها، وضعف في الأداء الأمني، وارتخاء سيطرة الدولة على إدارة طرق التجارة الدولية، فيمتنع التجار عن الالتزام باستخدام مسالك التجارة التقليدية المارة بعواصم الدول الضعيفة ومدنها، واللجوء إلى سلوك طرق بديلة تهربًا من دفع الضرائب.

وبناءً على معلوماتنا التاريخية عن أحوال جنوب الجزيرة العربية، نستطيع رصد العديد من مراحل الاضطراب السياسي والاقتصادي التي مرت بها ممالك جنوب الجزيرة، حيث شهدت المنطقة حروبًا طويلة اشتد أوارها بين الأطراف المتصارعة خلال القرن الثاني والثالث للميلاد. حيث نشبت حروب وتحالفات مركبة بين كل من سبأ وحمير وقتبان وحضرموت. ويمكننا أن نفترض أن زمن نشوء الطرق المباشرة والبديلة بين شبوة وكل من وادي الجوف ونجران، إنما يرجع إلى مراحل



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

اضطراب أوضاع دولة قتبان التي اضمحلت في حدود سنة ١٧٥م[١] بسبب صراعها مع سبأ التي اقتطعت أجزاءً واسعة من أراضيها منذ القرن الأول الميلادي[٢]، بل وتحالفت ضدها مع حضرموت؛ مما أدى إلى ضعف تحكم قتبان بحركة التجارة وفقدان سيطرتها على طرق القوافل المارة بأراضيها لصالح جارتها حضرموت التي سنحت لها الفرصة لتغيير مسارات الطرق الرئيسة وإنشاء طرق بديلة بعيدًا عن أراضي قتبان، لاسيما بعد تدهور الأخيرة ووقوع أراضيها تحت السيطرة الحضرمية في النصف الثاني من القرن الثاني[٣]. كما استغلت حضرموت كما يبدو انشغال السبئيين بحروبهم الطويلة مع حمير، وتجاوزت بتجارتها أرض السبئيين عبر سلوك طريق يؤدي مباشرة إلى وادي الجوف. وخلال تلك المدة عقد اتفاق حضرمي معيني لتسيير تجارة جنوب الجزيرة العربية نحو شمالها[٤]. وفي هذا السياق كتب المؤرخ (Pliny) يقول: «إلى جانب الحضارمة هناك المعينيون الذين ينقلون عبر أراضيهم اللبان...»[٥]. وللتقليل من ضرر ذلك التحالف على اقتصادها لجأت قتبان إلى عقد اتفاقيات تجارية مع كل من حضرموت ومعين تتعلق بدفع الضرائب، والمحافظة على تسيير قوافل التجارة عبر طريق اللبان الرئيس المار بأراضيها[٦].

**الخلاصة:**

يُستنتج مما تقدم أن أقدم الطرق التجارية القديمة في حضرموت تعود بتاريخها إلى مرحلة عصور ما قبل التاريخ، وكانت تربط مناطق شرق حضرموت القديمة

(١) البعسي، شبكة الطرق، ص٤٧.
(٢) عربش وفونتين، اليمن، مدن الكتابات، ص١٩.
(٣) عربش وفونتين، المرجع نفسه، ص٢٠.
(٤) جروم، اللبان والبخور، ص٢٩٢.
(٥) Pliny, Natural History,vol.XII, no.32
(٦) جروم، اللبان والبخور، ص٢٩٢.

بغربها. وقد تحكمت طبوغرافيا المنطقة في تحديد مسارات الطرق، فيلاحظ أن أغلب طرق القوافل كانت تتخذ من مجاري الوديان مسالكًا لها؛ نظرًا لسهولة السير فيها وتوافر خدمات الطريق بفضل التجمعات السكانية الموجودة في تلك الوديان. أما المناطق الوعرة وصعبة المسالك فقد نالت اهتمام الدولة بتمهيدها للقوافل، وشق ممراتها الجبلية، ورصفها وتدعيم جوانبها بالحجارة، وتزويدها بأحواض للمياه محفورة في الأرض. وتشير خرائط الطرق المعاصرة إلى أنها أنشئت على مسارات طرق القوافل القديمة نفسها، لاسيما تلك التي كانت تربط شرق حضرموت بغربها.

أثر ظهور الموانئ البحرية لمملكة حضرموت وازدهار النقل البحري على أداء طرق التجارة البرية، فقد تسبب نشوء ميناء سمهرم في إهمال الطريق البري القديم بين ظفار وشبوة، كما أدى ازدهار ميناء قنا بين القرنين الأول والثالث الميلاديين إلى نشوء طرق جديدة أهمها طريق قنا- حجر-شبوة، الذي يرجح أن ذروة استخدامه كانت معاصرة لازدهار الميناء في تلك المدة. من جانب آخر، تأثر نشوء طرق القوافل وازدهارها بالمتغيرات السياسية والأمنية التي كانت سائدة بين ممالك اليمن القديم، حيث أدى أفول مملكة قتبان وانشغال سبأ بحروبها مع الحميريين إلى سيطرة حضرموت على نقل تجارتها الدولية من خلال طرق بديلة ومباشرة بين شبوة ونجران. كما أدى اضطراب الأوضاع الأمنية على حدود حضرموت الغربية بين القرن الأول والثالث إلى إهمال الطريق الغربي عبر ميفعة لصالح الطريق الشمالي إلى شبوة عبر وادي حجر.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

## الاختصارات

AFSM= The American Foundation for study of Man

CIH= Corpus Inscriptionum Himyaretic,1889,1932

Ir= Inscriptions published by al-Iryani. M.

Ja= Inscriptions studied by Jamme.A.

JRAS= Journal of Royal Asiatic Society

MuB= Museum of Baihan

RES= Repertoire d' Epigraphy Sémitique

UAM= University of Aden Museum

YM= Yemeni Museum, Sanaa.

## قائمة مراجع البحث

### المراجع باللغة العربية:

**أحمد، عبد المعطي محمد عيد،** نشاط قتبان التجاري وعلاقتها بمصر القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الزقازيق، مصر،٢٠٠٠م.

**إدريس، جمال الدين محمد،** قراءة في عصور ما قبل التاريخ حول نشأة المدينة في مرتفعات اليمن الوسطى، مجلة كلية الآداب، عدد ٤، يوليو، كلية الآداب، جامعة عدن٢٠٠٧م.

**أكوبيان، آرام، ومحمد بامخرمة، يوري فيتو قرادوف،** التنقيبات الأثرية في ميناء قنا القديم: نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المجمعية المشتركة لعام ١٩٨٨م، الجزء١، تحرير بطرس قريازنفتش وعبدالعزيز بن عقيل، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيؤون، ١٩٨٨م.

**أودوان، ريمي،** وادي ضراء: اليمن، في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، ودار الأهالي، دمشق،١٩٩٩م.

**باعليان، محمد عوض،** حيوانات النقل والحرب في اليمن القديم، دراسة في ضوء النقوش والآثار، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عدن ٢٠١٢م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

**بافقيه، محمد عبدالقادر**، نقوش ودلالات، ريدان، عدد٦، المركز الوطني الفرنسي للبحوث العلمية، باريس،١٩٩٤م.

**بافقيه، محمد عبدالقادر**، و روبان، كريستيان، نقوش جديدة من ينبق اليمن الديمقراطية، ريدان- حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف- عدن،، منشورات بيترز- بلجيكا،١٩٧٩م، العدد الثاني.

**بافقيه، محمد عبد القادر**، و بيستون، الفرد، و روبان، كريستيان، و الغول، محمود، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،١٩٨٥م.

**باور، ج.م، و لوندين،أ**، تاريخ اليمن القديم- جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور، ترجمة أسامة أحمد، دار الهمداني للطباعة والشر، عدن،١٩٨٤م.

**باوزير، محمد عبدالله**، بلاد الأحقاف.. حضرموت- الاسم والموقع من خلال المصادر التاريخية، مجلة اليمن، مركز الظفاري للدراسات والبحوث، جامعة عدن، ٢٠١٥م عدد٣٤.

**بريتون، جان فرانسوا**، شبوة: عاصمة حضرموت، اليمن، في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، ودار الأهالي، دمشق،١٩٩٩م.

**البعسي، فيصل حسين**، شبكة الطرق القديمة في أودية كور العوالق في اليمن، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٤م.

**الجرو، أسمهان سعيد**، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، مجلة جامعة عدن للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ١٩٩٩م، مج٢، عدد٣.

- دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.

**جروم، نايجل**، اللبان والبخور، دراسة لتجارة البخور العربية، ترجمة عبد الكريم بن عبدالله الغامدي، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٨م.

**حبتور، ناصر صالح**، وادي ميفعة، دراسة تاريخية لأحد المراكز الحضارية في اليمن القديم، رسالة ماجستيرغير منشورة، كلية الآداب، جامعة عدن، ١٩٩٧م.

– اليزنيون، موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم، جامعة عدن ودار الثقافة العربية، الشارقة، ٢٠٠٢م.

**الحسيني، صلاح سلطان**، الحواجز الجدارية في المناطق المفتوحة في اليمن القديم– دراسة آثارية ميدانية، أطروحة دكتوراهغير منشورة، جامعة الحسن الثاني، المغرب، ٢٠١٦م.

**الخليفي، محمد أحمد السدلة**، وادي جردان من القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلاديدراسة تاريخية، رسالة ماجستيرغير منشورة، كلية الآداب، جامعة عدن،٢٠١٣م.

**رشاد، مديحة**، واينزان، ماري لويز، فن الرسوم الصخرية واستيطان اليمن في عصور ما قبل التاريخ، المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٧م.

**زارنس، يورس**، أرض اللبان– دراسة ميدانية أثرية في محافظة ظفار بسلطنة عمان، تحرير وترجمة معاوية إبراهيم وعلي التجاني الماحي، منشورات جامعة السلطان قابوس، سلسلة علوم الآثار والتراث الثقافي، ٢٠٠١م، المجلد الأول.

**ستارك، فريا**، البوابات الجنوبية لجزيرة العرب، رحلة إلى حضرموت عام١٩٣٤م، ترجمة وفاء الذهبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ٢٠١٣م.

**سيدوف، الكسندر**، قنا ميناء كبير بين الهند والبحر المتوسط: اليمن، في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، ودار الأهالي، دمشق، ١٩٩٩م.

**عبد المولى، أسامه محمود**، تجارة البخور في جنوب شبه الجزيرة العربية في الفترة من القرن العاشر حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستيرغير منشور، جامعة الزقازيق، مصر، ٢٠١٣م.

**عربش، منير، وفونتين، اوج**، اليمن، مدن الكتابات المسندية، المركز الفرنسي للآثار والدراسات الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٦م.

**فوكت، بوركهارد و سيدوف، الكسندر**، ثقافة صبر على الشاطئ اليمني: اليمن، في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي،



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

باريس، ودار الأهالي، دمشق، ١٩٩٩م.

**قريازنفتش، بطرس،** دراسة ميناءقنا القديمآفاق ونتائج أولية: نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المجمعية المشتركة لعام ١٩٨٨م، الجزء١، تحرير بطرس قريازنفتش وعبدالعزيز بن عقيل، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيؤون،١٩٨٨م.

**قريازنفتش، بطرس، وبيتروفسكي، ميخائيل،** التجارة والطرق التجارية في حضرموت القديمة: نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المجمعية المشتركة لعام ١٩٨٨م، الجزء١، تحرير بطرس قريازنفتش وعبدالعزيز بن عقيل، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيؤون، ١٩٨٨م.

**كليب، مهيوب غالب،** مدخل إلى دراسة التاريخ السياسي والحضاري لجنوبي شبه الجزيرة العربية-اليمن القديم٢، دار جامعة ذمار للطباعة والنشر، ٢٠١٢م.

**كوجين، يوري. ف،** العمارة الطينية الحضرمية التقليدية، تعريب عبدالعزيز بن عقيل، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، ٢٠١٥م.

**دي ميغرية، اليساندرو،** عصر البرونز في المرتفعات، في: اليمن، في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، ودار الأهالي، دمشق،١٩٩٩م.

**النعيم، نوره،** الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف، الرياض، ١٩٩٢م.

- التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠م.

**نهيم، حسين سالم، و خالد الحاج، صلاح الحسيني،** أعمال المسح الأثري في محافظة المهرة، الموسم الثالث، مديرية حوف، الهيئة العامة للآثار والمتاحف- المهرة، ٢٠١٥م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

## ٢- مراجع بلغات أجنبية:

**Van Beek. Gus W.,** Frankincense and Myrrh in Ancient South Arabia, Journal of the American Oriental Society,1958, Vol. 78, No. 3.

**Beeston. A., Ghoul. M, Muller. W.,** Sabaic Dicitionary, Publcation of Sana,a University, Louvain et BiyrouthLibrariane du liban,1982.

**Bin 'Aqil1. A., McCorriston. J.,** Prehistoric small scale monument types in Hadramawt southern Arabia:convergences in ethnography, linguistics and archaeology, ANTIQUITY 83,2009.

**Bowen. R.L.,** "Ancient Trade Routes in South Arabia" in: Bowen, R.L. and Albrigt, F.P: Archaeological Discoveries, AFSM, Baltimore press. ,1958.

**Casson.L.,** The Periplus Maris Erythraee, translation and commentary by Lionel Casson,Princeton University press,1989.

**Doe. B.,** Monuments of south Arabia, oleander press and falcon press, Itay, 1983.

**Fedele.F.,** "Man,Land. and Climate: Emerging Interactions from the Holocene of the Yemen Highlands" in: Man's Role in Shaping of the Eastern Mediterranean Landscape ,S. Bottema, G. Entjes-Nieborg and and W. va Zeist eds, Balkema,

Rotterdam, 1990.

**Ingrams.H.,** From CanaHusn Ghorab to SabbathaShabwa: the south Arabian Incense Road, JRAS,No.2, 1945.

**de Maigret. A.,** La route caravanière de l'encens dans l'Arabie préislamique, Éléments d'information sur son itinéraire et sa Chronologie, in; Chroniques yéménites,no.11,2003.

**Pliny.,** Natural History, translation by H.Rockham,M.A, Harvard university press, London,1968.

**Raffaelli. M, Mosti. S, Bellini. C, Mariotti. M .Lippi.,** Dhofar, the Land of Frankincense, in: Along the aroma and spice routes, Avanzini et al,The harbour of Sumhuram, its territory and the trade between the Mediterranean, Arabia and India, Finito di stampare nel mese di Gennaio, 2011.

**Tucker. A.,** Frankincense and Myrrh, Economic Botany,Vol.40,No.4, 1986.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

# أوقاف المراكز العلمية في عصر السلاجقة الأتراك (دورها في النهضة العلمية الإسلامية) (٤٢٩- ٥٥٢هـ)

د. عبد الفتاح قاسم ناصر الشعيبي[١]

**الملخص:**

للأوقاف دور كبير وفاعل في نهضة الأمة الإسلامية على مرّ العصور التاريخية للإسلام، وفي تلبية حاجات المجتمع بكل مكوناته، وتاريخنا الإسلامي مليء بالأوقاف التي لبّت مصالح الناس منذ ظهور الإسلام إلى حاضرنا، ودليل ذلك ما جاء في كتب التراث والتاريخ وجميع الوثائق والمدونات المتعلقة بالأوقاف التي حفظتها خزائن المكتبات، فعن طريق تلك الأوقاف شُيِّدت المدارس وبنيت المساجد والمكتبات والبيمارستانات وغيرها من المراكز والمصالح العلمية، وكان عصر السلاجقة الأتراك أنموذجًا لتلك النهضة التي أحدثتها الأوقاف في بعض الأجزاء الخاضعة لحكمهم، ويعد الملوك والسلاطين والأمراء السلاجقة الأتراك رواد حركة النهضة العلمية، فيعود إليهم الفضل في غرس المفاهيم الفكرية المتطورة في عصرهم من خلال فتحهم الأفق

(١) أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المشارك اليمن – جامعة عدن – كلية التربية/ صبر.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

الواسع للمعارف والعلوم المختلفة، وقد تناولنا في بحثنا هذا دور السلاجقة الأتراك العظام في دعم الأوقاف، وأهم أوقافهم خلال المدة من سنة ٤٢٩ حتى سنة ٥٥٢هـ، ودور مصادر التموين الوقفي في تشجيع العلم والمتعلمين في عصرهم، ودورهم في ظهور المراكز العلمية، وتشجيع العلماء والمتعلمين والقائمين على تلك المراكز والمقيمين فيها، ومدى التأثير الذي أحدثته تلك الأوقاف على النواحي العلمية في الحقبة المبحوثة.

الكلمات المفتاحية: أوقاف المراكز – عصر السلاجقة- دورها – النهضة العلمية الإسلامية.

## Abstract

Endowments (awqaf) have a large and effective role in the rise of the Islamic nation throughout the historical ages of Islam and in meeting the society needs. Our Islamic history is full of endowments that have responded to peoples' interests since the advent of Islam and what is written in the books of heritage, history , all the documents and codes and what preserved in the libraries is a mark of this. Through those endowments, schools, mosques, libraries and other centers and scientific interests were built. The Seljuk era was a model for the renaissance that was brought about by some of the parts ruled by the Seljuk. Seljuk kings, sultans and princes are considered the pioneers of the renaissance movement, they have the honor to implant the modern intellectual concepts in their time by opening up the broad horizons of knowledge and different sciences.

In this research, we have discussed the role of the Seljuks and their support of the endowments and the most important places and the sources of supply and finance in their time and their role in the emergence of scientific centers and the encouragement of scientists and learners and those who

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

hold these centers and residents in and the extent of the effect that these endowments have on scientific aspects in the period under investigation.

**تمهيد:**

يُعد عصر السلاجقة الأتراك العظام (٤٢٩- ٥٥٢هـ) بحق عصر النهضة العلمية الإسلامية لاسيما في المناطق والأجزاء التي انطوت تحت حكمهم أو نفوذهم، كما أن تأثيراته ومؤثراته العلمية التنويرية شملت المساحة التي أنتشر فيها الإسلام، بل وتعداها، فشرقًا الهند والصين، وغربًا دول أوروبا. كما يعد السلاطين والملوك والأمراء السلاجقة الأتراك رواد حركة النهضة العلمية، فيعود إليهم الفضل في غرس المفاهيم الفكرية المتطورة في عصرهم من خلال فتحهم الأفق الواسع للمعارف والعلوم المختلفة، وإنشائهم للمراكز العلمية (مساجد- مدارس- مكتبات- زوايا- أربطة - بيمارستانات)، فأوجدوا بذلك صروح المعرفة، وأعطوا كل تلك المراكز جُل اهتمامهم ورعايتهم، بل وبذلوا قصارى ما عندهم من أجل ذلك، فحموا العلم في عهودهم واجتذبوا العلماء، وتنافسوا في هذا المضمار، ولم يبخلوا بالإنفاق على العلم.

وإن من أبلغ مظاهر اهتمام السلاجقة الأتراك بالعلم تلك الأوقاف التي وقفوها رجالًا ونساءً من أراضٍ زراعية ودور ومبانٍ وأسواق وقرى ووديان وغيرها من الأوقاف السخية لصالح المراكز العلمية، حتى إن بعض المراكز العلمية نفسها وقفت لصالح العلم والمتعلمين.

سيتناول بحثنا هذا أوقاف المراكز العلمية في عصر السلاجقة الأتراك ودورها في النهوض العلمي الإسلامي، وكيف أن هذه الأوقاف كانت الداعم الرئيس في إقامة المراكز العلمية، والإنفاق على العلماء وطلاب العلم، وبفضلها استمرت المراكز العلمية من مدارس ومعاهد في تأدية رسالتها ونشر علومها ومعارفها، فحاولنا إبراز أهم تلك الأوقاف وموقفيها، والتي كان لها الدور الأكبر في ظهور أعلام العلماء

المدرسين ومدارسهم الشهيرة. لقد اتّبعنا في بحثنا هذا المنهج التاريخي التحليلي والوصفي مع استخدامنا لأسلوب المزاوجة بينهما، وبما أننا أخذنا عن الأوقاف في عصر السلاجقة الأتراك، وهو الذي شمل مساحة أو رقعة واسعة من أرض الإسلام، وأمتد أكثر من قرن من الزمان وتأثيره تعدى ذلك، فإننا سنكتفي بإيراد نماذج الأوقاف الأكثر أثرًا على مسيرة الحياة العلمية في هذه الرقعة، وعليه فقد اتّبعنا في بحثنا هذا المتواضع التقسيم التالي:

**المبحث الأول : الأوقاف ودور السلاجقة الأتراك في دعمها**

**أولًا: تعريف الوقف وأقسامه:**

١- تعريف الوقف لغة واصطلاحًا.

٢- تعريف الوقف العلمي.

٣- أقسام الوقف.

أ- الوقف الذري(الأهلي).

ب- الوقف الخيري.

**ثانيًا: دور السلاجقة الأتراك في دعم الأوقاف.**

**المبحث الثاني: أهم الأوقاف في عصر السلاجقة الأتراك ودور نظام تموينها**

**أولًا: أهم الأوقاف للمراكز العلمية في عصر السلاجقة.**

**ثانيًا: دور نظام التموين الوقفي في تشجيع العلماء والمتعلمين.**

**المبحث الثالث: دور الأوقاف في ظهور المراكز العلمية وتأثيراتها.**

**أولًا: دور الأوقاف في ظهور المراكز العلمية في عصر السلاجقة الأتراك.**

**ثانيًا: التأثيرات العلمية والفكرية للأوقاف السلجوقية.**

**الخاتمة: وقد ضمت أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها في بحثنا المتواضع.**

**قائمة المصادر والمراجع.**

**ملخص البحث باللغة الإنجليزية.**



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

# المبحث الأول

## الأوقاف ودور السلاجقة الأتراك في دعمها.

**أولًا: تعريف الوقف وأقسامه:**

**تعريف الوقف:**

أ- **الوقف لغة**: من مصدر الفعل وقف، ويراد به الحبس، ومنه وقفت الأرض على المساكين، ووقفت الدابَّة أي حسبتها، وقيل وقف ووقف سواء ويطلق المصدر ويراد به اسم المفعول - الموقوف - من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول فتقول هذا البيت وقف أي موقوف ولهذا جمع على أوقاف(١).

ب- **أما الوقف في لغة الفقهاء أو اصطلاحاتهم**، فقد جاءت في كثير من مسائل الوقف تعريفاتهم مختلفة أيضًا تبعًا لما يراه كل فريق في هذه المسألة أو تلك، ولا يتسع المقام لبسط القول في هذا، ولكن من أشهر وأخصر تعريفاتهم: أن الوقف هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة(٢). **والوقف** صدقة جارية مستمر نفعها يتصدق بها مالكها قربة لله تعالى ويحدد مصارفها، وأنه يمتنع بيع أصلها أو تملكه أو إرثه لأحد من الناس. كما يتبين لنا من التعريف الأخير أن الوقف يمكن أن يكون على جهة من جهات البر ابتداء وانتهاء وقد يكون على أحد من الناس سواء الذرية أو الأقربين وعند انقطاعهم يكون لجهة من جهات البر يعينها الواقف. وللوقف أجر عظيم، فقد

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، د. ط، ج٩، ص٣٥٩-٣٦٠؛ المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢، دار المعارف، ١٤٠٠هـ، ج١، ص١٠١.

(٢) ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد أحمد محمد، المغني في الفقه الحنبلي، تحقيق: الدكتور عبدالله التركي وزميله، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج٨، ص١٨٤؛ العيني، محمود بن أحمد، البناية في شرح الهداية، تصحيح: محمد بن عمر الرامفوري، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج٣، ص١٣.

ورد في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة – رضي الله عنه– بصيغ مختلفة أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»(١)، وقد فسر العديد من العلماء الصدقة الجارية بأنها الوقف(٢).

فالوقف في الإسلام نوع من أنواع الصدقات التي رغب الشارع فيها وندب إليها، وهو وسيلة من وسائل القرب التي يتقرب بها العبد إلى ربه. ولا فرق في ذلك بين الوقف على جهة عامة كالفقراء وطلبة العلم ونحو ذلك، أو الوقف على القرابة والذرية، إلا أن السلف الأول من هذه الأمة يفضلون أن يكون آخره للمساكين.

**٢- تعريف الوقف العلمي:**

هو الوقف المخصص للنواحي العلمية، كوقف المساجد، والمدارس، والكتاب (الكتاتيب)، والمكتبات، والكتب، وأدوات نسخ الكتابة(٣)، وحوانيت الوراقين، ومنازل العلماء، والرُبط، والزوايا، والخانقاهات، والبيمارستانات وغيرها.

ومن المعروف تمامًا أن الأوقاف لها دور كبير وفاعل على مر العصور التاريخية للإسلام في نهضة الأمة، وتلبية حاجات المجتمع بكل مكوناته، وتاريخنا الإسلامي مليء بالأوقاف التي لبت مصالح الناس، منذ ظهور الإسلام إلى حاضرنا، ودليل ذلك ما جاء في كتب التراث والتاريخ وجميع الوثائق والمدونات المتعلقة بالأوقاف

(١) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسين، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، د. ط، ج٣، ص١٢٥٥.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، د. ط، ج٦، ص٢١.

(٣) أمين محمد محمد، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار النهضة، القاهرة، ١٩٨٠م، د. ط، ص٢٥٩.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

والتي حفظتها خزائن المكتبات، فعن طريق تلك الأوقاف شيدت المدارس وبنيت المساجد والمكتبات وحفرت الآبار وغيرها[١].

إذن فالوقف العلمي هو الوقف الذي له الدور الكبير في رفد الحركة العلمية والنهوض بمراكزها من مدارس ومساجد ومراكز بحث ومكتبات ورعاية طلبة العلم وكفايتهم، وغيرها.

وعلى ذلك يمكن القول إن أثر الأوقاف في التعليم لم يقتصر عند علم معين، وإنما شمل أنواعًا مختلفة من العلوم وألوان المعرفة، سواء في ذلك الشرعي منها، والدنيوي من طب وفلك ورياضة وصيدلة وغيرها، مما جعل للوقف دورًا بارزًا في إحداث نهضة علمية شاملة لجميع أنواع المعرفة.

لقد تنوعت خدمات الوقف لدور التعليم والمتعلمين حيث كفلت للمعلمين والمتعلمين شؤون التعليم والإقامة والطعام والعلاج، بل وتأمين أماكن إقامة يأوي إليها المسافرون لطلب العلم، وهذا من شأنه أن يوفر وسائل التعليم لجميع فئات المجتمع الواحد، وبالتالي يؤدي إلى وجود أعداد غفيرة من المتعلمين وبتخصصات مختلفة ومتنوعة، ولهذا أستأثر الوقف على التعليم خاصة مكانًا بارزًا في جميع القطاعات التعليمية.

**٣- أقسام الوقف:**

بحسب نظرة الفقهاء فقد تم تقسيم الوقف إلى قسمين[٢]:

(١) القحطاني، راشد سعد راشد، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، د. ط، ص٢٥.

(٢) زهدي يكن، الوقف في الشريعة والقانون، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٣٨٨هـ، د. ط، ص١٤-١٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

**أ- الوقف الذري( الأهلي).**

هو أقل منفعة من الوقف الخيري حيث تنحصر منفعته في فئة قد لا تكون بحاجة ماسة إليها أو يكون نفعه خاصًا منحصرًا على ذرية الواقف ومن بعدهم، على جهة بر لا تنقطع[١] ثم إنه قد يكون له جوانب سلبية تتمثل فيما يحدث بين ذرية الواقف من شقاق وخلافه، وقد شهدت المحاكم في كثير من البلاد الإسلامية قضايا كثيرة تتعلق بالأوقاف الذرية لاسيما مع تقادم الزمن وتفرق الذرية مما زاد في تعقيد قضايا تلك الأوقاف، وهو ما كان مشجعًا لمن يعارضون نظام الوقف بالهجوم عليه في بعض بلدان الإسلام.

**ب- الوقف الخيري[٢]:**

هو أكثر فائدة وأشمل نفعًا وهو ذاك النمط الفاعل من الوقف الذي أسهم إسهامًا واضحًا في مسيرة المجتمع الإسلامي عبر العصور فبواسطته شيدت المدارس والمعاهد والمستشفيات ومهدت الطرق وأوجدت مصادر المياه، وأنشأت الملاجئ والأربطة، وأنفق على العلماء وطلبة العلم ووفرت المكتبات، مما أدى إلى ازدهار الحضارة وتقدم المجتمع الإسلامي عمومًا. هذا كله بالإضافة إلى الوقف على المساجد من عمارتها وصيانتها والإنفاق على الأئمة والمؤذنين وغير ذلك، وهو الوقف الذي يشمل الوقف العلمي والتعليمي.

---

(١) بن أبي شيبة، الحافظ أبي بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان، المصنف، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ج٦، ص٢٥١؛ البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، د. ط، ج٦، ص١٦٦.

(٢) ابن قدامة، المغني في الفقه الحنبلي، ج٨، ص١٨٤؛ الكبيسي، محمد عبيد عبدالله، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، د. ط، ج١، ص٤٢؛ أبو زهرة، الشيخ محمد، محاضرات في الوقف، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ص٤، ٣٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

**ثانيًا: دور السلاجقة الأتراك في دعم الأوقاف:**

لم يبخل السلاجقة الأتراك في دعم الأوقاف وذلك بغية مرضاة الله ولأداء رسالة الأوقاف العلمية على أفضل ما يكون، حيث كان ملوكهم وسلاطينهم وولاتهم وأمرائهم ونسائهم وبناتهم، وكذا بعض حواشيهم وأغنيائهم وقضاتهم وفقهائهم وغيرهم ينفقون الشيء الكثير على مراكز التعليم المختلفة، ولذا لعبوا دورًا لا يستهان به في إتمام هذه المراكز لمهمتها الإنسانية والعلمية والحضارية؛ يتضح ذلك من خلال كثرت الأوقاف التي كان السلاجقة الأتراك يتسابقون لفعل الخير من خلالها، وهذه الظاهرة الملحوظة التي برزت بشكل أكبر ولافت للانتباه في عصرهم – رغم أنها وجدت قبل ذلك– أصبحت تشكل علامة فارقة ومثل يحتذى به في جميع مواطن الإسلام بعد عصرهم.

وحقيقة نقول أن السلاجقة الأتراك بدورهم الريادي الذي لعبوه تجاه الأوقاف ودعمها بسخاء تام إنما كان محاولة منهم لاستنهاض الهمم التواقة لأعمال الخير وكبح جماحها في رفد العملية التعليمية بل والمعرفية بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، وكذلك لترميم البنيان العلمي الذي كان قد بدأ يتداعى في السقوط، فدورهم الذي لعبوه كان لمعانًا وبريقًا وضوءًا أوهن به السائرون نحو العلم والنهضة الحضارية والإنسانية.

لقد خص السلاجقة بدورهم في دعم الأوقاف أن تكون رسالتها ومهمتها مكملة لمهمة الدولة تجاه المراكز العلمية، وهو الأمر الذي أعطته الأوقاف جُل اهتمامها ورعايتها حتى فرضت أمرًا واقعًا وأصبحت من المراسم الإدارية والمالية في نظم الدولة الإسلامية بكل مراحلها وأبعادها المختلفة. ونلمس الدور الذي قام به السلاجقة في دعم الأوقاف من خلال وقفهم الأراضي والعقارات للمنفعة العلمية التي يصاحبها بناء وتعمير المساجد والمدارس والمكتبات والرُبط والخانقاهات والزوايا والبيمارستانات والحمامات وغيرها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

ثم يأتي بعد البناء دورهم في وقف تلك الأماكن والمنشآت للانتفاع بها في الوجوه المختلفة من الحياة ومنها العلمية على وجه الخصوص وهي محور الارتكاز والقاعدة الأساسية والصلبة التي بنيت عليها ولها الأوقاف.

وعلى الرغم من وجود عينات من الأمراء والولاة ممن حاولوا التعدي على أموال الوقف لكنهم لم ينجحوا إلى حدٍ ماء بسبب التكامل الاجتماعي في وجه أي محاولة للاستيلاء على تلك الممتلكات الوقفية.

إن دور الخلفاء والسلاطين والأمراء والأغنياء في تطوير هذا المنحى الاجتماعي من خلال التقرب إلى الله تعالى وإبقاء ذكراهم طيبة عند الناس، مع هذا كان لهم جميعًا اليد الطولى في إنشاء المدارس والمراكز العلمية كنظام الملك الوزير السلجوقي أبو علي الحسن بن علي الطوسي(ت:٤٨٥هـ) الذي ملأ بلاد العراق وخراسان بالمدارس حتى قيل إن له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة، ووقف لها الأوقاف الدارة[١].

## المبحث الثاني

### أهم الأوقاف في عصر السلاجقة الأتراك ودور نظام تموينها :

**أولًا: أهم الأوقاف للمراكز العلمية:**

**ا- أوقاف المدارس:**

كثيرة هي المدارس التي تم تمويلها بأموال الأوقاف في عصر السلاجقة الأتراك، وقد تفاوتت الأوقاف على المدارس حسب مكانة الواقف وما خصصه من مال،

(١) السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى الحلبي البابي، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م، د. ط، ج٤، ص٣١٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ولم تقتصر الأموال الموقوفة على عمارة المدارس فقط بل شملت صيانة المدرسة وتجهيزها بالأثاث واللوازم المدرسية ودفع المرتبات للعاملين فيها، حتى شملت في بعض الأحيان توفير مساكن للطلبة وتقديم الطعام للطلاب والعاملين في المدرسة، كما شملت أحيانًا أخرى المعالجة الطبية والملابس كما حدث في بعض المدارس الموقوفة في القدس(١). والمدارس إذ تتفاوت في إمكاناتها المادية وما تقدمه من خدمات تفاوتت أيضًا في فروع المعرفة التي تدرسها من حيث الكم والكيف، وفي العموم فإن المدرسة كمركز للنشاط العلمي السني تدين بوجودها لأسرة السلاجقة الذين تحفزوا لوقف الأوقاف على تلك المراكز، ومن الأمثلة على أوقاف هذه المدارس في عصر السلاجقة الأتراك ما يلي:

– **وقف نظام الملك على المدارس النظامية ببغداد وغيرها**: فقد أشار بهذا الصدد سبط ابن الجوزي أن الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي الطوسي الذي بنى المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٧هـ، وقف لها سنة ٤٦٢هـ الأوقاف، ومما وقف: سوق المدرسة، وضياع، وأماكن، وكتب، وأملاك(٢)، كذلك توجه نظام الملك إلى إنشاء المدارس في المدن والقرى، وأمدها بالعلماء ووقف لها الأموال والكتب والأبنية لتأمين الموارد لها، وطبق نظام التعليم العام على نطاق واسع(٣)، وهو ما أكد عليه ابن جبير في رحلته الذي رأى فيها ببغداد نحوًا من ثلاثين مدرسة بقوله: «إنه ما فيها مدرسة إلا وهي يقصر القصر البديع عنها، وأعظمها وأشهرها النظامية التي بناها نظام الملك، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة، وعقارات واسعة للإنفاق

(١) انظر الحنبلي، أبو اليمن مجير الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان ، د. ت، د. ط ، ج٢، ص٤٧.

(٢) شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي، مرآة الزمان، دار الشروق، د. ت ، د. ط ، ج٢، ص١٢١.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص٣١٤.

على الفقهاء والمدرسين بها، وللإجراء على الطلبة»[١]، ووقف نظام الملك على المدرسة النظامية بالموصل أوقافًا كثيرة أسوة ببغداد[٢].

- **وقف أرسلان خاتون على بعض مدارس بغداد:** وهي خديجة بنت داؤد أخو السلطان (طغرل بك) السلجوقي، وقد كانت من الكريمات والخيرات، وكانت مُحبة للعلماء، ولها جملة أوقاف على محلات خيرية ومنها المدارس في بغداد وغيرها من الممالك الإسلامية[٣].

- **وقف أزدوجا خاتون:** وهي زوجة السلطان السلجوقي أوزبك، وقد قيل عنها أنها: «من أفضل الخواتين وألطفهن شمائل وأشفقهن، ولها مآثر وخيرات دارة على مساجد وتكايا ومدارس في بلادها»[٤].

- **وقف زوجة السلطان السلجوقي ملكشاه (ت:٤٨٧هـ):** وهي تركان بنت طراج الجلالية، بانية ثالث مدرسة أنشئت ببغداد في العصر العباسي، وهي المعنية وغيرها بقـول ابن جبير الذي زار الشام في العصر المبحوث: «ومن النساء الخواتين ذوات الأقدار ممن تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة، وتنفق فيها الأموال الواسعة، وتعين لها من مالها الأوقاف»[٥].

هذا بالنسبة لأوقاف المدارس، على أن هناك مدارس عديدة ليس بوسعنا

(١) أبو الحسن محمد بن أحمد، الرحلة المسماة بـ(رحلة ابن جبير أو الرحلة)، تقديم: سليم بابا عمر، موفم للنشر، د. ت، د. ط، ص٢٢٩.
(٢) عبدالجبار حامد أحمد، الحياة العلمية في الموصل في عصر الأتابكة(٥٢١-٦٦٠هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٧٦م، ص١١٤.
(٣) العاملي، زينب بنت يوسف فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، دار المعرفة، بيروت، د. ت، د. ط، ج١، ص٩.
(٤) العاملي، زينب، الدر المنثور، ج١، ص١٢.
(٥) ابن جبير، الرحلة، ص١٠٤.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

حصرها جميعها في بحثنا هذا تم وقفها لصالح العلم والمتعلمين، ولما من شأنه ضمان استمرار المراكز العلمية في أداء دورها التعليمي في شتى جوانب المعرفة، ومثال على ذلك:

* **المدرسة الأمينية**: قيل إنها أول مدرسة بُنيت للشافعية بدمشق، بناها أتابك العساكر بدمشق أمين الدين كمشتكين بن عبدالله الطغتكيني واقف الأمينية (ت:٥٤١هـ)، وكان قد وقف هذه المدرسة سنة ٥١٤هـ، ووقف عليها غالب ما حولها من سوق السلاح، وقيسارية القواسين، وكانت تسمى حق الذهب ولها حصة من بستان الخشاب بكفر سوسيا، وغير ذلك(١).

* **المدرسة الخاتونية البرانية**: توجد هذه المدرسة عند مكان يسمى صنعاء الشام المطل على وادي الشقراء، وهو مشهور بدمشق(٢)، بنيت هذه المدرسة المنسوبة إلى صاحبتها الست زمرد خاتون زوجة الملك بوري، ووقفتها على أصحاب المذهب الحنفي بدمشق(٣).

* **المدرسة الخاتونية الجوانية**: أنشأتها عصمت الدين خاتون بنت معين الدين أُنُر ، وقد وقفت هذه المدرسة على أصحاب المذهب الحنفي(٤).

(١) انظر: النعيمي ، عبدالقادر بن محمد بن عمر بن محمد ، الدارس في تاريخ المدارس، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٨م، د. ط، ج١، ص١٣٢-١٣٥.

(٢) الحموي ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠م، د. ط، ج٣، ص٤٢٦.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ط١، دار التقوى، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج١٢، ص٣٣٩؛ ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م، د. ط، ج٤، ص٢٧٢.

(٤) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص٥٠٧؛ الذهبي، شمس الدين عبدالله بن محمد بن أحمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٥م، د. ط، ج٣، ص٢٧-٢٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

* **مدرسة الأحناف**: هي مدرسة بناها الملك أبو سعيد محمد بن منصور(من ملوك السلاجقة)، أو مستوفي مملكة السلطان ألب أرسلان السلجوقي سنة ٤٥٩هـ ببغداد بعد أن بنى مشهد أو قبة على قبر الإمام أبو حنيفة، وبنى عنده مدرسة للحنفية، وفي ظننا أن الذي يبني مشهدًا ومدرسة لابد أن يوقف لها الأوقاف للصرف على قومتها، وابن جبير وصف ذلك البنيان وصفًا مجملًا فقال: «وفي تلك المحلة مشهد حفيل البنيان، له قبة بيضاء سامية في الهواء، فيه قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وبه تعرف المحلة أي محلة أبي حنيفة»(١).

مما سبق يظهر جليًا أن السلاجقة الأتراك رجالًا ونساءً حكامًا وخُدامًا أسهموا برصد الأوقاف للمدارس التعليمية على اختلاف علومها ومشاربها واتجاهاتها الدينية والدنيوية، مما شجع أيضًا رجال العلم وطلابه على التحصيل العلمي لاسيما وأن هناك موردًا رئيسًا وهو الأوقاف يضمن الاستمرار في عملية التعليم والتسابق العلمي في ذلك العصر.

**٢- أوقاف المساجد:**

تعد المساجد مراكز علمية وثقافية في آن واحد، فضلًا عن دورها الاجتماعي، فلم تكن المساجد مخصصة للعبادة فقط، فقد كانت أيضًا واجهة علمية وثقافية وحضارية في المجتمع الإسلامي، فابتداءً من دروس الوعظ والإرشاد وخطب الجمعة والمناسبات، وانتقالًا إلى الحلقات العلمية لكبار العلماء حول أساطين(أعمدة) المساجد وفي زواياها لتدريس المذاهب الفقهية والعقائدية أو اللغوية، وانتهاءً بالمراكز العلمية ومنها المدارس أو ما دونها، فإن نشاطها حتى وقت

(١) ابن جبير، الرحلة، ص٢٠٣؛ ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق: الدكتور علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ج٨، ص٢٨١.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

قريب كان يتمحور حول المسجد، ولذا اهتم المسلمون بأمرها وأولوها عنايتهم ورعايتهم، فقد حظيت بعناية الواقفين حيث سعوا إلى تعميرها أو بنائها وصيانتها والإنفاق على القائمين عليها من الأئمة، والوعاظ، والعلماء، والمؤذنين، وطلبة العلم، وكذا تزويدها باحتياجاتها من الفرش والبسط وخزائن الكتب والصرف على العاملين فيها. ومن المساجد أو الجوامع التي اشتهرت بحلقاتها العلمية في عصر السلاجقة الأتراك ما يلي:

**مسجد ابن جردة** (ت:٤٦٧هـ)، في بغداد[١]، **ومسجد الشريف الزيدي** (ت:٥٧٥هـ) الواقع في درب دينار شرق بغداد، واشتهر بسبب خزانة كتبه الموقوفة فيه[٢].

وكان للأوقاف الدور الأكبر في انتشار المساجد في سائر أنحاء العالم الإسلامي في ذلك العصر، حيث تُعد الأوقاف هي المصدر الرئيس في الإنفاق على المساجد، فقد كان يوقف على كل مسجد ما يقوم به من أراضٍ ودور، وغير ذلك مما يضمن توفر الريع الكافي لمؤنته والإنفاق على القائمين عليه. فبواسطة الأوقاف بُنيت الكثير من المساجد في مدن الإسلام، وبواسطتها تم ترميم الكثير من الجوامع والمساجد، وتسابق أهل الخير على إقامة المساجد والإنفاق عليها وعلى من يقيم ويعمل فيها.

**٣- أوقاف الكتب والمكتبات:**

من الأمور البديهة أن المدارس والمساجد لابد لها من كتب علمية والتي يصعب توافرها إلا بالدعم المتواصل وتخصيص أماكن محددة لحفظها والعناية

(١) أبو نصر، محمد عبدالعظيم، الأوقاف في بغداد في العصر العباسي الثاني، ط١، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٥.

(٢) انظر: الذهبي، شمس الدين عبدالله بن محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ، د. ط، ج٢، ص٢٧٦؛ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص١١٤.

بها وتعيين من يقوم بإدارتها، ولذلك فإن مهمة الأوقاف لا تقف عند إنشاء المدارس والمساجد، بل أهتم الواقفون بإنشاء المكتبات وتزويدها بأمهات الكتب، وقد انتشرت خزائن الكتب والمكتبات الوقفية والتي تعد من أهم مراكز العلم والنهوض العلمي، فنجد أمثلة لذلك في العديد من مدن الإسلام ففي كرخ بغداد خزانة الكتب التي وقفها الوزير أردشير سنة ٤٥١هـ وكان بها عشرة آلاف وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم منها: مائة مصحف بخطوط بني مقلة، لم يكن في الدنيا أحسن كتبًا منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة، وأصولهم المحررة[١]. وفي البصرة خزانة كتب وقفها القاضي أبو الفرج بن أبي البقاء(ت: ٤٩٩هـ)[٢]، ودار الكتب التي وقفها الوزير أبو منصور بن شاه فردان، وكان بها نفائس الكتب[٣]، انتفع بها رجال العلم، وتعددت مكتبات الأوقاف في المدارس والمساجد ومراكز تعليمية أخرى، وراجت منذ القرن الخامس وتحديدًا منذ بداية عصر السلاجقة الأتراك، بحيث يمكن القول بأنه قلما تخلو مدينة من كتب موقوفة، ففي بغداد التي قيل إن مدارسها تجاوزت الثلاثين مدرسة ومعهدًا علميًا في عهد الوزير السلجوقي نظام المُلك كانت لكل واحدة مكتبة غنية بالمجلدات والكتب النفيسة الموقوفة في كل فن، ومكتبة المدرسة النظامية تعد أنموذجًا لذلك والتي تعتبر من أوائل المدارس في العالم الإسلامي وأشهرها وأقدمها، وقد ازدحمت فيها خزائن الكتب الموقوفة، وحوانيت الوراقين، ودكاكين الكتب والمكتبات[٤].

(١) الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٣٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٥١؛ كوركيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠هـ، بغداد، د. ت، د. ط، ص٢٣١.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٥٥.
(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٦٥.
(٤) المصدر نفسه، ج١٠، ص٥٢٣.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وكانت الأوقاف المصدر الرئيس الذي ينفق منه على المكتبات العامة لاسيما مكتبات المساجد وما يلزمها، ويشمل ذلك ترميم البناء، وتزويد المكتبة بالكتب ودفع المرتبات للموظفين القائمين عليها(١). وتعد مكتبات المساجد هي النواة التي قامت على أساسها كل أنواع المكتبات الأخرى، فقد كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على المساجد ليضمنوا حفظها وإتاحتها للطلاب الدارسين(٢)، ولما انتشرت مكتبات الأوقاف في عصر السلاجقة الأتراك شغف العلماء إلى تعلم العلوم وتعليمها وأبحروا فيها، وكان العالم منهم يتقن ويجمع أكثر من علم. وارتبط ظهور المكتبات العامة – رغم خصوصيتها في بداية الأمر وانتشارها– بمبدأ وقف الكتب أي حبس الكتب على كتب معينة أو طائفة معينة من القراء، ولا يجوز التصرف فيها بحال من الأحوال(٣). وقد تنوع الوقف على الكتب فشمل مكتبات بأكملها، ووقف الكتب على المدارس، وقد نقل في وصف الوزير نظام الملك: «ومتى وجد في بلد مَن تميز وتبحر في العلم بنى له مدرسة، ووقف عليها وقفًا وجعل فيها دار كتب»(٤)، ونرى قاضي دُجيل أبوبكر الرطبي(ت:٤٨٩هـ)، وهو شافعي المذهب يوقف كتبة فانتفع بها الناس(٥)، كذلك نجد إشارة عند ابن الأثير إلى أن مسجد عُقيل في نيسابور والذي كان مجمعًا لأهل العلم، وجدت فيه خزائن

(١) أحمد جاب الله شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة، ١٩٧٣م، د. ط، ص٣٧٣.
(٢) محمد محمد أمان، الكتب الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٠م، د. ط، ص٥٩.
(٣) شعبان عبدالعزيز خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م، د. ط، ص٣٠٩.
(٤) العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد، تاريخ دولة آل سلجوق، طبع شركة الكتب العربية للنشر، مصر، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، د. ط، ص٥٧.
(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٨.

الكتب الموقوفة، وكان من أعظم منافع نيسابور[١]، وشملت كتب الوقف المشافي والمراصد والرُّبط والخانقاهات، كما كان هناك نوع يتمثل في وقف كتب عالم بعد وفاته على أهل العلم وعلى ورثته. واهتم واقفوا المكتبات بتوفير دخل مادي ثابت لصيانتها وترميمها، والصرف على العاملين بها، كما أنّ بعضهم عيّن ريعًا يصرف منه في إنماء الكتب عبر السنين[٢].

ومن الأمثلة على وقف الكتب في الأربطة: رباط المروزي عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله (ت:٥٣٩هـ)، فقد وقف كتب كثيرة في هذه الرباط[٣]، وكذلك السيدة زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله وقفت على مكتبة الربط المأمونية، وكذا وقفت زوجة الناصر مكتبة ضخمة أخرى في رباط أنشأته لأصحاب الفتوة والمجاهدين[٤].

لقد توافرت في عصر السلاجقة الأتراك عوامل عديدة أدت إلى ازدهار المكتبات، وجُل هذه العوامل ارتبط بعملية الوقف، كبذل السلاطين والأمراء ونسائهم، وحب العلماء، وحب العلم والمعرفة، وسعي طلبة العلم لاقتناء الكتب بنسخها أو استعارتها من المكتبات الموقوفة أو بشرائها[٥]، لذلك كله يتبين بجلاء تام أن الكتاب(مصدر المعرفة) حظي بالمنزلة الراقية في قلوب أهل العلم بمختلف

(١) المصدر نفسه، ج٩، ص٤٠١.
(٢) الساعاتي، يحيى بن محمود، الوقف وبنية المكتبة العربية (استبطان للموروث الثقافي)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، د. ط، ص٣٣.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٠٩.
(٤) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسمى بـ(رحلة ابن بطوطة)، تحقيق: علي المنتصر الكناني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٥م، د. ط، ص٢٧٨.
(٥) الزايدي، عبدالله بن عبدالعزيز، الأثر الثقافي للوقف في الحضارة الإسلامية، مجلة أوقاف الكويت، العدد(١١)، ١٥ يناير ٢٠٠٧م، ص١٠٤.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

مشاربهم وميولهم الفكرية، وأسهمت الكتب والمكتبات في تعزيز المعرفة، وفي النهضة العلمية والثقافية لاسيما ممن غلب عليهم شحَّت الإمكانات المالية.

**٤- أوقاف الخوانق والربط والزوايا:**

**الخوانق** أو الخانقاهات جمع خانقاه، وتكتب أحيانًا «خانكاه» وهي كلمة فارسية معربة في الإسلام على ما ذكر المقريزي في حدود ٤٠٠هـ[١]. أي أن وجودها صاحب بداية ظهور السلاجقة الأتراك على المسرح السياسي والذين كان لهم الدور الأكبر في بروز ووجود الخوانق.

وتعد الخوانق دور عبادة وعلم، بحيث تقوم بأدوار دينية وثقافية واجتماعية، وقد شاركت مع مراكز تعليمية أخرى في تقديم خدمات جليلة للتعليم والمتعلمين عبر العصور، وهي من الخدمات التي تكفل الأوقاف بتوفيرها وعنايته بأفراد آثروا الخلوة والانقطاع للتعبد وطلب العلم بعيدًا عن مشاغل الحياة، وقد وقف عليها الأوقاف الكافية لتوفير أسباب الراحة والعيش لساكنيها، وتقوم فيها دراسة العلوم الشرعية، كما يدرس فيها التصوف علمًا، ويمارس سلوكًا، وقد كان محمد بن الحسين بن حمزة الجعفري(ت:٤٦٣هـ) يُكثر من بناء الخانقاهات[٢].

وقد اهتم السلاطين السلاجقة الأتراك وأمراؤهم ونساؤهم وبعض علمائهم وأغنيائهم وحواشيهم بهذه المنشآت في عصرهم، فشيدوا منها الكثير وحبسوا عليها الأوقاف الغنية والدارّة للصرف عليها وعلى الساكنين بها بما يقوم بخدمتهم.

**أما الرُّبُط**، فهي جمع رباط، وهي في الأصل اسم للمكان الذي يرابط فيه الجنود لمجاهدة العدو، وحراسة ثغور الدولة الإسلامية، ثمّ استعير الاسم للأماكن التي

(١) تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بـ(الخطط المقريزية)، دار صادر، بيروت، د. ت، د. ط، ج٢، ص٤١٤.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٩١.

يتخذها المتصوفة والزهاد للانقطاع فيها للعبادة، ومجاهدة النفس[١]، وتعتبر من المراكز العلمية التي أسهمت في النهوض الفكري، وهي أيضًا مأوى للفقراء وعابري السبيل، فهي تتشابه مع الخوانق في الوظائف، وإن كانت هناك بعض الاختلافات الشكلية في إمكانيات كل منهما وفي تجهيزاتهما، إذ يبدو أنّ الخوانق كانت أكبر مساحة وأكثر أوقافًا، وأنها كانت تتسع لأعداد أكثر من الرُبُط باعتبارها معدة لإقامة أطول من الإقامة بالربط.

وقد انتشرت الربط انتشارًا واسعًا في مناطق متفرقة من العالم الإسلامي في كل من بلاد الشام والعراق وغيرها، واشتهرت تلك الربط بتقديم خدمات اجتماعية وتعليمية رائدة ومن هذه الربط على سبيل المثال:

**رباط الحريم الطاهري**، أنشأه الخليفة الناصر لدين الله غربي بغداد على نهر دجلة، يقول عنه ابن الأثير: «هو من أحسن الرُّبط، ونقل إليه(يعني الخليفة) كتبًا كثيرة من أحسن الكتب»[٢]. **ورباط الزوزني** مقابل جامع المنصور ببغداد، يُنسب إلى علي بن محمود بن إبراهيم الزوزني الملقب بالعُشاري(ت:٤٥١هـ)[٣]. **ورباط شيخ الشيوخ** ببغداد يُنسب إلى أبي سعد أحمد بن محمد بن دوست النيسابوري(ت:٥٨٠هـ)، وهو الذي تولى بناء الرباط، وبنى وقوفه، وبنى وقوف المدرسة النظامية أيضًا، وهو الرباط الذي درس فيه أبو نصر القشيري سنة ٤٦٩هـ[٤]. **ورباط أبي الحسن البسطامي** الصوفي(ت:٤٩٣هـ)، وهو رباط مشهور على نهر دجلة غربي بغداد، بناه أبو الغنائم بن المحلبان فنُسب إلى مدرسه البسطامي[٥]. **ورباط الأرجُونية**

(١) انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، بيروت، ١٩٧٩م، د. ط، ص ٢٢٩.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٥٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٨٥.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص١٩٠.
(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٣١٤، ٣٥٠.
(٥) المصدر نفسه والجزء ، ص٤٣٧.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

المنسوب إلى والدة الخليفة المقتدي بالله، وقد درس بهذه الرباط أبو الفتوح بن الأسفراييني سنة ٥١٧هـ[١]. **ورباط أبي الحسن محمد بن المظفر** بن علي بن المُسلمة(ت:٥٤٢هـ)، حيث كان دارًا للشخص نفسه ووقفه رباطًا للصوفية في بغداد[٢]. **ورباط قصر حرب** بالموصل الذي كان مقصدًا لطلاب العلم والأدب في عصر السلاجقة يدرسون فيه ويحققون وهم مكفولون في الرباط ينفق عليهم بما وقّف عليه من أوقاف[٣].

وفي مدينة مرو **رباط المروزي** يُنسب إلى عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن حمدويه أبو المعالي المروزي (ت: ٥٣٩هـ)، وقد وقف في هذا الرباط كتبًا كثيرة، والرجل عُرف بأنه كان كثير الصدقة والعبادة[٤].

ومن هذه الرُبُط التي اشتهرت بسكنى الفقراء وأهل العلم في المدينة المنورة **رباط أقامه الوزير جمال الدين الأصفهاني** (ت:٥٥٩هـ) خصصه للفقراء والزائرين، ووقف عليه الأوقاف المناسبة للصرف عليه وعلى من به، وبنى الرُّبُط في أغلب الأماكن وقصده الناس من أقطار الأرض[٥]، وفي هذا يظهر أن التأثيرات السلجوقية انتقلت إلى مدن وحواضر إسلامية عديدة.

(١) المصدر نفسه، ج٩، ص١٧٨.
(٢) المصدر نفسه والجزء، ص٣٠٩.
(٣) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٤، ص١٤٢.
(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٩٧.
(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٢٤-٢٢٥. ويقول ابن الأثير في الجزء نفسه والصفحة عن جمال الدين أيضًا: «ويكفيه أن ابن الخُجندي وهو صدر الدين أبوبكر عبداللطيف(ت:٥٥٣هـ) رئيس أصحاب الشافعي بأصبهان قصده، وابن الكافي قاضي قضاة همدان، فأخرج عليهما مالًا عظيمًا، وكانت صدقاته وصلاته من أقاصي خراسان إلى حدود اليمن».

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

**أما الزوايا** فواحدتها زاوية وهي ركن الدار، ثمّ أصبحت تطلق على الدار الصغيرة التي تتسع لأشخاص قليلين ينقطعون في الغالب للعبادة وهي أصغر من الرباط، وربما كانت جزءًا منها حيث كانت تعدّ لإقامة بعض الصوفية والفقراء والأيتام وغيرهم(١).

وقد انتشرت الزوايا مع انتشار التصوف واتساع نطاقه، ولاسيما في عصر السلاجقة الأتراك في كل من العراق والشام(٢)وغيرها، فالخوانق، والربط، والزوايا من المراكز العلمية، وتتشابه في معانيها ووظائفها حتى إنّ الأمر قد اختلط على كثير ممن كتب عنها ولم يستطيعوا التفرقة بين مدلول كلّ واحدة منها لدرجة جعلت المقريزي وهو يعرف كلّ نوع في موضعه، لم يباعد عن معنى واحد، وهو أنها كانت جميعًا بيت الصوفية ومنزلهم(٣)، وقد زودت كل من الخوانق والربط والزوايا بما يحتاجه المقيمون بها، ورتبت من أجل ذلك الكثير من الوظائف، حتى إنه وُقِفت بداخل هذه الدور مجموعات من الكتب التي شكلت مكتبات جامعة يرجع إليها الطلبة عند الحاجة(٤).

وينطبق حال الأوقاف في المدرس والمساجد على مدارس الصوفية المنعوتة سلفًا، فكان أثر الأوقاف فيها كبيرًا وحصتها منه وفيرة، إذ تُدِين الحركة العلمية في زوايا وربط وخوانق المساجد السلجوقية في استمرارها إلى الأوقاف، حيث كان

(١) عبداللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ط٨، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٠٥.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال، بيروت، د. ت، د. ط، ج١، ص٧٧٨-٧٧٩؛ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص١٣٦-١٣٧.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤١٤، ٤٢٧، ٤٣٠.

(٤) الساعاتي، الوقف وبنية المكتبة العربية، ص١٠٧-١١٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

لكل زاوية وقف يصرف منه على مشاغلها[١].

**٥- أوقاف البيمارستانات:**

تعد البيمارستانات مراكز علمية أسهمت في النهوض العلمي في مجال الطب والتطبيب والصيدلة وغيرها، فبفضل الأوقاف برزت المدارس الطبية، فلم يقتصر أثر الأوقاف في الرعاية الصحية عند معالجة المرضى، بل تعداه إلى النهوض بعلم الطب وتعليمه، سواء في داخل البيمارستانات حيث يرتبط التدريس النظري بالعملي، أم في مدارس متخصصة أنشئت لغرض تعليم الطب في كثير من الحواضر الإسلامية، وهو ما سمي في الحضارة الإسلامية بالمدارس الطبية المتخصصة[٢]، تلك المدارس التي لم تختلف عن غيرها من المدارس في نظمها والأوقاف الخاصة بها، حيث كانت تلك المدارس تسمى في أغلب الأحيان باسم منشئها أو واقفها، وقلما عُرفت باسم مدرسها أو جهة وجودها، وكان منشئوها يوقفون عليها من الأوقاف ما يكفي للصرف عليها وصيانتها وللإنفاق على مدرسيها وطلبتها ومستخدميها ومعالجتهم، كما كان يحدد في حجة الوقف عدد من يشتغلون بهذه الصناعة من المدرسين والطلاب وصفاتهم، فمثلًا: اشترط الواقف لإيوان الطب في المدرسة المستنصرية ببغداد أن يكون بها عشرة من الطلاب المسلمين يدرسهم طبيب حاذق مسلم[٣].

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٢) انظر: الظاهري، خليل بن شاهين، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م، د. ط، ص٢٩.

(٣) ابن القوطي، كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق بن تاج الدين أحمد، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مصطفى جواد، ١٩٣٢م، د. ط، ص٥٦؛ حسين أمين عبدالمجيد، المدرسة المستنصرية، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٠م، د. ط، ص١٠٥.

ولم يكن عصر السلاجقة الأتراك ليعدم من هذه الظاهرة الصحية العلمية، بل أنهم أي السلاجقة رواد هذه الحركة ومطوروها، ومن هذا يفهم أن دور الأوقاف لم يقتصر على ناحية معينة، بل شملت نواحي الحياة المختلفة الدينية والمدنية والعسكرية، والأخيرة كانت مركز لتعليم الفنون والعلوم العسكرية، ولهذا أنشئت لها البيمارستانات ووقفت لها الأوقاف.

**ثانيًا: دور نظام التموين الوقفي في تشجيع العلماء والمتعلمين:**

مما لاريب فيه أن ظاهرة كثرة المراكز العلمية في عصر السلاجقة الأتراك لم تكن قائمة وفق إطار سياسة تعليمية مرسومة من الدولة أو السلاطين، بل كانت الدوافع الدينية والسياسية هي السبب الأهم أو الرئيس في إقامة تلك المراكز، وهذا ما أعطى الأوقاف أهمية خاصة بالنسبة للتعليم، فالأوقاف هي التي ثبَّتت أركان المراكز العلمية جميعها، ودعمت نظامها، وكان الريع الذي تقدمه الأعيان الموقوفة على المراكز المعنية شهريًا أو سنويًا، نقدًا أم عينًا، هو الضمان لاستمرار العمل في المركز، حيث كانت تدفع منه مرتبات موظفي المركز التعليمي وطلبته بحسب شروط الواقف(١).

لقد توزعت الأوقاف الكثيرة على مراكز ذلك العصر، وكان ذلك سبب توجه المدرسين إليها، وإقبال طلبة العلم عليها(٢). وابن جبير في صدد حديثه عن الأوقاف المخصصة للعلم يذكر المساجد الشرقية والغربية في بغداد مثلًا بأنها لا يأخذها التقدير فضلًا عن الإحصاء، وكانت المساجد، كما يقول ابن جبير، مكانًا لتعليم القرآن لطلبة العلم الذين كانوا يفدون إلى المساجد لهذا الغرض، وكان لهؤلاء

(١) أمين محمد، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص٢٤٠.

(٢) ابن الجيعان، شرف الدين يحيى ابن المقر، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، دار الكتب الظاهرية، دمشق، د. ط، د. ت، ص٧، ٨ – ١٥٤.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

التلاميذ، ولمقرئيهم مرتبات خاصة يستحقونها في مقابل تدريس القرآن ودراسته[١].

إن وجود أوقاف سخية الإيرادات وإدارة جيدة وسلطة سياسية مهتمة تمثل العامل الأهم في ديمومة عمل المراكز العلمية واستمرارها في تقديم خدماتها، فقد أشير إلى أن ثمن الأوقاف التي وقفها الوزير نظام الملك السلجوقي على مدارسه التسع[٢] كان ٦٠٠,٠٠٠ دينار عراقي، أي نحو ٧٥,٠٠٠ دينار عراقي لكل مدرسة، لذلك استمرت معظم هذه المدارس أكثر من ثلاثة قرون بعد وفاة نظام الملك لاسيما نظامية بغداد[٣]. ولم يدخر السلاجقة الأتراك جهدًا في توفير الإمكانات المادية التي تساعد على النهوض برسالتها على أكمل وجه، ولذا نراهم ينفقون عليها بسخاء ويخصصون لها الأوقاف الواسعة، فيذكر ابن الجوزي أن نظام الملك وقف على مدرسته ببغداد ضياعًا وأملاكًا وسوقًا بُنيت على بابها، وأنه فرض لكل مدرس وعامل بها قسطًا من الوقف، وأجرى للمتفقهة (الطلاب) أربعة أرطال[٤] خبز يوميًا لكل واحد منهم، أما مدرسة أصبهان فقدرت نفقاتها وقيمة أوقافها بعشرة آلاف دينار سنويًا، وكان لنظامية نيسابور أوقاف عظيمة، وقد اهتم نظام

(١) ابن جبير، الرحلة، ص٨٥. ويقول ابن جبير أيضًا : «وعند فراغ المجتمع السبعي من القراءة صباحًا يستند كل إنسان منهم إلى سارية، ويجلس أمامه صبيٌّ يلقنه القرآن، وللصبيان على قراءتهم جراية معلومة، وأهل القدرة من الآباء ينزهون أبناءهم عن أخذها»، ويقول: «وتعليم القرآن للصبيان تلقين، ويعلمون الخط في الأشعار ونحوها». الرحلة، ص٢٧٣.

(٢) وهي: المدرسة النظامية في مرو، وفي الموصل، وفي بغداد، وفي نيسابور، وفي بلخ، وفي البصرة، وفي آمل، وفي هراة، وفي أصبهان.

(٣) البرهاوي، رعد محمود، خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن العاشر الميلادي، بغداد، ٢٠٠٢م، د. ط، ص١٠٤.

(٤) المقصود به الرطل البغدادي(رطل الكيل أو رطل الأشياء)، ومقدار الرطل البغدادي في الوقت الحاضر هو(١٢٨,٥٧ × ٢,٩٧٥).

الملك بتوفير السكن للطلاب داخل هذه المدارس[١]. أما الريع الذي كانت تنتجه الأوقاف المخصصة لنظامية بغداد، فقد ورد أنه كان ١٥٠٠٠ دينار عراقي في السنة الواحدة[٢]، وقد كان ذلك الريع كافيًا لمرتبات الشيوخ ولما يدفع للطلبة، وكان يشمل مؤونة طعامهم وملابسهم وفرشهم، وغير ذلك من ضرورات معاشهم حتى نبغ فيها جمع من الفقهاء الأفاضل ممن لا يحصون عددًا[٣].

وتشير بعض الروايات التاريخية أن بعض طلبة العلم في النظامية كانت لهم غرف خاصة، إذ روي أن واحدًا من طلابها، ويُدعى يعقوب الخطاط(ت: ٥٤٧هـ) كانت له غرفة، فعندما توفي حضر متولي التركات، وختم على غرفته في المدرسة[٤]، كما حرص نظام الملك على توفير الحياة الكريمة لطلاب مدارسه، وأيضا تهيئة المناخ العلمي الذي يساعدهم على الدراسة والبحث، حيث اجتهد في توفير المراجع العلمية داخل هذه المدارس، فكانت في كل مدرسة مكتبة تضم أحسن المراجع، يتولى أمرها قوام على شؤونها، وكان نظام الملك يتفقد هذه المدارس خاصة نظامية بغداد، ففي سنة ٤٧٩هـ، وقيل ٤٨٠هـ زار هذه المدرسة وجلس في خزانة كتبها، وقرأ بها كتبًا، ثم شارك في التدريس، فقرأ الفقهاء عليه شيئًا من الحديث الشريف، وأملى عليهم بعضًا منه[٥]؛ وكان من الطبيعي أن تؤدي كل هذه الجهود

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢، ص١٢١؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ط١، مطبعة حيدر أباد، الهند، ١٣٥٩هـ، ج٨، ص٢٥٦؛ سعيد نفيس، مدرسة نظامية بغداد، طهران، ١٣١٣هـ، د. ط، ص٣.

(٢) محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ط٣، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٩٨.

(٣) الألوسي، محمود شكري، تاريخ مساجد بغداد، طبعة بيروتية مصورة، د. ت، د. ط، ص١٠٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٤٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٤٧.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

في تشييد هذه المدارس وتيسير سبل العلم فيها، وتوفير الحياة الكريمة بداخلها، إلى رغبة طالبي العلم بالسعي إليها، فأقبلوا عليها حتى بلغ عددهم في نظامية بغداد سنة ٤٨٨هـ ٣٠٠ طالب كانوا يتفقهون على الإمام أبي حامد محمد الغزالي(ت: ٥٠٥هـ). أما نظامية نيسابور فكان يجلس بين يدي إمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف المعروف بالجويني (ت: ٤٧٨هـ) كل يوم نحو من ٣٠٠ من الأئمة والطلبة. ولم يقتصر في الواقع الإقبال على هذه المدارس النظامية الشافعية على الطلاب فقط، بل شمل أيضًا الكثير من الأساتذة الذين تطلعوا إلى التدريس بها حتى وصل الأمر ببعضهم إلى أن يضحي في سبيل هذه الغاية بالتخلي عن مذهبه، ومن هؤلاء: أبو الفتح أحمد بن علي بن برهان الفقيه المعروف بابن الحمامي (ت: ٥١٨هـ) كان حنبليًا، فانتقل إلى المذهب الشافعي، وتفقه فيه على يد أبي بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي(ت: ٥٠٧هـ) والغزالي فجعله أصحاب الشافعية مدرسًا بالنظامية[١].

وهذا يعني أن الأوقاف السخية لم تقتصر على المدارس وإنما شملت أيضًا المساجد والمراكز العلمية الأخرى، مما دفع برجال العلم من العلماء والمتعلمين إلى ارتياد تلك الصروح العلمية التي برزت في عصر السلاجقة الأتراك ، ورجل كنور الدين خرّجته مدرسة الإسلام الرحيبة الشاملة لا يمكن إلا أن يرى في العمل والتزيين في المضمون والشكل في الوقائع والجماليات وجهين لعملة واحدة، فقد وقف بستان الميدان والغيضة التي تليه في دمشق لتطييب جوامع دمشق ومدارسها لكي يظل هواؤها معبقًا بالروائح الطيبة والشذى العبق، وكان على اهتمام كبير بهذه المسألة بحيث إنه حدّد مصارف وقفه المذكور: نصفه على تطييب جامع دمشق،

(١) المصدر نفسه، ج٩، ص١٩١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٢٥٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩٤.

والنصف الآخر يقسم عشرة أجزاء، جزآن على تطييب المدرسة التي أنشأها للحنفية والثمانية أجزاء الأخرى على تطييب المساجد التسعة في دمشق وأطرافها. وجلب للمدرسة الحلاوية التي بناها في حلب[١]، من مدينة أفاحية، مذبحًا من الرخام الملكي الشفاف الذي إذا وضع تحته ضوء شفّ من وراء الرخام، ولما دخل قلعة دمشق سنة ٥٤٩هـ أنشأ بها دارًا عامة في غاية الحسن سماها دار المسرّة.

ولا شك أن كثرة الأوقاف على المراكز العلمية الأخرى في عصر السلاجقة الأتراك قد أسهم في تحقيق مجانية التعليم حيث لم يكن ممكنًا تفرغ العلماء للتعليم لو لم تؤمن معيشتهم على وجه يكفيهم[٢]. ولم يقتصر مورد هذه المراكز على الأوقاف الكثيرة التي كانت تخصص لها، بل كان للعلماء عطايا وهبات خاصة يمنحها لهم الأمراء ومرتبات تصرف لهم من خزانة الدولة[٣]. كما أن من مظاهر اهتمام الحكام السلاجقة الأتراك بالنشاط العلمي ما ذكر من أن السلاطين أنفسهم كانوا يهتمون بالأخذ بنصيب من الثقافة بالقدر الذي تمكنهم منه ظروفهم، فقد روي عن الواعظ المغربي أبي القاسم البكري(ت: ٤٧٦هـ) أنه ورد بغداد سنة ٤٧٥هـ فقصد الوزير نظام الملك، فأحبه ومال إليه، فأجرى عليه الجراية الوافرة، فوعظ بالمدرسة النظامية[٤]؛ وعندما سمع نظام الملك من- أبي بكر محمد بن

(١) ابن العديم ، كمال الدين بن العديم عمر بن أحمد بن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د. ت، د. ط، ص٩٢٠.

(٢) الزايدي، الأثر الثقافي للوقف، ص٩٤.

(٣) وذكر القاضي الفاضل في إحدى رسائله إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي «أن أرزاق أرباب العمائم في دولته ، إقطاعًا وراتبًا يتجاوز ٢٠٠,٠٠٠ دينار ، وربما وصل ٣٠٠,٠٠٠ ألف شهادة لله». أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: محمد حلمي ومحمد مصطفى زيادة، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، ١٩٦٢م، د. ط، ج١، ص١٢٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٢٧.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ثابت الخجندي(ت:٥٥٢هـ) - وهو يعظ في مدينة مرو، وعرف محله من الفقه والعلم، حمله إلى أصبهان، وجعله معلمًا بالمدرسة النظامية فيها{أصبهان}، فنال جاهًا عريضًا ودنيا واسعة، وكان نظام الملك يتردد إليه ويزوره(١).

ومن حب السلاجقة الأتراك للعلماء وتشجيعهم أن نظام الملك قصد القاضي أبا الحسين محمد بن محمد بن البيضاوي الفقيه الشافعي(ت: ٤٦٨هـ)، وكان رجلًا عابدًا خيرًا يُدرِّس الفقه، فاستمع نظام الملك لوعظه حتى بكى(٢).

ويمكن القول أنه كان يُوجد اهتمام كبير بالعلم والعلماء خلال عصر السلاجقة الأتراك وتحديدًا في عهدي ألب أرسلان والسلطان ملكشاه، حيث كان الوزير نظام الملك يَعمل في الدولة خلال حكمهما والذي قام بجهود كبيرة لدعم العلم والأدب، وقد أعطى نظام الملك رواتب منتظمة للعلماء في جميع أنحاء دولة سلاجقة الأتراك لتشجيعهم على عملهم، وقد بلغ عدد من يَصرف لهم المال ١٢,٠٠٠ عالم وأديب، كما اهتم بمجالسة أهل العلم فكانت مجالسه تعج بهم. واهتم أيضًا بإنشاء المدارس النظامية، فأسس العديد منها خلال عهد ألب أرسلان في أنحاء العراق وفارس من بغداد والبصرة إلى نيسابور وهراة، وأسس المكتبات أيضًا وملأها بكتب من مختلف مجالات العلم. حتى أن ابن الجوزي قال عنه أنه: «كانت سوق العلم في أيامه قائمة والعلماء في عهده مرفوعي الهامة»(٣)، على أن من أبلغ الأمثلة على ذلك الحب للعلم والعلماء، ما قام به نظام الملك حين بنى مدرسة نظامية في الموصل بالقرب من الجامع النوري، بناها للقاضي أبي بكر بن محمد بن أبي علي

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٨-٢٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٣١٢.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٧٣. انظر أيضًا: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٧٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

الحسن الخاندي المعروف بالسديد، ووقف عليها الكثير من الأوقاف التي توازي أوقاف نظامية بغداد[١]، وبالجملة فإن السلاجقة الأتراك خصوا الجوانب التعليمية (المراكز العلمية) بشيء من الاهتمام والرعاية والعناية لبالغ أهميتها.

## المبحث الثالث

## دور الأوقاف في ظهور المراكز العلمية وتأثيراتها.

### أولًا- دور الأوقاف في ظهور المراكز العلمية في عصر السلاجقة الأتراك:

لا يمكن إغفال الدور الذي أسهمت به الأوقاف في عصر السلاجقة الأتراك في إثراء الحركة العلمية والثقافية في ديار الإسلام، فقد وفرت الوظائف المنتظمة للعاملين على صيانة ورعاية المراكز العلمية الموقوفة والموقوف عليها، ووفرت كتب العلم ومصادر التعليم، وساعدت في حفظ مصادر المعلومات من الضياع للمساعدة في نشر العلوم بين الأجيال القادمة، وتوفير مصادر المعرفة المختلفة، وجمعها، وحفظها، وتصنيفها، وترتيبها، والمساعدة في نشر الأخلاق الفاضلة، وترسيخها بين أفراد المجتمع، وتقوية الروابط الإنسانية، وتقوية الروابط بين العلماء.

لقد أدت أروقة المساجد دورًا بناءً في الحركة التعليمية قبل ظهور المدارس[٢]، فضلًا عن كونها المؤسسة الأولى في الدولة الإسلامية كانت دار علم[٣]، ومركز

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٤٤، ٢٤٨.

(٢) عماد عبدالسلام رؤوف، مدارس بغداد في العصر العباسي الأول، بغداد، ١٩٦٦م، د. ط، ص٥.

(٣) الشطي، أحمد شوكت، مجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية والمجتمع العربي، دمشق، ١٩٦٣م، د. ط، ص١٨٨؛ أحمد جاب الله شلبي، الفكر الإسلامي(منابعه وآثاره)، القاهرة، ١٩٨٦م، د. ط، ص٣٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

للحلقات العلمية والأدبية يلتقي بين أروقتها المعلمون والمتعلمون ليتدارسوا أصول عقيدتهم الدينية وأركانها[١]، وقد كان للمساجد والجوامع أثر عميق في ظهور مجموعات متعددة وأعداد كثيرة من الأجيال العلمية التي برزت في ميادين العلوم المختلفة ، ولهذا وقف السلاجقة ومنهم السلاطين والأمراء والتجار والمحسنون الكثير من الأوقاف على المساجد لخدمة طلبة العلم الذين يترددون إلى هذه الحلقة العلمية أو تلك[٢]. فظهرت العديد من المدارس، وليس أدلنا على ذلك من المدارس النظامية التي أنشأها نظام الملك الذي يقول عنه السبكي: «أنه بنى مدرسة ببغداد، ومدرسة ببلخ، ومدرسة بنيسابور، ومدرسة بهراة، ومدرسة بأصبهان، ومدرسة بالبصرة، ومدرسة بمرو، ومدرسة بآمل طبرستان، ومدرسة بالموصل»[٣]، ويقول الذهبي عنه: «...، مجلسه عامر بالقراء والفقهاء، أنشأ المدرسة الكبرى ببغداد وأخرى بنيسابور، وأخرى بطوس، ورغب في العلم وأدرَّ على الطلبة الصلات، وأملى الحديث،..، وبنى الوقوف، وجذب الكبار إلى جانبه..»[٤].

لقد بذل السلاجقة وعلى رأسهم الوزير نظام الملك وغيره جهودًا مضنية للنهوض بالحركة العلمية وتجديدها، وذلك عبر المراكز العلمية التي أنشأوها في كل مكان، وكان لها الأثر الكبير في الحياة العلمية الإسلامية، وفي التنظيم التعليمي، الذي أسس لنظام تربوي جديد يقوم على أساس التخصص، وأيضًا توفير البيئة المناسبة للعلم والتحصيل العلمي للعلماء والطلبة على حد سواء.

(١) ابن جبير، الرحلة، ص٢١٣، ٢٢٢؛ أحمد رضا أحمد، المدارس في بلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٨م، ص٢٠.

(٢) محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله، الوقف في الفكر الإسلامي، المغرب، ١٩٩٦م، د. ط، ص ٣-٤.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص٣١٤.

(٤) الذهبي، العبر، ج٣، ص٥٢.

لقد أعطى ازدهار الأوقاف في عصر السلاجقة الأتراك للنواحي العلمية والأدبية فرصة لظهور مراكز مختلفة في شتى فنون المعرفة، فلمع منها علماء أفذاذ أبدعوا وأتقنوا صناعة العلم بكل محتوياته، وصنفوا كتبًا مدهشة وعالية الأهمية من الأعمال العلمية والفنية والأدبية، ومن الشواهد على ذلك الآثار الباقية لفن عمارة المساجد والمدارس والخانقاهات والربط وغيرها، وكذلك آثار الأدب التركي السلجوقي مثل بعض المعاجم اللغوية والحكايات الملحمية في الفن السلجوقي والتي يمكن من خلالها ملاحظة ظهور الناس كمواضيع للوحات والأعمال الفنية، ويَعتقد الدارسون حاليًا أن ما ولّد هذا التطور هو تغير فلسفتهم الإنسانية التي تتمثل في التساؤل حول دور الجنس البشري في الكون والرغبة في الحصول على المعرفة وتطوير نظام أخلاقي، ولولا الأوقاف لما ظهر ذلك التميز العلمي، ولما برزت تلك المراكز وأهميتها التعليمية بل المعرفية برمتها.

**ثانيًا- التأثيرات العلمية والفكرية للأوقاف في عصر السلاجقة الأتراك:**

رغم انشغال السلاجقة الأتراك بمقارعة الأعداء والدفاع عن ديار الإسلام، وفي الوقت نفسه إيصال رسالة الإسلام إلى أقصى ما يمكن إيصاله في مدة الفتوحات والتوسعات الإسلامية؛ إلا أن النظرة العميقة للعلم وأهميته أوجد رجالًا خيرين في عصرهم-السلاجقة- قاموا بسد هذا الفراغ عن الحكام، فعنوا بالإكثار من زيادة الأوقاف على مجالات العلم المختلفة؛ الأمر الذي أسهم في نشر مراكز العلم والمعرفة ومجالس العلماء في كل مكان، والتي كان يحضرها كبار العلماء ويقيمون فيها المناظرات، ومن أمثلة ذلك: دار سابور الذي قصده وأقام فيه الفيلسوف والشاعر أبو العلاء المعري(ت:٤٩٩هـ)[١]، وكانت تلك المجالس ميدانًا لتنافس

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١١٤.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

العلماء، ووسيلة لهم لشغل المناصب العامة أو العمل كمؤدبين لأبناء السلاطين والأمراء، كما ساعدت الأوقاف على تقدم الحركة العلمية في مختلف المراكز واتساع خطاها، وكذلك قدمت خدمات كبيرة للباحثين وزودتهم بمصادر المعرفة اللازمة لأبحاثهم.

لقد كان للأوقاف في عصر السلاجقة الأتراك أثر واضح في ازدهار الحركة العلمية والثقافية بدءًا بإنشاء نظام الملك المدارس والمساجد والمكتبات، ومرورًا بالمراكز العلمية العديدة التي شيدت في مدن الإسلام المختلفة، ومن خلال مطالعة تاريخ المراكز في مدن الإسلام في عصر السلاجقة الأتراك، يتضح فضل الأوقاف في ازدهار الحياة الفكرية، ورغم انتهاء عصر السلاجقة الأتراك الذي دام ما يقارب القرن من الزمان وأكثر، إلا أن تأثيرات ذلك العصر أحدث هزة عنيفة في مسلمات الحياة العلمية التي كانت بعضها تعدو مقيتة وهدامة، فأنعشوا الحياة العلمية حينها بسيل جارف من الأفكار النيرة التي صححت المفاهيم المغلوطة لدى بعض الفرق والطوائف والأحزاب أكانت سياسية أم دينية، واستمر سريان ذلك إلى ما بعد عصرهم بقرون طوال.

وترك الوقف العلمي آثارًا جليلة على الحركة العلمية بشتى أنواعها، وعلى الحياة الاجتماعية لمن ارتاد الحياة العلمية بلا استثناء، وترك آثارًا سلبية من خلال سوء استخدامه[١]، وعلى ضوء ذلك يمكن لنا في هذا المقام أن نبرز أهم التأثيرات العلمية والفكرية للأوقاف في عصر السلاجقة الأتراك دون الخوض في تفاصيلها:

١- أسهمت الأوقاف في نشوء المراكز العلمية وإبرازها (مساجد، مدارس، مكتبات، رُبُط) وغيرها، وتأمين الظروف المناسبة للمتعلمين والعلماء، واستمرار

(١) الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد، من مظاهر الوقف في اليمن، ط١، دار النشر للجامعات، صنعاء، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص٧٧.

أداء الرسالة العلمية لتلك المراكز من خلال تقديمها الغذاء، والسكن، والعلاج لجميع مرتاديها، ومن ثم تهيئة المناخ للتفرغ العلمي، ومجانية التعليم[١]، والمدارس النظامية في المدن المختلفة.

٢- أن الأوقاف العلمية من أهم العوامل والأسباب في تنشيط الحركة العلمية، ونشر التعليم، والارتقاء بالمستوى الثقافي، وبناء الحضارة الإنسانية الإسلامية، وقد تربى في أحضان المراكز العلمية الموقوفة والموقوف عليها الكثير من الفقهاء والمفكرين والعلماء والأدباء والدعاة والمصلحين الاجتماعيين، فكانت الأوقاف عونًا لهم ومددًا في وقت عز فيه المال عندهم، وفي ظروف عصيبة من التاريخ كثرت فيه الفتن التي يموج بها العالم الإسلامي، فقد ظهر من مشاهير العلماء في عصر السلاجقة الأتراك والذين أدّت المراكز العلمية وأوقافها دورًا فاعلًا في تكوين شخصيتهم العلمية والاجتماعية والثقافية؛ عدد كبير جدًا، فنشير بمثال فقط لبعض الذين درسوا ومارسوا التدريس في المدرسة النظامية أمثال: الإمام الغزالي، ودرس بها أربع سنوات ما بين سنتي ٤٨٤هـ إلى ٤٨٨هـ، والإمام الجويني، وأبو إسحاق الشيرازي(ت: ٤٧٦هـ)، وأبو نصر الصباغ(ت: ٤٧٧هـ)، وأبو القاسم الدبوسي(ت: ٤٨٢هـ)، وأبو نصر بن أبي القاسم القشيري(ت: ٥١٤هـ)، وأبو سعيد النيسابوري(ت: ٤٧٨هـ)، والسهروردي(ت: ٥٨٦هـ)، والإمام أبوبكر الشاشي، وابن البرهان(ت: ٥١٨هـ)، وأبو يعقوب الهمداني(ت: ٥٣٥هـ)، وابن الجوزي(ت: ٥٩٦هـ)، وأبو الفتوح الأسفراييني(ت: ٥٣٨هـ)، وأبو الحسن علي بن محمد الطبري الشهير بالكياهراسي (ت: ٥٠٤هـ)، وغيرهم[٢].

(١) الزايدي، الأثر الثقافي للوقف الإسلامي، ص٩٤.

(٢) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٨٢،٣١٤، ٣٢٨، ٣٥٠،٣٦٢، ٣٦٥، ٤٣٧، ٤٥٠- ٤٥١؛ وج٩، ص٢٠،٥٨، ١٧٨، ٣٤٥.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

٣- أن الوقف العلمي ظل يمثل موردًا يدر على المراكز العلمية ومرافقها المال والعطاء المادي الذي كفل استمرارية المركز العلمي لقرون دون توقف، وكان هناك من أصحاب الخير من يضيف أوقافًا إلى الأوقاف السابقة لصالح مدرسة أو مسجد أو خانقاه أو ربط فتزداد واردات الأوقاف، إلى أن نهبت، أو تحول إلى القراءة و(الدرس) على الترب والأموات، فصار الجهل هو الغالب، وجاءت الدول المتحكمة فأخذت الأوقاف لا لتعيد إحياء ما أنشئ من أجله، بل لتحوله إلى خزينة الدولة.. وقد استغل الناس هذا الوضع للاستيلاء على ما بقي من الأوقاف، وادعاء تملكهم له[١].

٤- حافظت الأوقاف على المراكز العلمية ومهامها التنويرية، ومن ثم حفظت العقيدة الإسلامية الغراء من الانجراف بسيل الأفكار الهدامة العقائدية والمذهبية.

٥- كانت موضوعات المعرفة في المراكز العلمية- المخصصة لها الأوقاف الكثيرة - عامة في فنون العلم جميعه.

٦- شجعت المراكز العلمية الوقفية طلاب العلم وكذا بعض العلماء على التنقل من مركز تعليمي إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى، بغية الحصول على علم جديد.

٧- جنبت المراكز العلمية الوقفية الطلبة والعلماء من التبعية للسلاطين والحكام وأسر هباتهم، فتعلموا وعلموا وكتبوا بحرية تامة منتقدين كل ما لا يمت بصلة للعقيدة والخلق القويم للإنسان المسلم.

٨- أدّت المراكز العلمية الوقفية في مدن الإسلام خلال عصر السلاجقة الأتراك دورًا لا يستهان به في الحفاظ على اللغة العربية، والتراث العربي الإسلامي، فلبت بذلك رغبات المجتمع وحاجاته قرونًا عديدة، وأدت بذلك دورها في إعداد الفرد للحياة وفقًا للمعاني الأخلاقية والإنسانية التي حملها الإسلام ودعا إليها[٢].

(١) الشجاع، من مظاهر الوقف، ص٧٤.

(٢) الهلالي، عبدالرزاق، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، بغداد، ١٩٥٩م، د. ط، ص٤٨؛ سعيد الديوه جي، التربية والتعليم في الإسلام، العراق، د. ت، د. ط، ص١٧.

٩- زودت المراكز العلمية الوقفية المجتمع بحاجته من العلماء في فنون العلم المختلفة، من قرآن، وحديث، وتفسير، وفقه، وأدب، وشعر، ولغة، ونثر، وطب، ورياضة، وصيدلة، كما تخرج من تلك المراكز العلمية الموظفون والتجار ومختلف المهن الأخرى، فكانت حاضنة للعلوم جميعها.

١٠- أمدت المراكز العلمية الوقفية إدارات الدولة بالعاملين في جهازها الإداري، نتيجة التعدد في المرافق والزيادة في الوظائف، وكانت حاجة الدولة تستدعي أن تأخذ لأعمالها من بين خريجي تلك المراكز[١].

١١- أن النساء كان لهن دور فعال في الوقف العلمي وبشكل لافت للانتباه في عصر السلاجقة الأتراك، سواءً من نساء القصور أو نساء الوجهاء والعلماء، وحتى الجواري والإماء، وهذا يدل على رفعة ما كانت تفكر فيه المرأة في ذلك العصر.

١٢- احتلت المراكز العلمية الوقفية الريادة في غرس معاني الإخلاص والعطاء والإنفاق وشد العضد بين الناس داخل المجتمع المسلم، وهو الأمر الذي جعل السلاطين والأمراء والوزراء والحكام والولاة ونساءهم وحواشيهم وتجارهم وأغنياءهم وحتى رعاياهم؛ يتسابقون في إنشاء مراكز العلم المختلفة وتعميرها وتشييدها، والوقف عليها وعلى من بها من معلمين ومتعلمين وموظفين.

(١) عماد عبدالسلام رؤوف، مدارس بغداد، ص١٢.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

**الخاتمة:**

أسهمت الأوقاف في عصر السلاجقة الأتراك مساهمة فعالة في ظهور المراكز العلمية في مدن الإسلام المختلفة، والتي كان لها الأثر الأكبر في النهضة الفكرية التي شهدتها الأمة الإسلامية، وقد كانت الأوقاف الضامن الأساسي في استمرار أداء المراكز العلمية لمهامها التعليمية والتربوية والاجتماعية وغيرها، وهي العمود الفقري للمراكز العلمية من مساجد ومدارس وغيرها، والتي كانت مراكز موقوفة تقدم التعليم مجانًا من ريع أوقافها بالإضافة إلى مرتبات ومخصصات للمعلمين وللطلاب، كما أن عصر السلاجقة الأتراك كان عصر العلوم وظهور العلماء الأجلاء، وهو العصر الذي تعددت فيه وتنوعت مصارف الوقف على العلم والتعليم مما يصعب حصره، وأيضًا العصر الذي شهد العلم فيه رواجًا عاليًا وذلك بفضل رجاله ونسائه الذين أولوا مراكز البحث العلمي والطلبة والمدرسين عنايتهم التامة ورعايتهم الكاملة، وذلك بتخصيصهم الأوقاف السخية، ومن جراء ذلك ظهرت مراكز البحث العلمي في كل مكان، ونشطت أو ازدهرت حركة التأليف والترجمة بسبب كثرة خزائن الكتب والمكتبات وتنوع أصنافها، والعناية بها والقائمين عليها، وبعد ذلك انتشارها في أغلب مدن الإسلام الكثيرة والكبيرة.

ويمكننا القول أن الأوقاف في عصر السلاجقة الأتراك كانت بمثابة الدعامة الرئيسة للحركة العلمية والحضارية في العالم الإسلامي ولقرون عديدة قبل أن تقل منابعه أو تجفف، كما هو الحال في معظم البلاد الإسلامية اليوم. كما أن الأزمات التمويلية التي أصابت نظم التعليم في العالم العربي والإسلامي خلال فترات حديثة متعددة، هي مبرر لإعادة الاعتبار لواحد من أهم أساليب التعليم التي أفرزتها الحضارة الإسلامية في عصورها المزدهرة، وعصر السلاجقة الأتراك مدعاة فخر ومضرب مثل في ذلك، أي نظام الوقف الإسلامي على المراكز العلمية،

حيث ينظر كثير من الباحثين إلى نظام الوقف باعتباره أحد الأسس المهمة للنهضة الحضارية الإسلامية الشاملة بأبعادها المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية، لذا فقد اتجهت الأنظار إليه مرة أخرى بعد تغييب دوره العظيم لعقود طويلة، باعتباره البذرة الصحيحة لبداية النهضة الشاملة لجميع مجالات الحياة في الأمة المسلمة. ولا شك أن البداية الصحيحة لعودة الوقف إلى مكانه الفاعل في العجلة التنموية الشاملة يتمثل في إثارة الشعور واستنهاض الهمم نحو تجلية حقيقته والدور الذي قام به سابقًا، وذلك عبر إعادة إحياء دور الوقف من أجل المحافظة على المراكز العلمية وغيرها وضمان استمرار وجودها.

## المصادر والمراجع

**أولًا : المصادر:**


♦ **ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني(ت: ٦٣٠هـ):**

١- الكامل في التاريخ، تحقيق: الدكتور علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

♦ **ابن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي(ت:٧٧٩هـ):**

٢- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسمى بـ(رحلة ابن بطوطة)، تحقيق: علي المنتصر الكناني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٥م، د. ط.

♦ **البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي(ت:٣٠٣هـ):**

٣- السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، د. ط.

♦ **ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد(ت: ٦١٤هـ):**

٤- الرحلة المسماة بـ(رحلة ابن جبير أو الرحلة)، تقديم: سليم بابا عمر، موفم للنشر، د. ت، د. ط.


للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

♦ **ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد(ت: ٥٩٧هـ):**

٥- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ط١، مطبعة حيدر آباد، الهند، ١٣٥٩م.

♦ **ابن الجيعان، شرف الدين يحيى ابن المقر(ت: ٥٥٣هـ):**

٦- التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، دار الكتب الظاهرية، دمشق، د. ت، د. ط.

♦ **الحنبلي، أبو اليمن مجير الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العليمي (ت: ٩٢٧هـ):**

٧- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، د. ت، د. ط.

♦ **ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمد(ت:٨٠٨هـ):**

٨- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال، بيروت، د. ت، د. ط.

♦ **ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت:٦٨١هـ):**

٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

♦ **الذهبي، شمس الدين عبدالله بن محمد بن أحمد بن عثمان(ت:٧٤٨هـ):**

١٠- العبر في خبر من غبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، د. ط.

١١- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١ه، د. ط.

♦ **الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر(ت: بعد سنة ٦٦٦هـ):**

١٢- مختار الصحاح، بيروت، ١٩٧٩م، د. ط.

♦ **السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي بن علي(ت:٧٥٦هـ):**

١٣- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى الحلبي البابي، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م، د. ط.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225


♦ **سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي(ت:٦٥٤هـ):**

١٤- مرآة الزمان، دار الشروق، د. ت، د. ط.

♦ **أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل(ت: ٦٦٥هـ):**

١٥- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: محمد حلمي ومحمد مصطفى زيادة، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، ١٩٦٢م، د. ط.

♦ **ابن أبي شيبة، الحافظ أبي بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان(ت:٢٣٥هـ):**

١٦- المصنف، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

♦ **الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(ت: ١٢٥٠هـ):**

١٧- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، د. ط.

♦ **الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين(ت:٨٧٣هـ):**

١٨- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٩٩٤م، د. ط.

♦ **ابن العديم، كمال الدين بن العديم عمر بن أحمد بن أبي جرادة(ت:٦٦٠ه):**

١٩- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د. ت، د. ط.

♦ **العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد(ت:٥٩٧هـ):**

٢٠- تاريخ دولة آل سلجوق، طبع شـركة الكتب العربية للنشر، مصر، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، د. ط.

♦ **ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد(ت:١٠٨٩هـ):**

٢١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م، د. ط.

♦ **العيني، محمود بن أحمد(ت: ٨٥٥هـ):**

٢٢- البناية في شرح الهداية، تصحيح: محمد بن عمر الرامفوري، ط١، دار الفكر، بيروت،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

♦ **ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد(ت: ٦٢٠هـ):**

٢٣- المغني في الفقه الحنبلي، تحقيق: الدكتور عبدالله التركي وزميله، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

♦ **ابن القوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرازق ابن تاج الدين أحمد(ت: ٧٢٣هـ):**

٢٤- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مصطفى جواد، ١٩٣٢م، د. ط.

♦ **ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت:٧٧٤هـ):**

٢٥- البداية والنهاية، ط١، دار التقوى، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

♦ **مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسين(ت: ٢٦١هـ):**

٢٦- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، د. ط.

♦ **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(ت:٨٤٥هـ):**

٢٧- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بـ(الخطط المقريزية)، دار صادر، بيروت، د. ت، د. ط.

♦ **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت: ٧١١هـ):**

٢٨- لسان العرب، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، د. ط.

♦ **النعيمي، عبدالقادر بن محمد بن عمر بن محمد(ت: ٩٢٧هـ):**

٢٩- الدارس في تاريخ المدارس، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٨م، د. ط.

♦ **الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله(ت:٦٢٦هـ):**

٣٠- معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠م، د. ط.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

## ثانيًا: المراجع:


♦ **أحمد رضا أحمد:**

١- المدارس في بلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٨م.

♦ **أحمد جاب الله شلبي:**

٢- تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة، ١٩٧٣م، د. ط.

٣- الفكر الإسلامي(منابعه وآثاره)، القاهرة، ١٩٨٦م، د. ط.

♦ **الألوسي، محمود شكري:**

٤- تاريخ مساجد بغداد، طبعة بيروتية مصورة، د. ت، د. ط.

♦ **أمين محمد محمد:**

٥- الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار النهضة، القاهرة، ١٩٨٠م، د. ط.

♦ **البرهاوي، رعد محمود:**

٦- خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن العاشر الميلادي، بغداد، ٢٠٠٢م، د. ط.

♦ **حسين أمين عبدالمجيد:**

٧- المدرسة المستنصرية، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٠م، د. ط.

♦ **القحطاني، راشد سعد راشد:**

♦ **أوقاف السلطان الأشرف شعبان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، د. ط.**

♦ **الزايدي، عبدالله بن عبدالعزيز:**

٨- الأثر الثقافي للوقف في الحضارة الإسلامية، مجلة أوقاف الكويت، العدد(١١)،١٥ يناير ٢٠٠٧م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5


♦ **زهدي يكن:**

٩- الوقف في الشريعة والقانون، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٣٨٨هـ، د. ط.

♦ **أبو زهرة، الشيخ محمد:**

١٠- محاضرات في الوقف، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

♦ **الساعاتي، يحيى بن محمود:**

١١- الوقف وبنية المكتبة العربية(استبطان للموروث الثقافي)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، د. ط.

♦ **سعيد الديوه جي:**

١٢- التربية والتعليم في الإسلام، العراق، د. ت، د. ط.

♦ **سعيد نفيس:**

١٣- مدرسة نظامية بغداد، طهران، ١٣١٣ه، د. ط.

♦ **الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد:**

١٤- من مظاهر الوقف في اليمن، ط١، دار النشر للجامعات، صنعاء، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

♦ **الشطي، أحمد شوكت:**

١٥- مجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية والمجتمع العربي، دمشق، ١٩٦٣م، د. ط.

♦ **شعبان عبدالعزيز خليفة:**

١٦- الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م، د. ط.

♦ **العاملي، زينب بنت يوسف فواز:**

١٧- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، دار المعرفة، بيروت، د. ت، د. ط.

♦ **عبدالجبار حامد أحمد:**

١٨- الحياة العلمية في الموصل في عصر الأتابكة (٥٢١- ٦٦٦هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٧٥م.

♦ **عبداللطيف حمزة:**

١٩- الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ط٨، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.

♦ **عماد عبدالسلام رؤوف:**

٢٠- مدارس بغداد في العصر العباسي الأول، بغداد، ١٩٦٦م، د. ط.

♦ **الكبيسي، محمد عبيد عبدالله:**

٢١- أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، د. ط.

♦ **كوركيس عواد:**

٢٢- خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠هـ، بغداد، د.ت، د. ط.

♦ **محمد عبدالعزيز بن عبدالله:**

٢٣- الوقف في الفكر الإسلامي، المغرب، ١٩٩٦م، د. ط.

♦ **محمد عبده:**

♦ **الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ط٣، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٧م.**

♦ **محمد محمد أمان:**

٢٤- الكتب الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٠م، د. ط.

♦ **المعجم الوسيط:**

٢٥- إعداد: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٢، دار المعارف، ١٤٠٠هـ.

♦ **أبو نصر، محمد عبدالعظيم:**

٢٦- الأوقاف في بغداد في العصر العباسي الثاني، ط١، عين للدارسات والبحوث الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

♦ **الهلالي، عبدالرزاق:**

٢٧- تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، بغداد، ١٩٥٩م، د. ط.

# نُظم الدخول والمغادرة للسفن في ميناء عدن «عصر دولتي بني أيوب وبني رسول» ٥٦٩- ٨٥٨هـ

د.عبد الحكيم محمد ثابت العراشي[١]

**الملخص:**

تناول هذا البحث دراسة نظم الدخول والمغادرة للسفن بميناء عدن في عصر دولتي بني أيوب وبني رسول، حيث تم إعطاء لمحة عن أهمية عدن وميناءها، وكذلك دراسة تطور النظم المختلفة لميناء عدن في عصر الدول المستقلة، ابتداءً من عصر بني زياد وانتهاءً بالعصر لرسولي.

بعد ذلك تم توضيح النظم المعمول بها في ميناء عدن لدخول السفن والمسافرين، حيث تبدأ بمراقبة السفن القادمة، ومن ثم التحري عن تلك السفن والمسافرين وكذلك مرحلة الانتظار، ونزول المسافرين وتفتيشهم، وانتهاءً بالسماح لها بالرسو وتفريغ حمولتها.

كما تم دراسة نظم مغادرة السفن والمسافرين للميناء، حيث تبدأ بإشعار إدارة الميناء قبل موعد السفر بثلاثة أيام، وكذلك رفع العلم فوق السفينة، وعندما يحين انطلاق السفينة لا يسمح

(١) أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المشارك بكلية الآداب- جامعة عدن.

لها بالمغادرة إلا بعد إتمام إجراءات المغادرة، كما لا يسمح لأي أحد المغادرة إلا بعد استكمال وثائق السفر.

كلمات مفتاحية: نظم، دخول، مغادرة، ميناء.

## Abstract:

This study dealt with the system of entry and exit of ships from the port of Aden during the Ayyubids and rasulids period this study have been divided in to preface and three topics.

The importance of Aden and its port was studied in the preface ,and in the first topic ,the rules in the port of Aden were dealt during the study period.

The second topic dealt with the ships entering to the port of Aden, while the third discussed the ships departure from the port of Aden.

The study were ended with conclusion ,which included the main findings of the study.

### المقدمة:

عُرف ميناء عدن بأهميته التجارية منذ أقدم العصور؛ نتيجة لما تمتع به من موقع جغرافي مميز يقع في قلب خطوط التجارة الدولية، فكان محطة مهمة لتجارة العبور بين الشرق والغرب، كما أدى دور الوسيط التجاري مع كثير من البلدان والشعوب؛ وهو ما حققت له الريادة والصدارة في مجال التجارة الدولية.

فمن المفاخر التي كان يزهو بها ميناء عدن الاهتمام المتزايد بأنظمته الإدارية والمالية والأمنية، وأنظمة الدخول والمغادرة، حيث وجد به مؤسسات متعددة لإدارته، فقد تم وضع اللوائح وسُنّت القوانين الكفيلة بتسيير العمل فيه، هذا بالإضافة إلى اتِّباع سياسة جمركية تتناسب مع طبيعة المرحلة من جهة، ومع الحركة التجارية من جهة أخرى.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ومع أن النشاط التجاري لهذا الميناء قد نال اهتمامًا كبيرًا من الباحثين؛ إلا أنه لايزال حقلًا بكرًا في العديد من جوانبه المختلفة. وحسبنا في هذه البحث دراسة «نظم الدخول والمغادرة للسفن في ميناء عدن عصر دولتي بني أيوب وبني رسول».

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالنظم المتبعة في ميناء عدن لدخول السفن وخروجها، والكشف عن روائع هذه النظم، وكيف كانت تسير بطريقة محكمة، وهذا معناه أن هذا البحث لا يهدف دراسة التنظيمات المالية والإدارية والأمنية للميناء، بل اختص بأنظمة دخول السفن والمغادرة.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يكشف عن تجربة تاريخية من تجارب الحضارة الإسلامية لأنظمة الموانئ، فهي تبيِّن مدى الدقة والحرص في الأنظمة والكشف عن الغاية الرئيسة من هذه النظم.

وقد اتبع في هذا البحث المنهج التاريخي، والمزاوجة بينه وبين التحليلي من خلال استحضار الروايات التاريخية، ومن ثم إخضاعها للتحليل بهدف إعطاء صورة متكاملة عن تلك النظم.

وقد تم تقسيم البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث فجاءت كالآتي:

**التمهيد- أهمية عدن وموانئها.**

**المبحث الأول- تطور النظم في ميناء عدن.**

**المبحث الثاني - نظم دخول السفن إلى الميناء.**

**المبحث الثالث- نظم مغادرة السفن للميناء.**

## التمهيد- أهمية عدن وموانئها:

تميزت عدن بموقع استراتيجي مهم، احتلت به أفضل موقع عالمي مشرف على أهم الممرات الملاحية، حيث تقع في الجزء الجنوبي الغربي من اليمن

وشبه الجزيرة العربية، مما جعلها تطل على كل من البحر العربي المتصل بالمحيط الهندي، وخليج عدن شرق باب المندب[١] الذي يعد المدخل الرئيس للبحر الأحمر من الجنوب والمعروف بأهميته الملاحية بالنسبة لحركة التجارة العالمية[٢]. وبذلك شكلت عدن وميناؤها بوابة جزيرة العرب الجنوبية، وحلقة وصل متوسطة بين الشرق والغرب، فقصدته السفن التجارية من مختلف البلدان، وأدّى دورًا مهمًا في حركة النقل التجاري، وازدهار التجارة العالمية، لهذا فقد كان لموقع عدن المتميز أثره في جعلها مدينة مفتوحة للتجارة، وسوقًا تجاريًا مهمًا منذ أقدم العصور التاريخية، حيث عُدّت عدن أقدم أسواق العرب[٣]، فقد كانت سوقًا وميناءً لكبار تجار اليونان والرومان، فكانوا يقصدونها في رحلات منتظمة من مصر، كذلك كانت عدن مركزًا لتبادل السلع الإفريقية والهندية والمصرية، ومكانًا تبحر منه السفن إلى الهند[٤] لذا فقد وصفت بأنها بلد التجارة[٥].

(١) باب المندب: هو مضيق وخليج يقع بين الشيخ سعيد وجزيرة ميون في ساحل البحر الأحمر من جنوبه ما بين المخا وعدن. الحجري، محمد بن أحمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق: إسماعيل علي الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٧٢٠؛ الأكوع، إسماعيل بن علي، اليمن الخضراء مهد الحضارة، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٧٩.

(٢) مكاوي، هيفاء عبد القادر، التحصينات العسكرية لمدينة عدن في الفترة الإسلامية، دراسة تاريخية-أثرية، معمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عدن، عدن، ٢٠٠٧م، ص٦.

(٣) الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت:٣٦٠هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة، الرياض، ص٧٠.

(٤) العبدلي، أحمد بن فضل بن علي، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، دار العودة، ط٢، بيروت، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م، ص١٧.

(٥) الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت: ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٩هـ، ص٥٤؛ أبو الفداء، إسماعيل بن علي ( ت: ٧٣٢هـ)، تقويم البلدان، تحقيق: رينود والبارون ماك كوكوين ديسلان، مكتبة ببلهون، بيروت، (د. ت)، ص٩٣.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

وقد استفاض الرحالة والجغرافيون والمؤرخون- العرب والمسلمون- بذكر أهمية موقع عدن وميناءها بالنسبة لخطوط التجارة،، فذكروا أن عدن هي فرضة[١] اليمن وخزانة المغرب ومعدن التجارة[٢]، وخزانة بضائع الهند والسند والصين والعراق وعمان والبحرين ومصر وجدة وفارس والزنج[٣] والحبشة[٤]، كما وصفت بأنها: «من أعظم مراسي الدنيا»[٥]، وبحكم هذا الموقع الاستراتيجي المهم الذي يقع في قلب خطوط المواصلات الدولية، فقد مكَّن عدن القيام بدور الوساطة التجارية بين معظم البلدان، ففيه كان يتم التبادلات السلعية المختلفة.

(١) الفرضة: هي محط إرساء السفن على البحر والمكان الذي يتم فيه فحص البضائع الواردة وتقدير العشور عليها. بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله (ت:٩٤٧هـ)، تاريخ ثغر عدن، تحقيق: أوسكر لوفجرين، دار التنوير، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص١٤. ويقال إنها الثلمة في البحر، ترسوا بها المراكب والبواخر كالخليج. ينظر: دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت/ دار الفكر، دمشق، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١١٨.

(٢) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٣٩٠هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط٢، ليدن، ١٩٠٦م، ص٨٥.

(٣) الزَّنج: هي بلاد الزنج، تقع بالقرب من بحر الهند جهة الجنوب. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت:٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م، ج١، ص٣٤٣.

(٤) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت في حدود: ٣٠٠هـ)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م، ص٧٠ - ٧١؛ ابن فضل الله العمري (ت:٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار « القسم الخاص بمملكة اليمن»، تحقيق وتقديم : أيمن فؤاد سيد، دار الاعتصام، ص٥٣؛ الحميري، محمد عبدالمنعم (من مؤرخي القرن الثامن)، الروض المعطار في خبر الأقطار: معجم جغرافي، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م، ص٤٠٨؛ القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت:٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، مطابع كونستاتوماس، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ج٥، ص٩.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص٥٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

## المبحث الأول

### تطور النظم في ميناء عدن:

لقد فرضت المعاملات التي كانت تتم في ميناء عدن إيجاد إجراءات وأنظمة لتسير هذه المعاملات وضمان الحقوق، وكذلك وضع قوانين لحماية الإجراءات والأنظمة وردع كل من تسول له نفسه عرقلة الحركة التجارية أو المساس بطرقه الملاحية[1]، ومن المعروف أن أي نظم تكون بسيطة بداية الأمر، فتتدرج بمراجل لتصل إلى مرحلة متطورة، وهذا ما حصل لنظم ميناء عدن، كما أن زيادة الازدحام عليه، واعتماد الدول في دخلها عليه بشكل كبير، كان لزامًا وضرورة وجود نظم تنظم العمل وتنشط الحركة التجارية.

لقد أدرك حكام الدول الإسلامية التي حكمت اليمن أهمية عدن كميناء مهم، يحقق لهم الأرباح ويرفد خزائنهم، فاهتموا به، وعملوا على تنظيمه، ونشروا الأمن حوله، حيث بدأ هذا الاهتمام منذ عصر الدولة الزيادية ٢٠٤- ٤١٢هـ، فنتج عن ذلك تحول السفن التجارية إليه لقربه من موانى المحيط الهندي، بعد أن كان

(١) لمزيد من المعلومات عما تتعرض له الطرق الملاحية لميناء عدن وإجراءات الدولة لحمايتها. ينظر: هُديل، طه حسين عوض،» القرصنة البحرية في اليمن في العصر الإسلامي من القرن السادس إلى القرن العاشر الهجري/ القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي»، بحث منشور في مجلة جامعة ذمار للدراسات والبحوث الإنسانية، جامعة ذمار، ذمار، العدد (١٤)، يناير ٢٠١٢م، ص٢٣١ - ٢٥٢؛ العراشي، عبد الحكيم محمد ثابت، «تأمين الطرق الملاحية لميناء عدن منذ منتصف القرن السادس إلى منتصف القرن التاسع الهجري»، بحث منشور ضمن كتاب دور عدن البحري عبر التاريخ (بحوث الندوة العلمية الأولى لمركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر، ٢٥ مايو ٢٠١٧م)، مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر، عدن، ٢٠١٨م، ص١٤٩ - ١٧٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

اتجاهها للموانئ اليمنية الأخرى وكذا الحجازية على البحر الأحمر[١]، مما أدى إلى انتعاش الحركة التجارية في ميناء عدن.

إلا أن التحول الكبير حدث في عصر الدولة الصليحية (٤٣٩- ٥٦٩هـ)؛ إذ تم بذر البذور الأولى للسياسة الجمركية لمدينة عدن عامة، وميناء عدن خاصة، وبدأت تتشكل النظم الجمركية، فتم - لأول مرة - تسمية العشور التجارية لمدينة عدن[٢].

كما يعد عصر الدولة الزريعية (٤٧٦-٥٦٩هـ) عصر التنظيم الإداري والمالي لعشور التجارة، وبداية تأسيس جمرك ميناء عدن كمؤسسة اقتصادية، حيث نظم الزريعيون عملية تحصيل العشور، كما عملوا على تصنيفها، ووضعوا تقديرًا دقيقًا لعشور كل سلعة من السلع على حده، وهذا النظام هو ما يعرف اليوم بالتعرفة الجمركية المعمول بها في مطارات وموانئ العالم. فقد تم تجديد واستحداث قوانين ضرائبية متعددة، وقد أُوكلت هذه المهمة إلى رجل يهودي، يدعى فلان اليهودي، وقيل خلف اليهودي النهاوندي[٣].

ومما هو جدير الإشارة إليه أن دولة بني زياد ومن ثم الزريعيين والصليحيين قد انصب اهتمامهم على تنظيم العشور بدرجة رئيسة، لكن التحولات الجوهرية للنظم حدثت في عصر الدولة الأيوبية (٥٦٩-٦٢٦هـ)، فقد اهتموا بعشور التجارة

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص٥٠.

(٢) عمارة، نجم الدين عمارة بن علي (ت: ٥٥٧٩)، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مطبعة السعادة، ط٢، (د. ب)، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص١٢٤، ١٧٢.

(٣) ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت بعد: ٦٢٦هـ)، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحها: اوسكرلوفجرين، دار التنوير، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص١٤٠.

المتحصلة لهم من موانئ اليمن عامة، وميناء عدن على وجه التحديد. فعندما دخل الجيش الأيوبي عدن، أصدر الملك توران شاه[١] (٥٦٩-٥٧١هـ) أوامره إلى جنده بعدم العبث بها ونهبها، فخاطبهم بقوله: «ما جئنا لنخرب البلاد، وإنما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها[٢].

ومن الأعمال التي قام بها الأيوبيون هي تلك التي قام بها نائبهم على عدن الأمير عثمان ابن علي[٣] الزنجيلي حيث بنى أرصفة وقام بتسوير مساحات الميناء (الفرضة)، ليتم عندها تفريغ السفن المحملة بالبضائع التجارية[٤] وجعل لها بابين: باب الساحل المعروف باب الفرضة تدخل منه البضائع التجارية قبل أن تؤخذ

(١) توران شاه : شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شاذي بن مروان الملقب فخر الدين، وهو أخو صلاح الدين وكان أكبر منه، توفى بالإسكندرية سنة ٥٧٦هـ؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، ( د. ب)، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٦م،ج١، ص ٢٧٣ - ٢٧٦.

(٢) ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد(ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج٩، ص١٥٢.

(٣) هو الأمير عثمان بن علي الزنجيلي المعروف بأبي عمرو، تولى نيابة عدن من قبل السلطان الملك شمس الدولة توران شاه الأيوبي سنة ٥٧٠هـ، وبقي أميرًا على عدن إلى أن هرب منها سنة ٥٧٩هـ، توفي ببلاد الشام سنة ٥٨٣هـ. ينظر: ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٢٧؛ ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي (ت: ٧٤٤هـ)، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني، دار الحكمة اليمانية- صنعاء، ط١، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٣١-١٣٣؛ الفاسي، محمد بن أحمد الحسني (ت: ٨٣٢هـ)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج٥، ص١٧٣- ١٧٤.

(٤) حماد، أسامة أحمد، مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي «عصر دولتي بني أيوب وبني رسول»، مركز الإسكندرية للكتاب، ط١، الإسكندرية، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٥٥.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

العشور عليها، وباب إلى البر - إلى داخل المدينة - تخرج منه البضائع التجارية بعد دفع العشور المقررة عليها [١]، كما بنى الأمير عثمان حول مدينة عدن عددًا من الأسوار لمنع عمليات تهريب البضائع التجارية من البحر إلى داخل المدينة لتفادي دفع العشور التجارية[٢]، وفضلاً عن ذلك فقد بنى الأيوبيون عددًا من المنشآت المهمة، وهي عبارة عن دواوين لإدارة العمل، ومستودعات لخزن البضائع[٣].

أما في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ - ٨٥٨هـ)، فقد أدرك سلاطين بني رسول أهمية العشور كمورد مالي رئيس يرفد خزانتهم، وحرصوا على تنمية دخل التجارة الخارجية الواصلة إلى ميناء عدن. والذي يدرس وثائق نور المعارف[٤] سرعان ما يكتشف أن بناء الدولة الرسولية لأنظمة ميناء عدن قد صيغ بطريقة مبتكرة وحديثة على عصرها، يكاد ينافس جمارك الموانئ الحديثة من حيث طبيعة العمل والتنظيم مع الأخذ بعين الاعتبار الوسائل المتوافرة في خدمة جمارك الموانئ الحديثة.

صفوة القول؛ إن ميناء عدن مر بمراحل متعددة من التنظيم والتطوير، فقد كان في البداية عبارة عن مرفأ يستقبل البضائع فيؤخذ عليها الضرائب بطرق غير منظمة،

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٢٨؛ عسيري، محمد بن علي مسفر، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي (٥٦٩ - ٦٢٦هـ/ ١١٧٤ - ١٢٢٩م)، دار المدني، ط١، جدة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٢٤٥.

(٢) الشمري، محمد كريم إبراهيم، « الإجراءات الأمنية لحماية التجارة والتجار في ميناء عدن خلال العصر الأيوبي، ٥٦٩- ٦٢٦هـ/ ١١٧٣ - ١٢٢٨م، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد (٤٥)، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٣٥ - ٣٦.

(٣) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٤٢.

(٤) عن ذلك ينظر: نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، تحقق: محمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، ط١، صنعاء، ٢٠٠٣م، ج١، ص ٥٠٨ وما بعدها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

ولكن في عصر الدولة الزريعية حدثت تطورات في مختلف جوانب التنظيمات الإدارية والمالية، ثم واصل الأيوبيين والرسوليين عملية التطوير، فقد شهد عصرهما اهتمامًا متزايدًا بميناء عدن وبأنظمته الإدارية والمالية، حيث عملوا على إيجاد مؤسسات متعددة لإدارته، كما وضعوا اللوائح المنظمة، وسنَّوا القوانين الكفيلة بتسيير العمل فيه.

## المبحث الثاني

## نظم دخول السفن إلى الميناء

هناك عدد من الإجراءات التنظيمية لدخول السفن إلى الميناء تبدأ من مراقبة قدومها وتنتهي بالرسو وتفريغ حمولتها، نوضحها بالآتي:

**١-نظام مراقبة السفن القادمة إلى الميناء:**

يتم مراقبة السفن عن طريق شخص حاد البصر يقف على رأس جبل المنظر الذي يطل على الفرضة، ويطلق على هذا الشخص الناطور أو الناظور ويستطيع هدا الشخص التعرف على السفن القادمة عن طريق استخدام عود يجعله أمام ناظريه بوضع ثابت، فاذا شاهد جسمًا في عرض البحر قاسه على العود، فإن تحرك عن العود أدرك أنه ليس بمركب، فقد يكوون طيرًا أو غيره، وإن ظل ثابتًا فهو مركب، ويكون وقت المشاهدة في الصباح أو المساء، حيث يكون شعاع الشمس على سطح البحر، وبذلك تتبين الأجسام البعيدة [١].

وعندما يتأكد الناطور من أن القادم هو سفينة، يصيح على صاحب له يكون أسفل منه بصوت قوي يردد فيه كلمة هيريا...ياهيريا، وهذا يفعله الشخص الثاني مع الشخص الثالث، والناطور الثالث يردد هذه الكلمة حتى تصل إلى الشخص

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٣٨؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص٥٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الرابع الذي يطلق عليه الجوَّاب، وهو الذي يقوم بنقل الخبر إلى الوالي[١].

والسؤال المطروح هنا هو لماذا يصيح الناطور عن مشاهدته للسفينة القادمة بكلمة هيريا؟

لقد أشار أحد الباحثين[٢] أن ترديد هذه الكلمة للدلالة على الفرحة والابتهاج، ويبدو أن هذا التفسير ليس منطقيًّا، ويكفي الإطاحة بهذا الرأي هو أن قدوم السفن ليس بغريب عن أهالي عدن إلى درجة أنهم يبتهجون بقدوم سفينة؛ لأن قدوم السفن يعدُّ أمرًا مألوفًا لهم، لحيث وأن عدن تستقبل عشرات السفن أسبوعيًا. ولعل ما يؤكد ذلك ما ذكره ابن فضل الله العمري[٣] الذي أشار إلى أنه لا يمر أسبوع وميناء عدن خالي من السفن المزدحمة، وهذا يدل على أن ظاهرة قدوم السفن إلى عدن مألوفة لا تجعل أهلها يتعجبون ويفرحون بقدومها.

ومن المحتمل أن مراقبة السفن من قبل الناطور والصياح بكلمة هيريا ذات دلالة تنظيمية، ولعل ما يؤكد ذلك البراهين الآتية:

إن إطلاق كلمة الناطور على الشخص الذي يقوم بالمراقبة ذات دلالة وظيفية، أوكلت إليه مهمة مراقبة السفن، وإلا لكان أطلق عليه شخص للدلالة على أنه من عامة الناس من عدن.

الناطور لفظ أعجمي تكلمت به العرب وأصلها الناظور دلالة على من ينظر إلى شيء ويراقبه [٤]، وهو الحافظ كمثل الذي يحفظ البستان[٥]؛ أي أنه حارس،

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٣٨؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص٥٦.
(٢) الشمري، محمد كريم، زهور السوسن في تاريخ عدن، دار جامعة عدن، ط١، عدن، ٢٠٠٤م، ص١٤٩.
(٣) مسالك الأبصار، ص١٥٧.
(٤) عياض اليحصبي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون (ت: ٥٤٤هـ)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة، ودار التراث، (د. ت)، ج٢، ص٣٦.
(٥) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي

وهذا ما أكده أفندي[١] الذي ذكر بأن الناطور هو الحارس.

إن تخصيص مجموعة أشخاص لهذه المهمة ذات دلالة تنظيمية، وهذا ما يدل عليه تنظيمهم وترتيبهم على مسافات، بحيث تكون المسافات بين الشخصين قابلة لسماع صوت كل وأحد منهم للآخر، كما أن ترتيبهم على مواقع محددة تبدأ من أقرب نقطة مطلة على البحر وينتهي هذا الترتيب إلى الوالي، تدل على تنظيم ومهام يقوم بها هؤلاء الأشخاص في إطار عملهم.

إن انتهاء الخبر إلى والي المدينة والذي بدوره يخرج لإشعار عمال الميناء يدل على تنظيم محكم.

مما سبق يتضح أن فرضة عدن أقامت مراصد لمراقبة السفن، يقوم بها عدد من العاملين، ومهمتهم رصد السفن قبل اقترابها من الفرضة، حتى يتسنى لإدارة الميناء الاستعداد لاستقبالها وإجراء قوانين التفتيش والرسوم في الفرضة.

### ٢- نظام معرفة حجم السفينة القادمة:

من أولويات الفرضة هو معرفة حجم السفينة القادمة، والهدف من ذلك هو كما أشار إليه أحد المصادر[٢]، فقد ذكر أنه إذا كانت السفينة التجارية القادمة من النوع الكبير لا يسمح لها بتجاوز منطقة معينة في الميناء حتى لا ترتطم باليابسة، ويتم تفرغ بضاعتها في قوارب صغيرة يتم تحميلها إلى الفرضة.

= (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ، ج٣، ص٤٩، مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ت)، ج٧، ص٣٣١.

(١) أحمد فارس، الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٢٩٩هـ، ص٦٠٤.

(٢) الحسيني، الشريف الحسن بن علي ( ت بعد: ٨١٥هـ)، مخلص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب، مخطوطة مصورة، مكتبة الإمبروزايانا، ميلانو، رقم H١٣٠، ق٢٨أ - ق٢٨ ب.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

مما سبق يتضح الآتي:

أ- وجود قوانين تتحكم بالسفن قبل دخولها الفرضة.

ب- وجود إجراءات السلامة التي تضمن رسو السفن بأمان.

ج- وجود دراسات دقيقة لوضعية الميناء، ومنها دراسة البنية التضاريسية للميناء، ولعل ما يدل على ذلك المعرفة التامة بعمق مياه الفرضة.

**٣- نظام إثبات الهوية:**

قبل أن تصل السفينة إلى الميناء يتجه إليها موظفو التفتيش والذين يعرفون بـ» المبشرين»، حيث يركبون السنابيق[١]، وعندما يصلون يصعدون إليها للتحري وجمع معلومات أولية عن السفينة وما على متنها من بضائع وركاب ومتاع خاص بالسفينة، ومن أهم المعلومات التي كان يهتم بها المبشرين الآتي[٢] :

أ- تدوين اسم قائد السفينة.

ب- البلد التي انطلقت منه السفينة.

ج- تدوين أسماء التجار وجميع الأشخاص.

د- تدوين أنواع البضائع.

هـ- تدوين أي متاع يوجد على السفينة غير البضائع.

(١) السنابيق: هي الزوارق أو السفن الصغيرة، تُستخدم في نقل الأشخاص وأغراضهم من سفن الشحن الكبيرة. ابن بطوطة، الرحلة، ص١٩٨؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٢٢، ٥٧. كما كانت السنابيق تتقدم السفن الكبيرة لتوفير الحماية وتجنب مباغتة العدو. العراشي، عبد الحكيم محمد ثابت، الجيش في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ - ٨٥٨هـ/ ١٢٢٨ - ١٤٥٤م) دراسة تاريخية، دار الوفاق للدراسات والنشر، ط١، عدن، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٣٧٦.

(٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٣٨؛ باوزير، خالد سالم، ميناء عدن دراسة تاريخية معاصرة، دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع، ط١، الشارقة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٣١.

وهذه المعلومات أولية تهدف إلى التعرف على البلد الذي انطلقت السفينة منه وكذلك هوية الركاب وما يحملونه من بضائع ومتاع.

بعد الرصد تؤخذ هذه البيانات لتعرض على والي المدينة حتى يأذن بدخول السفينة إلى الميناء، فترفع عنها أشرعتها ودفتها وتحفظ لدى المسؤولين في المدينة حتى يتحققوا من صحة البيانات المدونة [١]، وترسي السفينة بمرسى للانتظار.

**٤- نظام الانتظار:**

يذكر ابن المجاور[٢] أن البضائع لا تنزل الفرضة إلا بعد ثلاثة أيام، ولم يذكر سبب ذلك، وعلل أحد الباحثين[٣] ذلك إلى استيفاء عملية العدّ والوزن.

ويبدو أن سبب الانتظار ثلاثة أيام حتى يتم استيفاء عملية العد والوزن تبرير غير مقبول، فمن غير المعقول أن تحدد مدة زمنية بثلاثة أيام لهذا العمل؛ لأنه يوجد اختلاف بحجم السفينة وكمية البضاعة التي تحملها، ومن هنا يصعب قبول أن تكون تلك المدة للسفينة كبرت أم صغرت، وكثرت البضاعة التي على متنها أم قلت.

وعلى هذا الأساس فإن عملية الانتظار ما هي إلا عملية تنظيمية، تهدف تنظيم الدخول إلى الجمرك، وتخفيف الازدحام عليه في حالة دخول السفن دفعة وأحدة، خاصة أذا ما عرفنا أن هناك أعدادًا كبيرة تدخل ميناء عدن في الأسبوع الواحد، ولعل ما يؤكد ذلك ما ذُكر في أحد المصادر[٤]، حيث ذكر أنه لا يمر أسبوع على ميناء عدن

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٣٨.
(٢) تاريخ المستبصر، ص١٣٨.
(٣) الشمري، محمد كريم إبراهيم، « الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن خلال القرنين الخامس والسادس الهجري: دراسة تاريخية»، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد (٣٥)، بغداد، ١٩٨٨م، ص١٧٣.
(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص١٥٧.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وهو خالٍ من المراكب المزدحمة التي لا يمكن لها أن تفرغ شحنتها دون الانتظار على مرافئه لكثرتها. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تنظيم الدخول، حيث تدخل مجموعة من السفن لتفريغ حمولتها، وتبقى السفن الأخرى في الانتظار حتى تنتهي السفن الراسية في الميناء فتخرج، وتدخل السفن التي في الانتظار، وهكذا.

وعلى هذا الأساس نستطيع القول إن السفن القادمة إلى ميناء عدن تمر بمرحلة الانتظار، والهدف من ذلك هو تفريغ السفن بحسب الأولوية تجنبًا للازدحام في الإجراءات الجمركية.

**٥- نظام الدخول إلى المرفأ:**

بعد أن تفرغ السفن الراسية في المرفأ حمولتها تدخل سفن من الانتظار لتفرغ حمولتها، لكن السؤال المطروح هو هل تدخل سفينة واحدة للرسو؟.

إن الإجابة على هذا السؤال تكون بالنفي، فمن غير المعقول أن تدخل سفينة واحدة لتفريغ حمولتها، وعلاوة على ذلك لابد الأخذ بعين الاعتبار أن هناك سفنًا تقوم بعملية شحن البضائع، لهذ فهناك أكثر من مرسى للوقوف، سواءً للسفن التي تفرغ البضائع أو التي تشحن، وكذلك السفن التي أكملت تفريغ بضاعتها ومنتظرة وقت الإقلاع، ولعل ما يؤكد تعدد مراسي الوقوف ما ذكره ابن فضل الله العمري[١] من وجود مرافئ كثيرة.

**٦- نظام التفتيش الأمني:**

جرت العادة قديمًا عند قدوم السفن التجارية إلى الميناء أن تربط سلسلة عند كل جانب من جوانب البحر حتى لا تتمكن السفينة من اجتياز هذا الموضع إلا

(١) مسالك الأبصار، ص١٥٧.

بعد أن تدفع الرسوم المقررة عليها، وقد طبق هذا النظام منذ صدر الإسلام، وظل معمولًا به لمدة طويلة خلال العصر الإسلامي(١).

ثم تطور هذا النظام مع ازدهار التجارة، واتخذت إجراءات جمركية جديدة تسمح للسفينة بالمرور والرسو قبل الإجراءات الجمركية.

وقد كانت السفن التجارية القادمة تخضع لتفتيش دقيق وإجراءات جمركية متعددة، فعندما تصل السفينة إلى المرسى يصعد إليها موظفون من قبل والي المدينة فينظرون في السفينة، ثم يسمح بعد ذلك لقائد السفينة والركاب بالنزول إلى الميناء بعد أخذ إذن مسبق من والي المدينة، ثم يفتشون الرجال والنساء تفتيشًا دقيقًا، حيث يقوم المفتش( المتحرِّي) بتفتيش الرجال رجلًا بعد رجل، ويصل التفتيش إلى العمامة والشعر والملابس وتحت الآباط، ويحاول المتحري التفتش بدقة تامة، وكذلك عجوز تفتيش النساء تفتيشًا دقيقًا، إلى درجة أنها تكاد تقرب بيدها إلى الأجزاء الداخلية للمرأة(٢).

ومن هنا فإن الرواية تدل على دقة التفتيش التي يتعرض لها القادمون إلى عدن؛ وإن كان الهدف من ذلك هو الحد من تهريب البضائع، لكن هذا لا يعني أن الهدف الأمني كان غائبًا. والدليل على ذلك ما ذكره أحد الباحثين(٣) في أن الهدف من التأكد من هوية المسافرين وتفتيشهم تفتيشًا دقيقًا لاحتمال أن يكون بينهم جواسيس أو حملة رسالة سرية مما يتطلب تدقيقًا كافيًا بشأنهم.

(١) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت: ١٨٢هـ)، الخراج، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٢٧٩؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ٩٥، ٩٦.

(٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٣٨، باوزير، ميناء عدن، ص٣١.

(٣) الشمري، محمد كريم إبراهيم، عدن: دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ٤٧٦ - ٦٢٧هـ/ ١٠٨٣-١٢٢٩م، دار جامعة عدن، ط٢، عدن، ٢٠٠٤م، ص٢٥٧.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

كما كان يتم تدوين كل المعلومات عنهم ومراقبة تحركاتهم وطبيعة علاقاتهم واتصالاتهم طول مدة وجودهم، وهو إجراء أمني سليم لا يزال متبعًا إلى الآن في معظم دول العالم تجاه الوافدين والغرباء(١)، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الحرص على التأكد من شخصيات الأجانب.

ثم تبدأ بعد ذلك جباية الرسوم الجمركية المقررة على كل تاجر، وإذا تمت كل الإجراءات سمحوا لهم بدخول المدينة والنزول فيها حتى يتم فرز سلعهم التجارية بكل دقة من قبل مسئولي الجمارك(٢).

ويوضح ابن المجار(٣) الوضع العام في أثناء هذه العملية بقوله: «وخروج الإنسان من البحر كخروجه من القبر، والفرضة كالمحشر فيه المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد...».

## المبحث الثالث

## نظم مغادرة السفن للميناء

إذا كانت السفن عند دخولها الميناء تمر بعدد من الإجراءات التنظيمية، فكذلك عند خروجها فمن تلك النظم الآتي:

**١- نظام تقديم طلب السماح بالسفر:**

من الأنظمة الإدارية المتبعة في ميناء عدن أنه من أراد السفر من الوافدين فلابد له من تقديم طلب إلى الوالي يسمح له بالسفر، وكذا كفيل يضمن عليه بما قد يظهر عليه من مال الدولة مثل العشور أو غيرها، أو ما يظهر للناس من مال كدين أو قرض أو قيمة بضائع أو سلع تجارية لبعض التجار أو غير ذلك من الأمور والالتزامات،

(١) الشمري، « الإجراءات الأمنية لحماية التجارة والتجار في ميناء عدن «، ص١٠٠.
(٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٣٨؛ باوزير، ميناء عدن، ص٣١.
(٣) تاريخ المستبصر، ص١٢٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

وإذا لم يكن له أحد يضمنه تمنعه الدولة من السفر إلى بلده حتى يعين مناديًا ينادي في الأسواق أن فلانًا بن فلان مسافر، فمن له عليه شيء فليطالبه، فإذا ظهر أحد من المطالبين أخذ ماله، وإذا لم يظهر أحد يطالبه بشيء سمح له بالسفر وكتب له الوالي بذلك تصريحًا يسمح له بالسفر حيث شاء[١].

**٢- نظام الإشعار بالسفر:**

إذا أراد صاحب مركب السفر من عدن إلى أي بلد من البلدان رفع علمًا خاصًا بذلك على ظهر مركبه عدة أيام حتى يتم السفر، وعندما يعلم التجار برفع العلم يعرف الناس بأن المركب سوف يغادر المدينة فيسرعون بنقل تجارتهم وأمتعتهم إلى المركب إلى أن يتم السفر[٢].

كما أنه إشعار للناس إلى من له شيء عند تجار هذه السفينة أو ركابها، كي يسارعوا إلى إدارة الميناء للمطالبة بحقوقهم.

**٣-الوثائق المطلوبة للمغادرة:** [٣]

**أ- أوراق حسبة مُسَفَّرات النواخيذ(ربابنة السفن):**

هي سندات مالية موثقة، تتضمن البضائع، وكذا قيمة ما دفعه صاحب السفينة من ضرائب مستحقة لإدارة الجمرك، وتصدر من إدارة الفرضة.

**أوراق مُسَفَّرَ:**

يبدو أنها أوراق اعتماد المغادرة للأشخاص، وهي شبيهة بتأشيرة المغادرة في الوقت الحاضر، وتصدر من إدارة الفرضة.

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٤٦.
(٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٢٨.
(٣) نور المعارف، ج١، ص ٥٠٨ – ٥١٥.

للنسخة الورقية زز WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

**ج- أوراق إخراج المستخدمين:**

وهي أوراق تكتب بالبضائع الخارجة من الباب ومقدار العشور المفروض عليها، وتصدر من باب الفرضة.

**د- أوراق النّول[١]:**

هي أوراق تكتب بأجور الشحن الخاصة بمراكب الدولة التي تقوم بنقل كبار التجار وبضائعهم، وما تحتاجه من تموين في رحلة الذهاب والإياب، وتصدر من أدارة صندوق الفرضة.

**هـ- أوراق الرقيق:**

وتسمى ب: (العرائض)، وهي أوراق يدون فيها أسماء الرقيق الداخلين عبر البحر، ويُحدّد فيها المتوفون والمتغيبون ومن بقي منهم ومن تم شراؤه ومن سلم لمالكه، وتصدر من إدارة الفرضة.

**ز- أوراق الفُسُوحَات[٢]:**

(١) النّوْل: هو العطاء. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج٣، ص٤١٩؛ عياض اليحصبي، مشارق الأنوار، ج٢، ص٣٢. الجعل يعني ( زاد) السفينة. مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج٣١، ص٤٣.

(٢) الفُسُوحَات: مفردها فسح، وتجمع معاجم اللغة على أن فسح بمعنى السعة. ينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ت)، ج٣، ص١٤٨؛ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٨٧م، ج١، ص٥٣٢؛ الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠١م، ج٤، ص١٩٠؛ الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)،

وهي عبارة عن استلامات تخص المشتروات وعشور الخيل ورهون سفن النقل التجارية[١]، وبعبارة أخرى فهي إيصالات إقرار دين، يتعهد فيها المسافر ممن تبقى عنده دين بضاعة أو عشور تجارية من التجار، وكذلك الأشخاص الذين يقومون بتصدير بضاعة الدولة للخارج، هذا بالإضافة إلى الأشخاص الذين يقومون باستئجار سفن الدولة، يقرون بالمبلغ الذي عليهم ويتعهدون بتسليمه.

وكانت سندات الفسوحات تصدر من ميناء عدن مباشرة، لكن على ما يبدو أنه كان يحصل تلاعب من قبل المتعهدين المسافرين بعدم تسديد الاستحقاقات أو هروبهم وعدم رجوعهم مرة أخرى، لذا تم إلغاء سندات الفسوحات وإحلال محلها سندات الضُمَنَاء.

**ز- سندات الضُمَنَاء:**

بعد التلاعب الذي كان يحصل بسندات الفسوحات تم إلغاء التعامل بها، حيث أتت الأوامر السلطانية من السلطان المظفر (الأول) يوسف بن عمر الرسولي[٢]

= الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م، ج١، ص٣٩١؛ الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية / الدار النموذجية، ط٥، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٢٣٩. وعندما ترك أخذ العشُر من الأموال في بعض نصوص الشرع الإسلامي، يقال :» فُسِّحَ لهم»؛ أي تركها. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٧١.

(١) نور المعارف، ج١، ص٥١١.

(٢) هو السلطان المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول الغساني ثاني سلاطين بني رسول، تولى الحكم بعد والده الملك المنصور نور الدين عمر سنة ٦٤٧هـ، ويعد من أقوى السلاطين الرسوليين، فقد وصلت الدولة في عهده إلى أقصى اتساعها، حيث امتدت حدودها الشرقية إلى عُمان حاليًا في الشرق وإلى السواحل الغربية للبحر الأحمر غربًا وإلى المدينة المنورة شمالًا وبحر العرب وخليج عدن جنوبًا، واستمر حكمه إلى سنة ٦٩٦هـ. ينظر: الحامد، صالح علي، تاريخ حضرموت، مكتبة الإرشاد، ط٢، صنعاء، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٣م، ج٢، ص٥٤٧؛



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بإحلال محلها سندات الضمناء، كما اشترطت الأوامر السلطانية أن يكون الضمناء ثقات[1] كما، أن الضمناء لابد أن يكونوا متواجدين في عدن، ومن المحتمل أنه لا يسمح لهم بالسفر إلى خارج اليمن ما دام يوجد عليهم ضمانات مالية.

**الخاتمة:**

يمكن إجمال أهم النتائج التي توصل إليها البحث في الآتي:

- بيّن البحث أهمية الموقع الجغرافي لعدن وميناءها، من حيث توسطه للطرق التجارية، ومن ثم بيان مدى تأثير أهمية هذا الموقع على التجارة الدولية.
- وجود عمال متخصصين في مراقبة وصول السفن، وحال رسوها، وعند إقلاعها من الميناء.
- وجود إجراءات السلامة التي تضمن رسو السفن بأمان.
- قبل دخول السفن الميناء يتم التحري عن السفينة من حيث النوع والجهة وهوية الأشخاص وحمولتها، ومن ثم يتم التحري عن صحة تلك المعلومات.
- بعد التأكد من صحة المعلومات تدخل السفن مرحلة الانتظار تمهيدًا للدخول.
- في مرحلة الانتظار يتم السماح للمسافرين النزول وتفتيشهم تفتيشًا دقيقًا.
- لا يسمح للسفن مغادرة الميناء إلا بعد إشهار المغادرة والذي حدد بثلاثة أيام، وتبدأ عملية الإشهار برفع العلم فوق السفينة.
- لا يسمح للأشخاص بالمغادرة إلا بعد التحري عنهم والتأكد أنه لا يوجد عليهم قضايا أو دين.

= العراشي، عبد الحكيم محمد ثابت، الدولة الرسولية في عهد السلطان المظفر الأول يوسف بن عمر (٦٤٧-٦٩٤هـ) دراسة سياسية وحضاري، رسالة غير ماجستير منشورة، جامعة عدن، عدن، ٢٠٠٦م، ص٢٠ وما بعدها.

(١) نور المعارف، ج١، ص٥١١.

- وجود ضمان الحقوق المالية المستحقة للدولة وللتجار الوافدين والمغادرين.
- بعد التحري عن الأشخاص يسمح لهم بالمغادرة بإعطائهم أوراق مسفر؛ وهي تشابه تأشيرات الخروج في الوقت الراهن.
- وجود سجلات وأوراق معاملات وسندات واستمارات وبيانات، وتأشيرات دخول ومغادرة، وكانت هذه الوثائق تحرر من قبل المختصين في الإدارات المخولة لها بإصدارها، ثم تراجع من قبل مختصين آخرين للتأكد من صحتها وقانونيتها، ثم تحال إلى المختصين للتوقيع عليها، ثم تحال إلى الأرشيف لكي تختم بالختم الخاص بالميناء، وتصبح بعد ذلك وثيقة رسمية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

## المصادر والمراجع

### أولًا- المصادر:


♦ **ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد (ت: ٦٣٠هـ).**

١- الكامل في التاريخ، دار الكتابُ العربي، ط٣، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

♦ **الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت: ٥٦٠هـ).**

٢- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٩هـ.

♦ **بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله (ت:٩٤٧هـ).**

٣- تاريخ ثغر عدن، تحقيق: أوسكرلوفجرين، دار التنوير، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

♦ **الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ).**

٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

♦ **الحسيني، الشريف الحسن بن علي ( ت بحدود: ٨١٥هـ).**

٥- مخلص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب، مخطوطة مصورة، مكتبة الإمبروزايانا، ميلانو، رقم ١٣٠H.

♦ **الحميري، محمد عبدالمنعم (من مؤرخي القرن الثامن).**

٦- الروض المعطار في خبر الأقطار: معجم جغرافي، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

♦ **ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت في حدود: ٣٠٠هـ).**

٧- المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م.

♦ **ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت: ٦٨١ه).**

٨- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، (د. ب)، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٦م.

♦ **ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت: ٣٢١هـ).**

٩- جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٨٧م.

♦ **الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: ٦٦٦هـ).**

١٠- مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية/ الدار النموذجية، ط٥، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

♦ **ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ).**

١١- المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

♦ **ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي (ت: ٧٤٤هـ).**

١٢- بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني، دار الحكمة اليمانية، ط١، صنعاء، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

♦ **عمارة، نجم الدين عمارة بن علي (ت: ٥٧٩هـ).**

١٣- تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مطبعة السعادة، ط٢، (د. ب)، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

♦ **عياض اليحصبي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون السبتي (ت: ٥٤٤هـ).**

١٤- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة، دار التراث، (د. ت).

♦ **الفاسي، محمد بن أحمد الحسني (ت:٨٣٢هـ).**

١٥- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

♦ **أبو الفداء، إسماعيل بن علي.**

١٦- تقويم البلدان، تحقيق: رينود والبارون ماك كوكوين ديسلان، مكتبة ببلهون، بيروت.

♦ **الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت: ١٧٠هـ).**

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

١٧- كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،(د. ت).

♦ **ابن فضل الله العمري (ت:٧٤٩هـ).**

١٨- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار « القسم الخاص بمملكة اليمن»، تحقيق وتقديم: أيمن فؤاد سيد، دار الاعتصام، (د. ت).

♦ **القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت:٨٢١هـ).**

١٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، مطابع كونستاتوماس، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

♦ **ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت بعد: ٦٢٦هـ).**

٢٠- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحها: أوسكر لوفجرين، دار التنوير، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

♦ **مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ).**

٢١- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ت).

♦ **المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت:٣٩٠هـ).**

٢٢- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط٢، ليدن، ١٩٠٦م.

♦ **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ).**

٢٣- ذلسان العرب، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٤- نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، ج١، تح: محمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، ط١، صنعاء، ٢٠٠٣م.

♦ **الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت: ٣٧٠هـ).**

٢٥- تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

♦ **الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت:٣٦٠هـ).**

٢٦- صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة، الرياض، (د. ت).

♦ **ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت:٦٢٦هـ).**

٢٧- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م.

♦ **أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت: ١٨٢هـ).**

٢٨- الخراج، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

**ثانيًا- المراجع:**

**أ- الكتب:**

٢٩- أفندي، أحمد فارس، الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٢٩٩هـ.

♦ **الأكوع، إسماعيل بن علي.**

٣٠- اليمن الخضراء مهد الخضارة، مكتبة الإرشاد، ط١، صنعاء، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

♦ **باوزير، خالد سالم.**

٣١- ميناء عدن: دراسة تاريخية معاصرة، دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع، ط١، الشارقة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

♦ **الحامد، صالح علي.**

٣٢- تاريخ حضرموت، مكتبة الإرشاد، ط٢، صنعاء، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

♦ **الحجري، محمد بن أحمد.**

٣٣- مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق: إسماعيل علي الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

♦ **حماد، أسامة أحمد.**

٣٤- مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي « عصر دولتي بني أيوب وبني رسول»، مركز الإسكندرية للكتاب، ط١، الإسكندرية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

٣٥- دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر- بيروت/ دار الفكر، دمشق، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

♦ **الشمري، محمد كريم إبراهيم.**

٣٦- زهور السوسن في تاريخ عدن، دار جامعة عدن، ط١، عدن، ٢٠٠٤م.

٣٧- عدن: دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ٤٧٦-٦٢٧هـ/ ١٠٨٣-١٢٢٩م، دار جامعة عدن، ط٢، عدن، ٢٠٠٤م.

٣٨- العبدلي، أحمد بن فضل بن علي، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، دار العودة، ط٢، بيروت، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

♦ **العراشي، عبد الحكيم محمد ثابت.**

٣٩- الجيش في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/ ١٢٢٨-١٤٥٤م) دراسة تاريخية، دار الوفاق للدراسات والنشر، ط١، عدن، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

♦ **عسيري، محمد بن علي مسفر.**

٤٠- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي (٥٦٩-٦٢٦هـ/ ١١٧٤-١٢٢٩م)، دار المدني، ط١، جدة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

**ب- الرسائل العلمية:**

♦ **العراشي، عبد الحكيم محمد ثابت.**

٤١- الدولة الرسولية في عهد السلطان المظفر الأول يوسف بن عمر (٦٤٧-٦٩٤هـ) دراسة سياسية وحضاري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عدن- عدن، ٢٠٠٦م.

٤٢- مكاوي، هيفاء، التحصينات العسكرية لمدينة عدن في الفترة الإسلامية، دراسة تاريخية - أثرية، معمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عدن- عدن، ٢٠٠٧م.

**ج- البحوث :**

♦ **الشمري، محمد كريم إبراهيم.**

٤٣- «الإجراءات الأمنية لحماية التجارة والتجار في ميناء عدن خلال العصر الأيوبي،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

٥٦٩-٦٢٦هـ/ ١١٧٣ - ١٢٢٨م»، مجلة المؤرخ العربي- بغداد، العدد(٤٥)، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٤٤- « الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن خلال القرنين الخامس والسادس الهجري: دراسة تاريخية»، مجلة المؤرخ العربي- بغداد، العدد (٣٥)، ١٩٨٨م.

♦ **العراشي، عبد الحكيم محمد ثابت.**

٤٥- «تأمين الطرق الملاحية لميناء عدن منذ منتصف القرن السادس إلى منتصف القرن التاسع الهجري»، بحث منشور ضمن كتاب دور عدن البحري عبر التاريخ( بحوث الندوة العلمية الأولى لمركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر، ٢٥مايو ٢٠١٧م)، مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر- عدن، ٢٠١٨م

♦ **هُديل، طه حسين عوض.**

٤٦- « القرصنة البحرية في اليمن في العصر الإسلامي من القرن السادس إلى القرن العاشر الهجري/ القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي»، بحث منشور في مجلة جامعة ذمار للدراسات والبحوث الإنسانية، جامعة ذمار، ذمار، العدد (١٤)، يناير ٢٠١٢م.

# صهاريج عدن الإسلامية

د. أحمد صالح رابضة[1]

**الملخص:**

حدود هذا البحث غير محددة الفترة الزمنية ، فهي إشارات وإضاءات وإيماءات وردت في المصادر والمراجع العربية والإنجليزية عن مأثرة من أبرز المآثر التاريخية والأثرية في مدينة عدن ، أختلف العلماء والاختصاصيون في نشأتها، فمنهم من أعادها إلى جذورها القديمة في الحضارة اليمنية القديمة ، ومنهم من أعتبرها مآثر إسلامية شيدتها الدول الإسلامية المتعاقبة على اليمن، مثل آل رسول وآل طاهر وآل زريع، وذهب آخرون مذاهب شتى في ذلك ، وأكد آخرون أن المهندسين البريطانيين، منذ أيام بليفير، قد أعوزتهم الحقائق، فغيروا مساراتها القديمة، وطمسوا تاريخها الإسلامي .

وقد تناولنا بالبحث جملة من النقاط اللصيقة بالموضوع، أبرزها: الهضبة التاريخية ومآثرها، وموقع الصهاريج وتاريخ بنائها، والسبعة الدروب، والصهاريج الإسلامية الواقعة ضمن

(١) الباحث في تاريخ العلوم وأستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية وتحقيق التراث الخطي المشارك في كليتي التربية والآداب جامعة عدن، مدير عام مركز الدراسات والبحوث اليمني عدن سابقًا.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

منظومة الصهاريج وخارجها، والمتغيرات التي طرأت عليها منذ ١٨٥٦م، والبعثات العلمية الأثرية التي قدمت لمعاينتها ودراستها، والأضرار التي لحقت بها جراء السيول، والوسائل المتبعة في صيانتها، والتي لم تثمر حتى يومنا هذا.

## Abstract:

The period of this research, is not definite " the time period ", it was only signals found in the Arabic and English references, which mentioned about the important historical landmark found in Aden city, there is some differences about the construction of this tank, some of the scientist defined it to the old Yemenis civilizations , and the others thought that it is a Islamic land mark, builded by the Islamic countries which ruled Aden as: Al - rsoolyeen - Al - tahreyeen- Al-Zureyeen , the British engineers thought that from the days of " belifer ", they lost the truths and canceled its Islamic history. In this research, studied in details: the historical hill and its land mark. the position of the tanks. the history of its building. the seventh fences.

And the other tanks which located in same position and form a group, and every the events which happened since 1856, also the monuments scientific expeditions which visited the tanks, to see what is happening actually, and studied the harms that had happened to them because of the floods, and the methods of maintenance.

**تمهيد:**

هي قراءة جديدة في موضوع قديم حديث، تناوله المؤرخون الأقدمون ودونوه في تصانيفهم، من أمثال: بامخرمة ت: ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م، وابن المجاور ت: ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م وسواهما، وأجهد الباحثون المحدثون أقلامهم في عرضه ودرسه وتحليله من أمثال: لقمان، ومحيرز، وشهاب وسواهم، وسبقهم إلى تحرير ما

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

استجد منها في عهود الإدارة البريطانية ضباط بريطانيون، من أمثال: بلييفر، وهنتر، وهارولدوف يعقوب، وأنجرامس وسواهم، وهؤلاء بمجملهم ضباط سياسيون، يقومون بمهام لخدمة سياسة بلادهم بريطانيا العظمى، فقد قاموا بقصد أو بدون قصد بطمس التاريخ التليد لهذه المعالم، وأخص بالذكر مدة بليفير ومهندسيه البريطانيين الذين عطلوا منظومة الصهاريج القديمة وشبكتها، وطمسوا تاريخ الكثير من الدروب والسدود والصهاريج، وأضفوا عليها مسميات لا تمت لها بصلة بهدف محو تاريخها القديم والإسلامي، وأدلى الآثاريون بعد ذلك بدلوهم فيه، فظهرت تقاريرهم مثل تقرير: سيرجي شيرنسكي، وتقرير: نورس - بنهي، وتقرير: ليكوك وجورج صيدح، وتقرير: ميان عبد المجيد وسواهم، فمنهم من ناقش واجتر ما عرضه الضباط البريطانيون، ومنهم من أخذ بإقناع الدليل الذي بين يديه، وذهب آخرون مذاهب شتى، وأثاروا موجة من التشكيك والتوهين، وعلى الأخص أولئك الذين نسبوا الصهاريج للاحتلال الفارسي، استنادًا إلى رواية ابن المجاور، الذي أشار إلى صهريج واحد بعينه نسبه إلى الفرس، والشك الكثير يسود هذا المذهب، وليس ثمة ما يدعو إلى الشك أنهم طمسوا تاريخ الصهاريج، ومنها الصهاريج الإسلامية، ولكن الأنكى من ذلك أن هذه المنظومة لم تعرض على مجهر الفحص العلمي والدراسات الآثارية بحيث تحظى هذه الدراسات بقدر كبير من الدقة والضبط بغثِّها ورثِّها وحظها من الصواب والخطأ، ومن ثم ظلت هذه الدراسات وأمثالها تجتر ما ردده الضباط البريطانيون السياسيون، ولسنا بذلك نحط من قيمة أعمالهم، فلهم لاشك قصب السبق في تدوين تاريخ المعالم والمآثر في عهود الإدارة البريطانية، ولعل أدق نقد جدير بالأهمية ما عرضه البحاثة مؤرخ عدن الأستاذ عبد الله أحمد محيرز في كتابيه: «العقبة» وَ «وصهاريج عدن» للأعمال الإنشائية التي قامت بها الإدارة البريطانية في عدن، وأكد بما لا يدع مجالًا

للشك أن القوم شوهوا تاريخ المدينة وطمسوا معالمها الإسلامية، وهذا حتّم علينا مجددًا أن نعرض لدراسة الصهاريج، فأخذنا نجيل الطرف في كتب التراث القديمة والحديثة؛ لنبرز ونعرض صورًا شتى من هذه المعالم الإسلامية، وعلى الأخص الصهاريج التي شيدتها الدول الإسلامية المتعاقبة على اليمن، وطرق ووسائل الري على ضآلتها التي عرفتها عدن خلال الحقب الماضية، والتي تعرضت للتغيير والتبديل، واتخذت لها مسميات إنجليزية تارة كما ألمحنا فيما تقدم، وعامية تارة أخرى أطلقها -على أغلب الظن- الضباط السياسيون والعوام وبعض الدارسين والمهتمين بالمآثر والمعالم، مثل: صهريج أبو عجلة وأبو سلسلة وغيرهما لوجود عجلة أو سلسلة في بعضها، وانمحت الأصول، مثل صهريج آل زريع، وصهريج آل رسول، أو صهاريج الغساسنة، وصهريج آل طاهر، والصهاريج التركية وسواها.

ومن نافلة القول: إن المدينة التي عانت شحة في المياه خلال القرون الماضية، والتي حيل بينها وبين التزود بالمياه، بسبب الصراعات والحروب وهجمات البدو الأعراب، ومنعهم وصول إمدادات المياه إلى عدن؛ سوف تلتمس شتى الوسائل والطرق للحصول على المياه، ومن هذه الوسائل حفر الأحواض والآبار والصهاريج فيها، وقد أسهمت أجناس مختلفة في هذه العملية - عملية الإصلاحات والاستثمار في الصهاريج- من إنجليز وفرس وهنود ويمنيين جلهم لا يدرك طبيعة هذه المآثر ولا تاريخها التليد.

وعلى الجملة، كانت خلاصة بحثنا محاولة الوقوف على جملة من الصهاريج الإسلامية التي مازالت ماثلة أمامنا ضمن صهاريج الطويلة مثل: صهريج أبي قبة، وصهريج الفارسي، أو خارج نطاق الوادي، ومنها صهريج آل زريع في طرف شارع الزعفران في عدن، أو على مقربة من جبل الأحمر المقابل لكود الحشيش «مجمع



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +201008170225

الخضار والأسماك حاليًا» في عدن القديمة، وبعضها الآخر قد اكتسحته الإنشاءات الإنجليزية، وبات في خبر كان، مثل الصهريج الضخم الذي كان على مقربة من باب عدن العقبة، والصهريج الضخم الآخر الذي يقف قبالة مجمع البنوك الأهلي.

هذا ما يمكن الاطمئنان إليه، وقد أشرنا إليه في بحثنا بضرب من الإشارات، وهنا قد تعوزنا أدلة الجزم القاطع في ذلك، لما سبق أن ألمحنا إليه من اضطراب الروايات، وما أحدثته الترميمات البريطانية من طمس لهذه المعالم، وإضفاء مسميات أخرى لا صلة لها بها البتة، لكن والحال هذه، لم تعوزنا أدلة الترجيح وإشارات وملاحظات وإيماءات المؤرخين، فمؤرخو القرن الرابع الهجري كالهمداني، والمقدسي البشاري الذي شاهد هذه الصهاريج في عدن، ومثلهم مؤرخو القرن السابع كابن المجاور، والثامن، كابن بطوطة، والعاشر كابن الديبع وسواهم، وهؤلاء جميعهم أشاروا إلى صهاريج إسلامية شيدت في هذه القرون، لكن غالبيتها قد طمست واختفت.

### أولًا- حدود البحث وموضوعه:

حدود هذا البحث غير محددة المدة الزمنية، فهي إشارات وإضاءات وإيماءات وردت في المصادر والمراجع العربية والإنجليزية عن مأثرة من أبرز المآثر التاريخية والأثرية في مدينة عدن، اختلف العلماء في نشأتها، فمنهم من أعادها إلى جذورها القديمة في الحضارة اليمنية القديمة، ومنهم من عدّها مآثر إسلامية شيدتها الدول الإسلامية المتعاقبة على اليمن مثل: آل زريع، وآل رسول، وآل طاهر، وذهب آخرون مذاهب شتى في ذلك، وذهب فريق من الباحثين إلى أنها إسلامية المنشأ، وأن المهندسين البريطانيين منذ أيام بلييفير قد أعوزتهم الحقائق فغيروا مساراتها القديمة، وطمسوا تاريخها الإسلامي، وألقوا أمام الباحثين المحدثين ظلالًا

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

كثيفة من التشكيك حول الروايات القديمة، وقد عرضنا في هذا البحث لعدد من الصهاريج الإسلامية التي لا تزال مثار شك بين الباحثين، بسبب الاضطراب الذي أحدثته إصلاحات المهندسين البريطانيين للصهاريج، وأبرزهم بلييفير.

**ثانيًا- أهمية البحث:**

وتكمن أهمية البحث في كونه يبرز صورًا ونماذج من الصهاريج الإسلامية، التي وقفنا عليها وأشرنا إليها بضرب من الإشارات الواردة في مصادرها كما سنرى، وتطرقنا في المقدمة إلى النشأة الأولى للصهاريج العامة في عدن، وعلى الأخص، تلك التي يتسع فيها القول، وأعني صهاريج الطويلة التي مازالت ماثلة أمامنا، مسلطين الضوء على الإشارات التي ألمح إليها ابن بطوطة والقلقشندي وسواهما، وهي إشارات لا تتجاوز القرن الرابع الهجري، وضربنا صفحًا عن بعض الروايات لعدم إمكان تحقيقها، بيد أننا نشير إلى أن ما وقفنا عليه من روايات، على ضآلتها، ليست مبرأة هي الأخرى من مآخذ الباحثين والدارسين، لكنها تؤكد بما لا يدع مجالا للشك، أن الدول الإسلامية التي تعاقبت على اليمن، قد شيدت عددًا من هذه الصهاريج في عدن وقد دعونا فيما تقدم من السنين، إلى شحذ همم الدارسين وبخاصة طلاب الدراسات العليا لخوض هذه الدراسات، وإجراء المزيد من التنقيبات الأثرية لمعرفة الجذور الأصلية التي قطع العلماء والمؤرخون في أصولها.

وكيفما كان الحال، فهذا جهد المقل، وخلاصة ما سنقف عليه في البحث.

**ثالثًا- أهداف البحث:**

١- تجذير هذه الجهود وتوثيقها.

٢- تأصيل وتجذير مخلفات الحضارة الإسلامية في اليمن، وما يتعلق منها بوسائل الري القديمة وطرائق تشييد الصهاريج والبؤر المختلفة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

٣- التأكيد على أهمية هذه المآثر ذات النشأة العربية الإسلامية في اليمن، ونسبة الكثير منها إلى مخلفات الحضارة الإسلامية، وما قدمته الدول الإسلامية المتعاقبة على حكم اليمن وعدن بخاصة، وهي نظرة جديرة بالاعتبار، وتدحض الأفكار التي تصم تاريخ حضارتنا بكثرة الفتن، وقلة الجهود المتميزة.

**رابعًا- منهجية البحث:**

اتّباع المنهج التاريخي التحليلي في دراسة هذه المفردة, وتتبع الصور والوثائق والمقالات والإشارات والإيماءات المختلفة، وغربلتها والتركيز على الجوانب الرئيسة في البحث وهي الصهاريج الإسلامية، وتعقّب الإشارات والصور التي ألمحت إليها، والبناء عليها بما يتوافق مع المخلفات القائمة في وادي الطويلة مثل: «صهريج أبو قبة» ذي النمط الإسلامي، وصهريج الفارسي إسلامي النشأة، الذي غلبت عليه التسمية، فعده العوام وبعض الدارسين مأثرة فارسية، أضف إلى ذلك المسميات الإفرنجية التي تسمت بها بعض الصهاريج مثل صهريج: كوجلان، وصهريج: بليفير وسواهما، وغني عن البيان، أن هذه المسميات قد غطت على الحقائق، والبست الصهاريج لبوسًا غير لبوسها مما جعل بعض الباحثين المحدثين يجنح إلى الشطط والتعسف في الرأي.

**خامسًا- مخطط البحث: تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول:**

صهاريج عدن- وينقسم إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول- هضبة عدن ومآثرها

المطلب الثاني- موقع الصهاريج

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

المطلب الثالث- السبعة الدروب

المطلب الرابع- الصهاريج الإسلامية في منظومة صهاريج الطويلة وخارجها.

**المبحث الثاني :**

**صهاريج الطويلة- وينقسم إلى أربعة مطالب:**

المطلب الأول- الصهاريج القائمة في وادي الطويلة

المطلب الثاني- المتغيرات التي طرأت عليها

المطلب الثالث- تاريخ بناء الصهاريج

المطلب الرابع- وضعية الصهاريج إلى ما قبل ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م

**المبحث الثالث:**

**مشروع صيانة الصهاريج- وينقسم إلى ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول- السيول التي اجتاحت عدن وفيضان الصهاريج

المطلب الثاني- ما خلصت إليه بعض الدراسات الأثرية

المطلب الثالث- الترميم والصيانة

## المبحث الأول

## صهاريج عدن

**المطلب الأول- هضبة عدن ومآثرها:**

يجدر بنا بادئ ذي بدء، أن نسلط الضوء على هضبة عدن، المصدر الرئيس لتدفق مياه الأمطار إلى السدود والدروب والقنوات والصهاريج المختلفة، وما تحويه هذه الهضبة من مآثر ومعالم مختلفة ذات قيمة أثرية وتاريخية متميزة، وهي فضاء واسع أغرى المستثمرين في وقتنا الحاضر فتاقوا إلى استغلاله واستثماره، غير

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +201008170225

عابئين بقيمته الأثرية والتاريخية بيد أنهم لم يفلحوا. فقد تصدت لهم الأقلام الحرة ومنظمات المجتمع المدني، ووأدت مشروعهم لحين من الوقت، وبدأت تشرئب أعناقهم اليوم في ظل الضعف السائد.

وكائنًا ما كان الحال، فمساحة الهضبة تقترب من نصف مساحة عدن القديمة، إن لم تكن أكثر من ذلك، وترتفع حدود ٥٠٠ أو ٨٠٠ متر عن سطح البحر(١)، مطلة على صهاريج الطويلة ووادیها العتيق، وتتدفق مياه أمطارها من طريق منظومة أو شبكة من الصهاريج المعلقة التي شادها الأقدمون في أعالي وبطون الجبال بدقة وإحكام، تنطلق من علٍ عبر هذه السلسلة من السدود والقنوات المائية، حتى تصل إلى صهاريج الطويلة، ومن ثم تتجه إلى شبكة مترابطة بدقة متناهية من السائلات لتغذي بقية الصهاريج بالمياه، وقد تعطلت المنظومة برمتها منذ ترميم ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م وما قبلها، وزاد الطين بلة، ما لحق بها من عبث، وما طرأ على البلد من تغييرات شاملة في البنى التحتية.

وتضم الهضبة الدروب السبعة المنسوب بعضها إلى أبي عثمان الزنجيلي على حد قول لقمان(٢) والقلاع التاريخية، وأبرزها القلعة التاريخية، وعلى تلة من تلال الهضبة، تقف كهوف البوميس المشهورة التي تنتج خلطة تتكون من حجر الخفاف، وهو زبد بركاني استخدمه أهالي عدن في البناء المعماري القديم فيها، وفي بناء الصهاريج وتجصيصها، ويشاهده الزائر ماثلًا على جدران الصهاريج، ومنها صهريج أبو سلسلة والصهريج الدائري(٣)، ويطلق عقبة على هذا النظام المنجمي

(١) وعند الويسي، اليمن الكبرى، ص١٦ (٧٠٠ متر).
(٢) تاريخ عدن، ص٢٦٣.
(٣) حنشور، عقبة، البوميس، إحدى المواد الرئيسية للبناء العمراني القديم في عدن، ص٣.

«الغرفة والعمود»، ويقول إنه استخدم كمادة إسمنتية رابطة، إلى جانب استخداماته كتجصيص لجدران الصهاريج الذي مازال عالقًا بها منذ أزمنة سحيقة.

وتتعرض هذه الكهوف اليوم لموجة من العبث والقشط المفرط، مما أدى إلى سقوط بعض أسقفها(١)، ويقف على مقربة منها برج الصمت، وهو معبد لأتباع الديانة الزرادشتية، كما تضم الهضبة مآثر مختلفة ونباتات غريبة، منها ما يستخدم في التطبيب والأدوية، وأنواعًا من الطيور والزواحف.

من جانب آخر تعرضت الدروب السبعة التي يرجح أنها شيدت في العصر الأيوبي في عدن(٢) إلى موجة من التغييرات حيث قام المهندسون البريطانيون بتغيير نظامها المحكم، وبنوا حواجز فوق الهضبة حالت دون تدفق المياه إلى المصارف الطبيعية، مما أدى إلى تعطيل النظام، وبذلك طمسوا الغرض الرئيس من بناء الصهاريج(٣). وذهب مدير الآثار في عدن أينج في ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م إلى أن المهندسين البريطانيين أهملوا هذه المصارف وخربوها، وذلك ببناء حواجز للطمي والحجارة فغاض الماء في الهضبة(٤)، كما أهملت السائلات، وشيدت عليها مصالح مختلفة وأدى ذلك كله إلى تعطيل الشبكة، ثم طمست الإصلاحات والترميمات التي شرعت فيها الإدارة البريطانية مطالع الخمسينيات عددًا من الصهاريج الضخمة، وقنوات المياه الأثرية القديمة التي ترجع بأصولها إلى مخلفات الحضارة الإسلامية في عدن.

(١) عقبة، عدن البعد التاريخي والحضاري، ص١٦١.
(٢) لقمان، تاريخ عدن، ص٢٦٣.
(٣) محيرز، صهاريج عدن، ص٧.
(٤) محيرز، صهاريج عدن، ص٦- ٧.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ومنذ عملية الترميمات والإصلاحات التي بدأها الكابتن بليفير ١٢٧٣-١٢٧٤هـ/ ١٨٥٦- ١٨٥٧م في صهاريج الطويلة، وفرغ منها في ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م، وما أحدثه المهندسون البريطانيون فيها، وانتهاء بمشروع آخر قام به ثلاثة من التجار والمقاولين من جنسيات مختلفة، تمكنت هذه الأعمال وما سبقها من طمس تاريخ الصهاريج وتعطيل نظمه القديمة مما حدا بالأستاذ عبدالله أحمد محيرز إلى القول: «إن عمل المهندسين البريطانيين على وجه التحديد كان كارثة ألمت بالهضبة والصهاريج والسائلات بعامة، وكان التنقيب فيها عشوائيًا، ولم يتخذ طابعًا علميًا موثقًا، فقد وجه البريطانيون جل عنايتهم لصهاريج الطويلة وحدها، ولم تتخذ أية إجراءات لترميم الصهاريج الواقعة خارج نطاق الوادي[١]، وبذلك أجهز هؤلاء على معالم المدينة، ونشطت قواتهم لتصفية ما بقي من آثار على أرضها وجبالها لبناء المعسكرات والثكنات والقلاع، واختفت في غضون بضع سنوات، الصهاريج التي شيدها الطاهريون[٢]، في عهدي الملك المنصور وابنه عامر بن عبد الوهاب، واختفت معها قنوات الثلاج التي أجراها عامر إلى ظاهر مدينة عدن من أماكن بعيدة[٣]، ناهيك عن صهاريج إسلامية أخرى كانت قائمة في العهود الزريعية والرسولية والتركية، كما أن إجماع الضباط السياسيين، ومن جاء بعدهم على نسبة هذه الصهاريج إلى حقبة الغزو الفارسي الثاني حوالى ٦٠٠م[٤]، كان سببًا من الأسباب التي أسهمت في عدم تعقب تاريخها وضياع معالمها.

(١) صهاريج الطويلة، ص٢٠؛ لقمان، تاريخ عدن، ص٢٦٠.
(٢) محيرز، العقبة، ص١٦- ٣٩؛ عقبة، عدن البعد التاريخي والحضاري، ص١٦٥.
(٣) ابن الديبع، الفضل المزيد، تح : شلحد، ص٣٧٢؛ وقرة العيون، تح: الأكوع، ص٤٧١.
(٤) بليفيير، تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، ص١٦-١٧؛ نورس وبنهي، صهاريج عدن مسح آثاري تاريخي، ص٢٧؛ يعقوب، ملوك شبه الجزيرة، ص٣٥٠. وأضاف يعقوب أن سلطان إيران شاه ابن جانشيد هو مشيد الصهاريج.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

**المطلب الثاني- موقع الصهاريج:**

يعد وادي الطويلة من أهم المواقع التاريخية والأثرية في مدينة عدن، حيث تقوم فيه سلسلة من الصهاريج، هي المعروفة بـ: «صهاريج الطويلة»، نسبة لوادي الطويلة، وهي الصهاريج الوحيدة التي مازالت قائمة في هذا الوادي، يأخذ بعضها برقاب بعض، وقد شُيدت في مضيق قُدّر طوله بحوالي سبعمائة وخمسين قدمًا، يكاد جبل العر شمسان[١] يحيط بها إحاطة السوار بالمعصم لولا منفذ واسع يفضي بها إلى المدينة، وتبدو في هذا الوضع وكأنها جاثمة تحت قدمي الجبل، تتلقى المياه المنحدرة من قممه، ولكنها حينما تمتلئ تفيض فتنحدر إلى قلب المدينة وتجرف كلما يقف أمامها، بيد أن تخطيط المدينة الحديث، هيأ لهذه المياه الفائضة سبلًا تنطلق عبرها إلى البحر، هي اليوم بحاجة إلى التنظيف والصيانة، فقد كادت تمتلئ بالحجارة والمخلفات الأخرى، كما أُنشئ ملعب حديث للأطفال بحذاء فم صهريج الفارسي الواقع خارج دائرة صهاريج الوادي، سيعوق لاشك تدفق وانحدار السيول، إن لم تجرفه السيول نفسها، فقد فاضت الصهاريج في أوائل عقد الثمانينات.

(١) جبل العر المعروف حاليًا باسم شمسان، هو الجبل الدائري الممتد من جبل حقات حتى الخساف، وقد جانب الأكوع الصواب حينما قال إن شمسان هو تعكر عدن، وهو المسيطر على ميناء عدن اليوم من الشمال، وعلى سفحه رصيف عدن ومدينة التواهي والمعلى الحديثتان. لقمان، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص٢٥٤- ٢٦١. وانظر: ابن الديبع، قرة العيون، تعليقات الأكوع، ص٢١٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

**صورة رقم ١**

**صهريج الفارسي أو بلبيفر**

وقد انفجر جدار هذا الصهريج المحاذي للملعب – حديث العهد –، وتدفقت المياه وأحدثت أضرارًا مادية وبشرية بمدينة عدن، ويبدو جليًّا أن هذا الموضع الذي أقيم عليه الملعب كان بمثابة فم للمسيال الممتد إلى البحر وقد اختط، كما يظهر، منذ إزالة القمامات والمخلفات من الصهاريج في عهد المقيم السياسي البريطاني الملازم بلبيفر[١]، ولم يكن هذا الاختطاط اعتباطيًا أو مفتعلاً، فهو امتداد طبيعي – فيما نظن – للوادي نفسه يدفع بالمياه الفائضة إلى البحر عبر أنفاق وسراديب ومنافذ أعيد ترميمها وإنشاؤها، على الأرجح في عهد الإدارة البريطانية، ولا يخامرني أدنى شك في أنها قديمة، إذ كان لقدامى اليمنيين، ومن جاء بعدهم من الدول الإسلامية في عدن قصب السبق في إنشائها ضمن الشبكة القديمة.

(١) كان مساعدًا للمقيم البريطاني، وهو مكتشف الصهاريج على حد قول لقمان، تاريخ عدن، ص٢٥٩.

ويقدر الدارسون[١] عدد الصهاريج في مدينة عدن وحدها بخمسين صهريجًا، طمرت الإدارة البريطانية معظمها، وبقيت مجموعة منها خربة تقع فوق بركة عنبر، وهي المعروفة بالسبعة الدروب.

أحد الدروب البديعة في الصهاريج

**المطلب الثالث- السبعة الدروب:**

وهي سدود وقنوات ترجع أصول بعضها إلى الحقبة الإسلامية في عدن، وإن طغت عليها المؤثرات الحديثة، ومنها ما أحدثه المهندسون البريطانيون من تغييرات في بنيتها الأساسية، وكانت مهمتها الأساسية صد المياه المتدفقة من هضبة

(١) Plyfair. A History -Arabia Felix or Yemen P.7 , ١
وقام كل من النوبان وباحشوان بترجمة الكتاب بعنوان: «تاريخ العربية السعيدة أو اليمن»، عن دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ١٩٩٩م، ص١٦.
Hunter.An Account of the British Settlement of Aden Arabia P, 11.
ولقمان، تاريخ عدن، ص٨٩.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

عدن، في أثناء هطول الأمطار، والحد من اندفاعها إلى شبكة الصهاريج، وعلى الأخص صهاريج الطويلة، مما حدا بالمؤرخ لقمان إلى القول: إن الذي بنى السبعة الدروب هو الأمير أبو عثمان عمر بن علي الزنجيلي(١)، وتوخيًا للأمانة العلمية يجدر بنا القول: إن المؤرخين ابن المجاور وبامخرمة، لم يشيرا إلى هذه المأثرة ضمن مآثر وإصلاحات أبي عثمان الزنجيلي(٢) الذي عرف بأعماله العمرانية والإدارية وإصلاحاته وترميماته لكثير من المعالم والمآثر القديمة(٣)، وحري بنا القول -والحال هذه- إن ثمة سدودًا أخرى شادها عامر بن عبد الوهاب في أماكن كثيرة من اليمن، واعتنى كثيرًا بوسائل الري المختلفة في البلاد، فلعله قد أسهم هو الآخر في بناء هذه الدروب، وشاد صهاريج لم يسبق إلى مثلها(٤)، وقد استفاد القدماء من شعاب جبال شمسان، وأقاموا هذه القنوات والسدود كي تنظم تدفق المياه، وتغذي الصهاريج القائمة في الطويلة والعيدروس والخساف(٥)، وتحافظ على سلامتها وسلامة المدينة من الفيضانات المفاجئة.

وأفادت الروايات، أن فوق بركة عنبر، وهي تسمية حديثة بعض الشيء(٦) توجد ثلاثة خزانات كانت مخربة، توجه المياه نحو البركة، ومنها إلى الصهاريج(٧)

(١) تاريخ عدن، ص٣٦٢.
(٢) انظر: تاريخ المستنصر، ص١٢٢-١٢٣؛ تاريخ ثغر عدن، ص١٤؛ الشجاع، الأمير الزنجيلي وأعماله العمرانية في ثغر عدن، ص٢٠- ٢٣.
(٣) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص١٤؛ لقمان، معارك حاسمة، ص٨٣؛ محيرز، العقبة، ص٣٨- ٥٦؛ العبدلي، هدية الزمن، ص٧٤؛ مجهول، قلائد الجمن، ٦٨- ٧٢.
(٤) ابن الديبع، قرة العيون، تح : الأكوع ص٤٧١؛ الفضل المزيد، تح : شلحد، ص٣٧١.
(٥) لا أثر اليوم لصهاريج العيدروس والخساف.
(٦) بركة عنبر هي سد بني في أعلى المضيق الجبلي، وهو حديث عهد شيد في سنة ١٨٥٤م لمنع الحصى والطين من الانجراف إلى صهريج أبو سلسلة. لقمان، تاريخ عدن، ٢٥٧- ٢٦٣؛ محيرز، العقبة، ص٥٧.
(٧) لقمان، تاريخ عدن، ص٢٦٣.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

التي تتجمع مياه الأمطار فيها[١].

واختلف المؤرخون في نشأة هذه السدود والأرجح أن المنظومة كلها في أصولها شيدت في حقبة محددة، فمنهم من قال إنها بنيت في القرن الخامس الميلادي، ومنهم من يعود بها إلى ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد[٢]، وهذه هي الأصول القديمة للصهاريج، ومنهم من ينسب بعضها إلى مخلفات الدول الإسلامية المتعاقبة على اليمن، ومن ذلك صهريج آل زريع، وهو صهريج ضخم، فقد قال ابن المجاور: إن السيل يقلب إليه يومين[٣]، فقد غدت عدن في عهودهم عامرة وفي عهدهم قدم أبو الحسن الضحاك، وكان أول من أظهر المقلاع فيها، وشيد الدور الحجر[٤]، كما شيدت كهوف البوميس المشهورة، وهي جزء من المنظومة على غالب الظن، والتي أسهمت في ذلك، في المدة نفسها أيضًا، واستخدمت فيها طرائق ووسائل متقنة تدل على تمكن قدامى اليمنيين من طرق الري وعمارة السدود[٥].

وأطلق بليفير على هذه السدود الخزانات المعلقة المبنية في أعالي الجبال، وأفاد أنها لم تحط بأية صيانة، فامتلأت بالحجارة والأتربة، وُسمح للأهالي باستخدام حجارتها في بناء بيوتهم فاختفت معالم الكثير منها[٦].

والظاهر أن هذه السدود السبعة التي وردت في المصادر التاريخية في إشارة مقتضبة والقائمة في الهضبة، قد غدت في وقتنا الحاضر ثمانية سدود، إذا أضفنا

(١) العبدلي، هدية الزمن، ص٢٢.
(٢) باوزير، معالم، ص٢٧٤. وراجع التقارير العلمية.
(٣) تاريخ المستبصر، ص١٣٢؛ شهاب، عدن فرض اليمن، ص١٢٠. وعبارة : (يقلب إليه يومين): أي يتدفق عليه يومين اثنين حتى يمتلئ لضخامته وسعته.
(٤) العبدلي، هدية الزمن، ص٢٣؛ مجهول، قلائد الجمن، ص٦٥.
(٥) الجرافي، المقتطف، ص٤٤.
(٦) تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، تر: النوبان وباحشوان، ص١٧ – ١٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

إليها سدود الخساف، واتخذت لها مسميات في عهد الإدارة البريطانية أو ما بعدها، وباتت ثمانية سدود لا سبعة، ومن هذه التسميات سد الصخرة، وسد العقود الثلاثة، وسد البئر، وسد الحوض الكبير، وسد المساقط، والسد العميق، ويعدها بعض الخبراء من أندر أنظمة تصريف المياه في العالم وأعظمها(١).

ومما لاشك فيه، أن جذورها الأساسية شيدت في عصور ما قبل الإسلام، أو العصور الإسلامية، وجددت في أزمنة مختلفة حتى وقتنا الحاضر، حيث قامت الجمعية الجيولوجية اليمنية برئاسة الباحث الجيولوجي معروف عقبة بعدة دراسات عنها، في حين ذهب محيرز إلى القول: إن المهندسين البريطانيين أقاموا السدود السبعة سالفة الذكر؛ لحصر الطمي والحجارة، بيد أن عملهم لم يكن متقنًا، فقد أدى إلى حجز الماء، وتسلله إلى باطن الجبل(٢)، ولعل وصف ابن المجاور لها بالصرائف(٣) دليل على أنها تقوم بتصريف وتوجيه المياه إلى المزارع والكرفان والصهاريج، على حد قول محيرز، وقد نفى شهاب ذلك، وفسر لفظة الصرائف تفسيرًا ينقض رأي محيرز(٤).

**المطلب الرابع- الصهاريج الإسلامية في منظومة صهاريج الطويلة وخارجها:**

ليس لدى أهالي عدن دليل على أن ثمة صهاريج شيدها الرسوليون في عدن، وذلك بعد الترميمات التي قامت بها الإدارة البريطانية، وطمست معظم معالم هذه المآثر، وإطلاق مسميات أخرى عليها مثل صهريج كوجلان وبليفير والفارسي، وظهور مسميات أخرى مستحدثة كأبي سلسلة وأبي عجلة وسواها.

(١) الفراص سالم، عدن بوابة القرن الحادي والعشرون، ٢٢- ٢٧.
(٢) صهاريج عدن، ص٦١.
(٣) تاريخ المستبصر، ص١١٧؛ محيرز، صهاريج عدن، ص٦١؛ الشعيبي، اليمن الظواهر الطبيعية والمعالم الأثرية، ص٥٣.
(٤) عدن فرضة اليمن، ص٥٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

وتجدر الإشارة إلى أن أهالي عدن ينسبون هذه الصهاريج إلى الغساسنة[١]، فقد نُسب إليهم كل ما هو معجز وقديم كالصهاريج والآبار والقلاع والدروب[٢]، لكن الخلط الذي أوقعنا فيه بليفير وهنتر ومن لف لفهما والمسميات الإنجليزية التي أطلقوها على الصهاريج جعلت غير واحد من الباحثين لم يتثبت من صحة نسبتها إلى الدول الإسلامية المتعاقبة على عدن، فهذا لقمان يعتقد أن صهريج الفارسي ربما بني في عهد الدولة الرسولية ٦٢٠- ٨٥٨هـ/ ١٢٢٣- ١٤٥٤م أو في عهد الدولة الطاهرية ٨٥٥- ٩٢٣هـ/ ١٤٥١- ١٥١٧م[٣] وسمي بالفارسي؛ لأنه يقف قبالة معبد الفارسي، أو لأن كاوسجي دنشو كان يقوم بتنظيفه وتطهيره من القمامات والأتربة. وذكر المؤرخون أن الطاهريين شيدوا عددًا من الصهاريج والسدود[٤]، ومنها صهريج أبو قبة ذو الطابع الإسلامي الذي يقف على يمين القادم إلى صهاريج الطويلة، فجزء منه مغطى بقبة تشبه قباب المساجد، ولعل بانيه يرقد تحت هذه القبة، وامتاز بجدرانه العالية التي تحيط به، وعلل لقمان ذلك بالقول: إنه يدل على أن سيدات الطبقة الحاكمة كن يزرن الصهريج للزيارة والاستحمام، ثم يذهب مذهبًا آخر فيقول إنها لعلها بنيت في عهد الدولة الرسولية.

لقد اعتنى الرسوليون والطاهريون بقنوات المياه وشبكاتها فشيد عامر بن عبدالوهاب قناة مبنية من الحجارة والجصّ في قرية المباءة، تمتد من نحو سبعة أميال تحت جبال عدن، لتزويد أهالي عدن بالمياه النقية في ظل شحة المياه في المدينة، وشيد خزانًا كبيرًا، وأجرى الثلاج إلى ظاهر المدينة[٥]، وابتنى صهريجًا عظيمًا بعدن

(١) والمراد بهم آل رسول حكام اليمن في القرن السابع الهجري، ولا يزال اسم بني غسان حيًّا إلى يومنا هذا على ألسنة العامة في اليمن. شهاب، عدن فرضة اليمن، ص١٦٤.
(٢) محيرز، العقبة، ص١٥٦.
(٣) تاريخ عدن، ص١١٠، ٢٦٢- ٢٦٣.
(٤) راجع كتب ابن الديبع: القرة والفضل، والبغية، وسواها.
(٥) ابن الديبع، قرة العيون، تح : الأكوع، ص٤٧١؛ الفضل المزيد، تح: شلحد، ص٣٧٢.

لم يسبق إلى مثله، وظلت هذه القناة قائمة حتى ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م[١]، ووصفها هينس محددًا مقاساتها على النحو الآتي: الطول: ١٦/ ٣٢٠ ياردة، والعمق: ١٩ بوصة، والعرض ١٦ بوصة، وهي مبنية بالطوب والحجارة، ويجرى الماء في القناة من آبار بستان أمحيط الواقعة إلى الشمال من مدينة دار سعد[٢].

ومما يجدر ذكره أن هذه المجموعة من الصهاريج هي الماثلة أمامنا في قلب الوادي ضمن اثني عشر صهريجًا عند بعض الدارسين[٣]، وثمانية عشر عند بعضهم الآخر وهي - فيما يبدو- أكبر صهاريج الوادي[٤]، وتتسع بمجملها لحوالي عشرين مليون جالون من مياه الأمطار[٥]، وثمة صهاريج إسلامية في المدينة وضواحيها، منها صهريج نسب لآل زريع حكام عدن في القرن الخامس الهجري، شيد في الزعفران على مقربة من لحف جبل الأحمر[٦]، وشاد الطاهريون عدة صهاريج، أبرزها: صهريج عظيم بالمبأة[٧]، وآبار وسدود في أماكن مختلفة وصحارى وفلوات[٨]،

(١) شهاب، عدن فرضة اليمن، ص١٩٦.
(٢) شهاب، عدن فرضة اليمن، ص١٩٦.
(٣) لقمان، تاريخ عدن، ص٢٥٨.
(٤) ميان، تقرير عن الصهاريج مسودة.
(٥) وورد في بلييفر، تاريخ العربية السعيدة، تر: النوبان وباحشوان، ثلاثين مليون جالون، ص١٦؛ لقمان، تاريخ عدن، ص٢٥٩؛ بريان دو، جنوب الجزيرة العربية، ص٨٩.
(٦) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٣٢. وجبل الأحمر: هو التل الصغير الذي يفصل وادي العيدروس عن وادي الطويلة، وتقع عليه الآن مباني شرطة عدن. محيرز، صهاريج عدن، ص١٥.
(٧) المبأة : بفتح الميم والموحدة، قرية صغيرة تحت عدن، بينها وبين عدن ربع فرسخ. بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص١٨؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٢٦؛ العبدلي، هدية الزمن، ص٢١؛ الشعيبي، اليمن، الظواهر الطبيعية والمعالم الأثرية، ص٥١- ٥٣. ويرى محيرز أن فرضة المعلا ودكة الكباش تقف على أنقاضها. العقبة، ص٣٩، ٤٨، ٦٣.
(٨) ابن الديبع، الفضل المزيد، ت: شلحذ، ص٣٧٢.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وصهريج ضخم آخر مقابل مجمع البنوك في عدن القديمة كريتر، وفي أحد وديانها المتعددة، وعرف بصهريج القديسة ماريا؛ لأنه قبالة كنيسة القديسة ماريا أو مريم البروتستانية التي شادها الإنجليز ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م[١]، وهو جزء من الطمس الذي مارسته الإدارة البريطانية وقتئذ للمعالم الإسلامية في المدينة، وبنى المنصور عددًا آخر من الصهاريج والآبار والسدود في أماكن مختلفة[٢]، وشاهد المقدسي ت: ٣٨١هـ / ٩٩١م عددًا من هذه الصهاريج الإسلامية في عدن، أطلق عليها أحواضًا، مما يؤكد وجودها في القرن الرابع الهجري[٣]، مثله مثل الهمداني الذي أسماها بؤرًا حفرًا[٤]، في حين أطلق عليها ابن بطوطة صهاريج[٥]، وشيدت عدد من الصهاريج الإسلامية في عصر الدولة الرسولية في مرحلة الصراعات التي احتدمت بين آل رسول أنفسهم، لاسيما فيما بين عهدي المجاهد الرسولي ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م والطاهر الرسولي ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م، حيث كانت الحاجة ملحة لخزن مزيد من المياه، وهذا ما حدا بأهل عدن نسبتها إلى بني غسان[٦].

وقد شيدها الأقدمون في هذا المضيق لخزن المياه المنحدرة من قمم الجبال[٧]، واستخدامها للشرب، وقضاء الحاجات أيام القيظ[٨]، ومن الطبيعي أنها كانت تستخدم أيضًا في ري الوادي، وإن لم تسعفّنا المصادر التي بين أيدينا بشيء له

(١) محيرز، العقبة، ص٣٩.
(٢) محيرز، العقبة، ص١٢٩.
(٣) أحسن التقاسيم، ص٨٥.
(٤) صفة جزيرة العرب، ص٩٤؛ السياغي، معالم الآثار اليمنية، ص١١٦.
(٥) الرحلة، ص٢٤٤.
(٦) محيرز، صهاريج عدن، ص١٦.
(٧) Ingrams.Arabia And Isles P.11 -12. وبلييفر، تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، تر: النوبان وباحشوان، ص١٧.
(٨) لقمان، تاريخ عدن، ص٢٥٩.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

علاقة بهذا الأمر، إلا أنها تجمع على أن مدينة عدن كانت شحيحة المياه، وأن تموينات المياه كانت تأتي من مسيرة يوم واحد[١]، ولكن الاعتقاد السائد لدى بعض المؤرخين اليمنيين أنها تأتي من الحسوة الواقعة شمال غربي مدينة عدن[٢]، وقد يصعب حصول الأهالي عليها إذا منعها الأعراب والبدو عليهم، وربما اضطروا إلى مصانعتهم[٣]، ولهذا يبدو أن شحة المياه في المدينة هي التي حفزت الأسلاف على تشييد هذه الصهاريج التي كانت تزود مدينة عدن بالمياه حتى ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م [٤].

وقد استخدم الأتراك مياهها للشرب عند احتلالهم اليمن[٥]، واضطر أهالي عدن في عهد الاستعمار البريطاني إلى استخدام هذه المياه أيضًا للشرب والاستحمام على أثر الحصار الذي ضربه المستعمرون البريطانيون على مدينة عدن.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الصهاريج ساعدت إلى حد ما على حماية مدينة عدن من الفيضانات والسيول، ولكن قد يحدث العكس أحيانًا فتفيض وتنحدر مياهها إلى المدينة وتحدث أضرارًا مختلفة.

وغدت هذه المشكلة – مشكلة شحة المياه – عائقًا في سبيل تطور الحياة المعيشية في مدينة عدن بصفة خاصة، ولهذا اضطر الأهالي ولاسيما الميسورين منهم إلى حفر الآبار التي نسبت إلى أصحابها، أمثال: بئر أحمد بن المسيب،

(١) العظم، رحلة في البلاد العربية السعيدة ١- ١٧؛ القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ص٣٦٤.
(٢) العبدلي، هدية الزمن، ص١٧.
(٣) ابن بطوطه، الرحلة، ص٢٥١؛ العبدلي، هدية الزمن، ص٢٢.
(٤) رونالد ليوكوك (التقرير) مسودة، ص٨.
(٥) ingrams -Araia and Isles P.11.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

وبئر العقلاني، وبئر السلامي[١]، وبئر علي بن أبي البركات، وبئر زعفران التي ينقل ماؤها إلى سائر بلاد اليمن لعذوبته[٢] وغيرها، وثمة أبار غلبت عليها الملوحة لعلها كانت تستخدم للاستحمام وقضاء الحاجات الأخرى، بعضها كان في قلب المدينة، والبعض الآخر كان على مقربة من البحر كبئر باب مكسور[٣]، وبئر مسجد أبان[٤].

وصفوة القول، إن بناة الصهاريج تنبهوا إلى هذه المشكلة قبل مئات السنين، وشيدوا هذه الخزانات لحفظ مياه الأمطار التي تهطل على مدينة عدن، ولا يستبعد أن تكون هي المورد الوحيد لشربهم في موضع تندر فيه المياه في تلك العهود السحيقة.

وتتدفق هذه المياه على «السبعة الدروب» أو الصهاريج المعلقة، فبركة عنبر ومنها تنحدر إلى الصهريج الأول المعروف بـ«أبو سلسلة»[٥] الذي لا تنضب مياهه كما هو الحال في الصهاريج الأخرى، ثم ينساب الماء إلى الصهريج الثاني، فيمر عبر قنوات ليصب في عدد من الصهاريج يأخذ بعضها برقاب بعض حتى يصل إلى الصهريج الكبير المسمى: «أبو عجلة» الواقع في قلب الوادي.

(١) لقمان، تاريخ عدن، ص١٣٣. ويذكر شهاب أن هذه الآبار حفرت في القرن السابع الهجري، وعلى النحو الآتي: بئر أحمد بن المسيب حفرت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، بئر العقلاني حفرت ٦١٥هـ/ ١٢١٨م، بئر السلامي حفرت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م. عدن فرضة اليمن، ص١٥٢.

(٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٣١؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ١ / ٤٩.

(٣) ٧- أحد الأبواب التي ركبت على سور عدن القديم.

(٤) لقمان، تاريخ عدن، ص١٣٢؛ العبدلي، هدية الزمن، ص١٦.

(٥) ١- هي تسميةً حديثة نسبيًّا أطلقت على أول الصهاريج الذي يتخذ شكل سلسلة، وهو صهريج علوي لا ينضب، تفيض عليه المياه من بركة عنبر.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

**صورة رقم ٣**

**صهريج أبو سلسلة**

## المبحث الثاني

## صهاريج الطويلة

**المطلب الأول- الصهاريج القائمة في وادي الطويلة:**

ثم ينطلق الماء عبر منفذ واسع بنى بشكل محكم وأخاذ ليصب في الصهاريج الثلاثة الباقية، وأحدها يقع خارج دائرة صهاريج الوادي وهو المعروف بـ صهريج الفارسي[١]، وهو كما أشرنا فيما تقدم أنه من مخلفات الدولة الرسولية أو الطاهرية على غالب الظن، وثمة صهريجان اثنان يقعان في الجانب الأيمن من الجبل، يتلقفان المياه من الشقوق والمنحدرات المختلفة أحدهما يعرف بصهريج كوجلان، وهو

(١) يعتقد أنه سمي بالفارسي لأنه يواجه معبد الفرس، أو لأن التاجر الفارسي كاوسجي دنشو قام بتنظيفه من الأتربة والقمامات التي كانت تملأه. لقمان، تاريخ عدن، ص٢٦٣.

حديث عهد، ويحتمل أيضًا أنه من مخلفات إحدى الدول الإسلامية المتعاقبة على اليمن، والآخر يعرف بأبو قبة الأرجح أنه ينسب إلى الدولة الطاهرية[١].

**صورة رقم ٤ صهريج أبو قبة**

**المطلب الثاني- المتغيرات التي طرأت عليها:**

ويذكر بعض الدارسين الآثاريين أن توزيع صهاريج الطويلة بالشكل سالف الذكر، يجانب الصواب بعض الشيء، فالتسميات التي أُطلقت على الصهاريج الحديثة العهد، ربما أُطلقت في فترة بليفر، مثل صهريج أبو عجلة، وأبو سلسلة

(١) لقمان، تاريخ عدن ص٢٦٢؛ ميان، (التقرير) مسودة، ص١٤. ولعل صهريج (أبو قبة) هو من مخلفات العصر الطاهري، فقد ذكر ابن الديبع أن الظافر عامر بن عبدالوهاب بنى صهريجًا عظيمًا في عدن لم يسبق مثله. الفضل المزيد، ص٢٩٠ – ٢٩١. وحينما اكتشف هذا الصهريج وجدت كتابات تحت الخرابة باللغة العربية، ويعتقد أن باني الصهريج مقبور تحت القبة. لقمان، تاريخ عدن، ص٢٦٢.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

وغيرهما، وقد ذهب هؤلاء الدارسون إلى الاعتقاد أن معظم الصهاريج القائمة في وسط الوادي مثل: أبو عجلة مستحدثة، استحدثها بلييفر لحفظ أكبر كمية من المياه، وأورد تعليلًا قائلًا: إن تدفق المياه من السبعة الدروب[١] يحمل معه الحجارة والطمي اللذين يعيقان تدفق المياه، ومن ثم يؤديان إلى تراكم الأنقاض والأتربة في قيعان الصهاريج، بحيث تغدو هذه الصهاريج غير صالحة للاستعمال.

وأن الطريقة الصحيحة لتوزيع المياه في الصهاريج، تتم عبر تدفق المياه من الجبال والشقوق المختلفة، فتتلقفها الصهاريج الجانبية الواقعة على امتداد جهتي الجبل[٢]، وهي الصهاريج الأصلية التي تعود بأصولها إلى العهود الحميرية كما يعتقد بعض الدارسين الآثاريين.

ولا شك أن هذا الاستنتاج ينقض الآراء السابقة في هذا الصدد، وينفي التوزيع القديم للصهاريج، على أن صهريج أبو عجلة الواقع في وسط الوادي، يؤكد بما لا يدع مجالا للشك - من حيث بناؤه - أنه خزان قديم وليس مستحدثًا، فالحجارة، والتجصيص، ونوعية البناء، ووضعه اللائق كل ذلك يؤكد صحة ما ذهبنا إليه.

وكيفما كان الحال، فقد تعرضت كل هذه الصهاريج، بما في ذلك الصهاريج الواقعة خارج دائرة صهاريج الطويلة - والتي سوف نأتي على ذكر بعضها - تعرضت لتغييرات واستحداثات مختلفة، وأشرنا إلى بعضها في سياق حديثنا عن إصلاحات بلييفر للصهاريج.

(١) هي مجموعة من القنوات التي تحتجز الحجارة والطمي في أثناء تدفق مياه السيول إلى القنوات والصهاريج الأخرى. محيرز، صهاريج عدن، ص٧٠. وللأيوبيين يد في بناء بعضها وترميمها ، إذ يقال إن أبا عثمان عمر بن علي الزنجيلي هو الذي ابتناها، وقد قامت الجمعية الجيولوجية في عدن برئاسة الباحث الجيولوجي المهندس معروف عقبة بجهود مثمرة في هذا الصدد في الآونة الأخيرة.

(٢) محيرز، صهاريج عدن، ص٥٥- ٥٧.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

كما أفادت تقارير الخبراء أنه تم أنشاء سد في الصهريج المطل على صهريج أبو سلسلة حال دون تسرب الحجارة والقمامات إلى الصهاريج الأخرى(١)، كما قامت الجهات المختصة في عدن وقتذاك بتجصيص قنوات المياه، وأدخلت إصلاحات دخيلة لا تمت بصلة إلى الأثر، هذا إلى جانب تشييد عدد آخر من الصهاريج المستحدثة، شيدتها الإدارة العسكرية البريطانية، وذلك نتيجة شحة المياه في مدينة عدن، منها صهريج وادي الخساف الذي أُنشيء ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، وصهريج القديسة ماريا الواقع على مقربة من كنيسة ماريا في عدن(٢).

الجدير بالذكر أن هذه الكنيسة هي التي تقف الآن على تلة في طرف من أطراف الجبل الأخضر بمدينة عدن(٣)، في الطريق المؤدية إلي مجمّع المحاكم، وحلّ محلها في ما تقدم من العقود الماضيات المجلس التشريعي، والأرجح أن صهريج الكنيسة يقف أيضًا على مقربة منها، وثمة صهريج آخر يقع خلف الكنيسة القائمة في صحن ثانوية أبان(٤)، ومعبد هندوسي قديم وكلا الأثرين اختفيا تمامًا(٥).

ويبدو واضحًا أن كلا العملين قام بهما المبشرون البريطانيون بعدن، بيد أن شهاب يذكر أن مؤسسي كنيسة ماري الكاثوليكية مبشرون غير بريطانيين(٦).

(١) محيرز، صهاريج عدن ص٧٠.
(٢) لاشك أن هذا الصهريج قد اندثر اليوم ولا وجود له، أما الكنيسة فهي مازالت قائمة على تلة في جبل المنصوري قبالة البنك الأهلي اليمني في شارع أروى بعدن.
(٣) ويطلق عليه جبل المنصوري.
(٤) كنيسة القديس يوسف الكاثوليكية التي شيدت في القرن التاسع عشر في عدن القديمة (كريتر)، وتقف في شارع أروى على مقربة من جامع أبان التاريخي.
(٥) هذه الرواية تعوزها الأدلة والقرائن.
(٦) مقابلة مع حسن صالح شهاب ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، الباحث بمركز الأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، اليمن، عدن.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

كما شُيد صهريج ثالث على التل المشرف على مقبرة اليهود بالمعلا، ورابع في منطقة حجيف، في مفترق الطرق بين المعلا والتواهي[١].

ويشير بلييفر في تقريره إلى وجود صهريجين آخرين، أحدهما في وادي العيدروس والآخر خلف مركز شرطة عدن القديم[٢]، لعلهما اللذان أشار إليهما ابن المجاور بقوله: «والصهريج عمارة الفرس عند بئر زعفران، والثاني عمارة بني زريع على طريق الزعفران أيمن الدرب في لحف جبل الأحمر»[٣]. والأخير يُعد من المآثر الإسلامية في عدن، وكلا الأثرين قد اندثرا.

وفي منتصف القرن العاشر الهجري، وبالتحديد في ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، وصف أحد أفراد حملة سليمان باشا الأرناؤوطي على عدن، هذه الصهاريج بأن ماءها كله من الأمطار، يحفظ في حفر، وصهاريج يبلغ عمقها مائة قامة[٤]، وقد بدأ تدهور هذه الصهاريج من القرن العاشر الهجري، ثم تركت لتتدهور وتختفي[٥]، وفي هذه المدة شيد الأتراك صهاريج كانت مطلية بالجص والرخام، وعليها قباب رائعة[٦]، وعلى الجملة، فقد اختفت وتلاشت ولم يعتن بمثيلات لها مازالت قائمة في وادي الطويلة في وقتنا الحاضر[٧]، وحلت محلها تشييدات ومنشآت أخرى، ويغلب

(١) «مسودة تقرير» Norri، Reportor on Aden Tanks Historeal and orcheological
(٢) Playfair A history Arabia Felix or yemen
(٣) تاريخ المستبصر، ص١٢٢.
(٤) محيرز، صهاريج عدن، ص١٧. وذكر بلييفر في تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، تر: النوبان وباحشوان، ص١٦، أن أحد الفنيين الأتراك عزى الصهاريج للأتراك، لكن بلييفر ينفي صحة ذلك، أما محيرز في صهاريج عدن، ص١٧ فيصف هذا الفن بالبندقي.
(٥) محيرز، صهاريج عدن، ص١٩
(٦) محيرز، صهاريج عدن، ص٤٠
(٧) انظر: لقمان، تاريخ عدن، ص٢٦٠؛ محيرز، صهاريج عدن، ص٦٨؛ عقبة، عدن البعد التاريخي والحضاري، ص١٦٥.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

على الظن أن بعض آبار عدن، لاسيما المحفورة في الجبال مثل: البئر المعروفة ببئر الهرامسة، أو في بر والتي دارت حولها أساطير مختلفة أتى على ذكرها ابن المجاور[١]، وبامخرمة[٢] هي عبارة عن صهريج استخدمه القاطنون في القلعة من الحامية وغيرهم للشرب، وقضاء الحاجات الأخرى، فقد ذكر شيرنسكي أن هذا الموضع يعد مأوى للإقامة[٣]، وبالجملة فهنالك عدد كبير من الصهاريج لم نقف عليه، بل لم تقف عليه البعثات الاستكشافية الآثارية. فلعلها مآثر إسلامية شيدت في عهود الدول الإسلامية المتعاقبة على عدن، وقد أسهمت الترميمات البريطانية لبعض منها في اختفاء معالمها الإسلامية الأصلية، وقد دعونا في الثمانينات من القرن الفائت إلى إجراء تنقيب شامل في بعض المناطق الأثرية في عدن مثل: جزيرة صيرة، ومنطقة الصهاريج، ومواضع البغد والأنفاق، ومنطقة المنارة في شارع أروى، كما دعا الخبير الروسي شيرنسكي إلى إجراء تنقيبات في منطقة صيرة والقلعة، وكل تلك الدعوات ذهبت أدراج الرياح، ولم تلق صدى لدى المسؤولين والمختصين.

**المطلب الثالث- تاريخ بناء الصهاريج:**

ولم يعثر الدارسون الآثاريون على دليل كتابي أو مدونة مسندية تثبت تاريخ بناء هذه الصهاريج، ولهذا تفاوتت أراء الدارسين بهذا الصدد تفاوتًا بينًا، ولم تستند إلى قرائن علمية، فمنهم من قال: إنها من صنع سليمان أو من مآثر الكلدانيين في اليمن[٤]، ومنهم من ذهب إلى القول: إنها من أعمال الإسكندر المقدوني، أو شداد بن عاد، أو إنها تعود إلى العصر الحميري، وقد اعتقد بعضهم الآخر أنها شيدت أو

(١) تاريخ المستبصر، ص١١١.
(٢) تاريخ ثغر عدن، ص١٧، ٢٩ - ٣٠.
(٣) شيرنسكي، أضواء على الآثار اليمنية، ص١٧.
(٤) فتاة الجزيرة، العدد (٥٠٢)، سنة ١٩٥٠م، ص٢٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

رُممت في أثناء الغزو الفارسي لليمن في حدود ٥٧٥م[١] أو ٦٠٠م في رواية أخرى، أو ترجع إلى العصرين الرسولي[٢]، أو الطاهري[٣]، أو الدول الإسلامية الأخرى المتعاقبة على اليمن.

وبديهي أنه ليس صحيحًا الأخذ بكل هذه الآراء لاسيما تلك التي تنسب بناء الصهاريج إلى الملك سليمان، أو الكلدانيين، أو الإسكندر المقدوني، أو شداد بن عاد لخلوها من الدقة وربما الصحة أيضًا، فهي ضرب من الروايات الإخبارية لا تؤكدها الدلائل العلمية، وقد فنّد بعضَها بعضُ الدارسين، ولسنا في حاجة إلى أن نعرض لهذا التفصيل، غير أننا نود أن نخلص من هذا كله إلى أن الدراسات الميدانية الحديثة[٤] المستندة إلى الموازنات العلمية الدقيقة بين التشييدات والمآثر المماثلة، والظواهر الطبيعية، ووسائل البناء تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الحميريين هم بناة الصهاريج الأصلية، التي طرأت عليها تغييرات مختلفة على مر الغداة وكر العشي، بحيث انطمست معالمها الحقيقية، وانمحت أصولها الطبيعية، وعلى الأخص في عهد الإدارة البريطانية.

وقد تم ذلك بموازنة هذه المآثر بمآثر أخرى مماثلة من النمط نفسه في جنوب الجزيرة، والتي تفيدنا بتشييد عمران مماثل في البلاد في القرون الأخيرة قبل

(١) بريان دو، جنوب الجزيرة العربية، ص٨٩؛ ورونالد ليوكوك وروجر صيدح، التقرير ٨.

Hunter - An A ccount of British Settlement of Aden in Arabia p. 11- 12.

In grams Arabia and Isles p. 89.

(٢) لقمان، تاريخ عدن، ص٢٦٢.

(٣) In grams -3. Arabia and Isles p. 89 الأكوع، محمد علي، اليمن الخضراء، ص٨٦. وصوت الجنوب، العدد (١٥)، ١٩٦٦م؛ فتاة الجزيرة، سنة ١٩٥٠م، العدد (٥٠٢)، ص٩؛ وسنة ١٩٤٣، العدد (١٩٥)، ص٦؛ وميان (التقرير).

(٤) شيرنسكي، أضواء على الآثار اليمنية، ص١٦؛ وميان (التقرير) مسودة غير مرقمة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

الميلاد[١]، وأكدت الشواهد والمعاينات أن هناك صهاريج مماثلة في مدينة ذمار[٢]، وحضرموت والضالع وبيحان، قد استخدمت فيها وسائل البناء نفسها المستخدمة في بناء صهاريج الطويلة كالأحجار المصقولة المشذبة ومعجون المرمر الناعم «التجصيص».

واستنادًا إلى هذه الشواهد يرجّح عالم الآثار المهندس باوين أن صهاريج الطويلة الأصلية بنيت قبل الميلاد[٣]، ويرى بعض الدارسين أنها شيدت في نهاية الألف الأول قبل الميلاد باستثناء بعض الصهاريج مثل السبعة الدروب التي شيد بعضها في العصر الأيوبي، وصهريج الفارسي[٤]، وصهريج أبو قبة، وصهاريج أخرى أتينا على ذكرها فيما تقدم.

ونلاحظ أن كل هذه الصهاريج تعرضت - كما أسلفنا - لتغييرات كثيرة بفعل القدم والمناخ والتعرية والإهمال، والعوامل الفيزيائية والكيمياوية والالكتروكيماوية للماء كما يقول الخبير ميان[٥]، بحيث انمحت معالمها المهمة، فما بالك بتلك التي ابتناها الحميريون.

**المطلب الرابع- وضعية الصهاريج إلى ما قبل ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م:**

بيد أن بعض الدارسين يذكر أن الصهاريج كانت في حالة جيدة حينما زارها المستر سولت ١٢٢٤هـ /١٨٠٩م، وظلت على هذه الحال إلى

(١) شيرنسكي، أضواء على الآثار اليمنية، ص١٦.
(٢) ميان (التقرير).
(٣) قصاصات متناثرة عن تاريخ الصهاريج، ويرى المهندس باوين أن صهاريج الطويلة، وحصن الغراب بنيا قبل الميلاد، في حين يرى الخبير ميان أنها بنيت في القرن الأول الميلادي، بناها الحميريون (التقرير).
(٤) لعله سمي بذلك لأنه يواجه معبد الفارسي.
(٥) ميان (التقرير).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م[١]، حيث وصفها الكابتن هينس الذي قدم إلى عدن في العام نفسه ضمن البعثة الاستكشافية التجسسية التي طافت حول الساحل العربي، وصفها بأنها: «تبدو في حالة جيدة»[٢]، أما تلك الصهاريج المعلقة المعروفة بالسبعة الدروب، فمن الطبيعي أنها حظيت بعناية ورعاية الجهات المعنية في تلك العهود التي عملت على تنظيفها وترميمها، ثم أهملت بعد ذلك فتراكمت الحجارة والأتربة فيها بفعل الرياح وعوامل التعرية المختلفة، ولم تحظ بأية عناية، فقد استخدم الأهالي أحجار الصهاريج المعلقة في بناء منازلهم بإذن من الإدارة العسكرية البريطانية.

وفي سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م تنبه الكابتن بلييفر إلى حالتها السيئة فعمل على تنظيفها وترميمها وتسويرها بحيث اختفت معالمها الأساسية، وغدت على النحو الذي نراه اليوم، وقد بدأت عملية التنظيف والترميم منذ سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، واستمرت إلى سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، كما يقول لقمان[٣]، غير أن مشروعه اقتصر على صهاريج الوادي وحدها، فلم يمس المشروع الصهاريج المعلقة، ولا تلك المطمورة التي تربو على أربعين صهريجًا.

والاعتقاد السائد لدى بعض الدراسين، أن صهاريج الطويلة كانت مطمورة تمامًا، وأن الفضل في اكتشافها يعود إلى الكابتن بلييفر، وقد استنتجوا هذا لاشك من مؤلفه تاريخ العربية السعيدة أو اليمن سالف الذكر، الذي بسط فيه الحديث عن حال الصهاريج ما قبل سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م وما طرأ عليها من تغيرات بفعل عوامل التعرية والإهمال، وكذا من خلال اللوحة الحجرية المثبتة في صخرة عند مدخل صهريج أبو عجلة، التي دوّن عليها هي الأخرى اكتشافه الصهاريج، وقد

(١) بلييفر، تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، تر: النوبان وباحشوان، ص١٦ – ١٧.

(٢) Hunter.An Account of the British Settlement of Aden Arabia P, 11.

(٣) تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص٢٦٠ – ٢٦١.

سبق أن أشار الكابتن هنس إلى أن هذه الصهاريج كانت في حالة جيدة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م وحتى ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م، ويستبعد أن تطمر تمامًا خلال عقدين من الزمان.

**صورة رقم ٥**
**الصهريج المدور**

ومن الطبيعي أنها تعرضت لحملات متتالية من التنظيف والصيانة وإزالة ما تراكم فيها من مخلفات السيول، والعوامل الطبيعية المختلفة، إلا أن أحدًا لم يسجل نتائج هذه الحملات باستثناء حملة التطهير التي قام بها التاجر الفارسي كاوسجي انشون للصهريج المعروف بالفارسي الذي يقف بمحاذاة ملعب الأطفال الحديث، فقد أشار إليها لقمان[1]، ولا شك أن هناك حملات أخرى مماثلة قامت بها الإدارات المعنية بصيانة المآثر؛ إلا إننا لم نقف عليها لأن أحدًا لم يدونها. والحقيقة، فإن

(١) تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ص٢٥٩-٢٦٣.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

معظم المخلفات من طمي وأتربة وحجارة تتراكم بسبب تدفق السيول من القمم، لأنها تجرف معها المخلفات المتراكمة في الصهاريج المعلقة المعروفة بالسبعة الدروب، هذا إلى جانب عوامل التعرية المختلفة والإهمال وعبث الإنسان.

**صورة رقم ٦**
**قنوات بين الصهاريج**

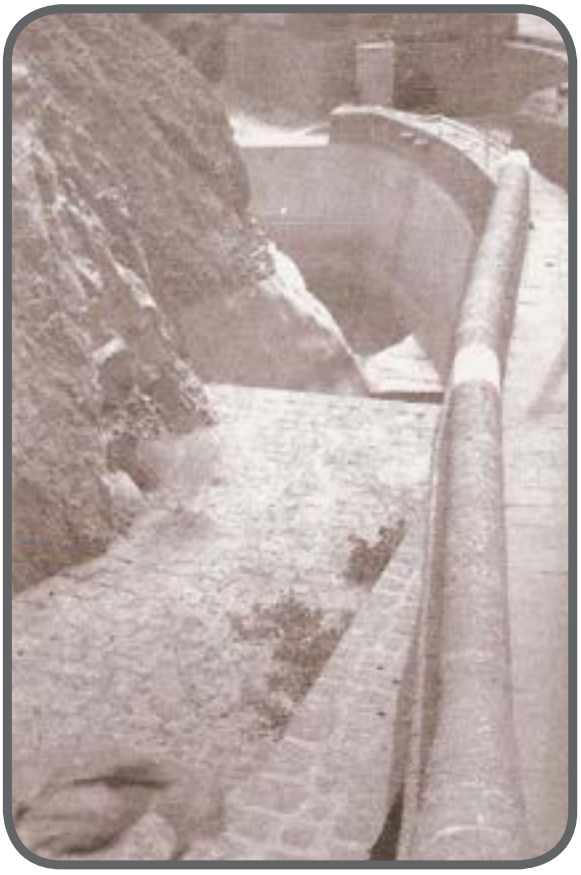

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

## المبحث الثالث

## مشروع صيانة الصهاريج

### المطلب الأول- السيول التي اجتاحت مدينة عدن وفيضان الصهاريج:

كما فعلت عوامل التعرية والإهمال فعلهما بالصهاريج، فقد كان للسيول كما أشرت دورها الفعال أيضًا بما تخلفه من أتربة وطمي وحجارة في أرضيات الصهاريج، حيث يُحدث هذا إضرارًا في أرضياتها وجدرانها، ويؤدي من ناحية أخرى إلى غرق بعض الأطفال والشباب في مواسم الإمطار، وقد يؤدي فيضانها إلى هدم البيوت وهلاك الناس، وذكر ابن الديبع: «أنه حصل مطر غزير بمدينة عدن ولحج وأبين وغيرها في سنة ست عشرة وتسعمائة امتلأت منه الصهاريج حتى تفجرت وانهارت بعض بيوت الحجر وهلك بعض الناس»[١].

وامتلأت الصهاريج وفاضت بالمياه في أوائل عقد الأربعينيات من هذا القرن، وتدفقت مياهها إلى المدينة، وجرفت عددًا من البيوت والجمال، وحدث هذا في عقد السبعينيات والثمانينيات حيث تفجرت، وأحدث تدفقها وانسيابها فجوة في صهريج الفارسي، واجتاحت سيولها المدينة وجرفت العربات، وأغرقت بعض الناس، وكادت بعض أحياء عدن أن تغرق جراء ذلك، لولا الأنفاق والسراديب التي ساعدت على تسرب المياه إلى البحر.

وفي مثل هذه الأحوال تتراكم الرواسب والنفايات في قيعان الصهاريج، ويتعرض الصبية والشباب للغرق في الوحل والطمي المتراكم[٢]، ففي شهر مارس من ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م غرق طفل يبلغ من العمر اثني عشر عامًا كما أشارت بعض التقارير[٣].

(١) الفضل المزيد، ص٣٢٣.
(٢) أشار ليكوك في تقريره أن الطمي في الصهريج الكبير بلغ ثمانية أقدام.
(٣) يلقى معظم الغرقى حتفهم في صهريجي أبو سلسلة وأبو عجلة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

كما لقي عدد آخر من الشباب والأطفال حتفهم غرقًا في صهريج أبو عجلة الذي يمتلئ في موسم الأمطار، بحيث يغدو بركة صالحة للسباحة في نظر الصبية، ولم يستطع أحد إنقاذهم نتيجة تراكم الطمي والأتربة في أرضيته.

**صورة رقم ٧**

**الصهريج المدور**

**المطلب الثاني- ما خلصت إليه بعض الدراسات الأثرية:**

سعت الحكومة فيما تقدم من السنين، ممثلة بوزارة الثقافة والإعلام والمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف جاهدة إلى تحديث صهاريج عدن التاريخية وتطويرها، وقد استقطبت عددًا من خبراء الصيانة، وعلماء الآثار لدراسة المعالم الأثرية والتاريخية في اليمن، بما في ذلك الصهاريج التي تُعد أكبر هذه المعالم وأبرزها بمدينة عدن، ومن هؤلاء الخبراء رونالد ليوكوك وروجر صيدح اللذان قدما إلى عدن في ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م، وقاما بعدة رحلات أثرية إلى أهم

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

المدن والمواقع التاريخية والأثرية ورفعا تقريرًا استشاريًا، أشارا فيه إلى أهمية هذا المعلم الذي نحن بصدد درسه، ودعوا إلى إعادة ترميمه على وفق الطرائق العلمية التي يجب أن تحفظ الأثر الأصلي للمعلم، على أن تستخدم المؤن والمكونات التي استعملت في بنائه، ولأهمية الملاحظات والتوصيات التي خلصا إليها بهذا الصدد نوجزها فيما يأتي:

١- الاحتفاظ بالقضاض الأصلي، حيثما أمكن، خاصة عندما يحتوي على نقوشات ومخربشات تتعلق بتاريخ المنطقة.

٢- عدم استخدام الإسمنت الرمادي، وإزالة الترقيع به حيثما وجد، فهناك نوع من إسمنت بوزولانا موجود في الجبل نفسه[١] يمكن استخدامه في الترميم.

٣- ترميم القطع المفقودة من القضاض بقضاض جديد[٢].

٤- استبدال الأحجار المفقودة والمتفككة في جدران الصهاريج وأرضياتها وممراتها وضرورة تركيبها في مواضعها بمؤن قوية من المكونات الأصلية نفسها.

٥- إعادة ملئ مفاصل وفواصل الحجارة في جدران وأرضيات الصهاريج بعناية تامة حتى تحتفظ بالأثر الأصلي، على أن تستخدم المؤن والمكونات الأصلية.

٦- كما لوحظ أن مادتي الجبس والبوميس[٣] التي كسيت بهما درجات الصهريج الكبير المدور[٤] قد تحللتا وتكسرتا كلتاهما ويجب استبدالهما، كما يجب تعبئة فواصل الأحجار التي تفككت في الصهريج نفسه، وإزالة الطمي من أرضيته، حيث بلغ عمقه ثمانية أقدام تقديرًا[٥]، كما ينبغي أن تعبأ فواصل

(١) رونالد ليوكوك (التقرير)، ولعل المراد بالجبل هنا جبل شمسان.
(٢) رونالد، ليكوك (التقرير)، ص٤١.
(٣) حجر خفيف (التقرير).
(٤) لعله المعروف بـ: أبو عجلة.
(٥) (التقرير)، ص٤٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ومفاصل الأحجار في معظم الصهاريج التي تعرضت للتفكك والتحلل بالمواد والمؤن والمكونات نفسها.

أما بالنسبة لصهريج أبو قبة، فيجب نزع الإسمنت من داخل بوابته المقببة، واستبداله بالجبس الأبيض على أن يتوخى الدقة في ترميمه.

٧- ويجب نقل مبولات المتنزه إلى موضع آخر، وكل هذا يتطلب دقة متناهية في العمل واختيار أدق - للمواد والمكونات المستخدمة في الترميم والصيانة -، والاستعانة بخبراء الصيانة.

**المطلب الثالث- التقارير التي خلص إليها بعض خبراء الترميم والصيانة:**

كما أوفدت حكومة إسلام أباد باكستان على وفق الاتفاق المبرم بينها والحكومة خبير الآثار الباكستاني ميان عبد الحميد الذي قدم إلى عدن في ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ووضع دراسة فنية لصيانة الصهاريج، أشار فيها إلى ضرورة صيانتها وترميمها، فهي لم تحظ بأية عناية، على حد قوله[١] لقرون عديدة، الأمر الذي جعلها تفقد شكلها ووظيفتها، وأوجز أسباب التخريبات الطارئة عليها على مر السنين فيما يأتي :

١- عامل الزمن.

٢- عدم إجراء مسح جيولوجي مستمر.

٣- عوامل التعرية.

٤- العوامل الفيزيائية والكيماوية والالكتروكيماوية للماء.

٥- الحرارة.

٦- الرطوبة.

٧- الرياح.

(١) التقرير (غير مرقم).

٨- عوامل بيلوجية.
٩- الفيضانات.
١٠- الزلازل.
١١- إجراء بعض التعديلات على الموقع.
١٢- التشييدات الحديثة والمباني والطرقات التي قامت على أنقاضها أو بنيت عليها.
١٣- تصرفات البشر في الموقع.

وقد نوه بالقيمة التاريخية والأثرية لهذا المعلم - ونبه - كمرحلة أولى إلى ضرورة إزالة النفايات والطمي والمخلفات الأخرى منها، وتنظيف قنواتها ومجاريها، ونقل المرقص إلى موضع آخر اقترح أن يكون خلف المتحف، وذلك تمهيدًا لترميمها على وفق الشرائط العلمية المتبعة في صيانة الآثار التاريخية، وأكد من ناحية أخرى أنه يجب أن تبقى المنطقة خالية من أي موقع ترفيهي.

وبناء على مقترحات وتوصيات هؤلاء الخبراء بهذا الصدد عقدت قيادة المركز اجتماعًا، اقترحت فيه القيام بحملة شاملة لإزالة الأتربة والحجارة والنفايات وتنظيف القنوات والمجاري، كما درست مسألة تنشيط متحف العادات والتقاليد وإيلاء عناية خاصة به، وإعداد دليل سياحي آثاري له.

والجدير بالإشارة أن هناك مشاريع مستقبلية أخرى مازالت قيد الدرس منها: مشروع تجهيز هذا المعلم التاريخي بنظام الإضاءة والصوت بهدف إبراز جماله الطبيعي والتاريخي والأثري، ولكن المشروع برمته قد تعثر.

وصفوة القول، إن الحكومة ممثلة بوزارة الثقافة والإعلام والمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، تولي عناية خاصة بالمعالم والمواقع والمدن التاريخية والأثرية، فقد نوقشت هذه المشاريع في الآونة الأخيرة باستفاضة، ومن المزمع تنفيذها في المستقبل القريب، إذا تهيأت الأسباب كافة.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وكل ما يمكن الاطمئنان إليه الآن - كما بسطنا ذلك - أن خبراء صيانة الآثار قد قاموا - تمهيدا للشروع في العمل - بعدة جولات ميدانية لهذه المعالم ورفعوا مقترحاتهم وتوصياتهم التي ينبغي أن تخرج من دائرة الدرس إلى حيّز التنفيذ.

ويغلب على الظن، أن هذه التقارير استندت إلى ما قرره بليفير ومن جاء بعده، ولم تفصح إلا قليلًا عن الأصول الإسلامية لبعض الصهاريج[١].

**الخلاصة:**

خلص البحث إلى حقائق واستنتاجات نوجزها في النقاط الآتية :

١- إن الصهاريج التي شاهدها مستر سولت في مجمع الطويلة بمدينة عدن في سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م تُعد الأصول الأولى للصهاريج القديمة، وهي بمثابة بؤر كبيرة بحسب تعبير المؤرخين والرحالة الأقدمين كابن بطوطة على سبيل التمثيل، بعضها يضرب بجذوره إلى مخلفات الحضارة اليمنية القديمة، أي أنها تعود إلى الألف الأول قبل الميلاد أو القرن الميلادي الأول في أقل تقدير.

٢- إن الترميمات التي شهدتها الصهاريج في ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م في عهد الإدارة البريطانية لا نعدو جانب الحقيقة إذا قلنا إنها طمست تاريخ الصهاريج التي شُيدت في الحقبة الإسلامية في عدن، فاختلط الحابل بالنابل لدى بعض الدارسين الآثاريين، فلم يعد بمقدورهم التمييز بين المأثرة القديمة والمأثرة الإسلامية، وزاد الطين بلة أنها لم تعرض على مجهر الفحص العلمي ولا الآثاري الدقيق، إذ ركزت معظم الدراسات بقصد أو بدون قصد على أقدميتها على اعتبار أنها بمجملها من مخلفات الحضارة اليمنية القديمة.

(١) تناولت هذه التقارير في كتاب لم ينشر بعد بعنوان (مآثر ومعالم جنوب اليمن ) (تقارير الخبراء جورج صيدح ،ليكوك ،بنهي ،ميان وسواهم )

٣- وقد لاحظنا هذا المنحى في كثير من الدراسات التاريخية والتقارير التي أعدها الضباط البريطانيون في عدن، من ذلك الدراسات التي تناولت الصهاريج مستندة إلى تقرير بليفير وتقارير هنتر عن البغدة الصغيرة والبغدة الكبيرة التي خلصت إلى القول: إنهما من تشييدات البريطانيين، في حين ذكر بريان دو مدير متحف عدن، وقد سبقهما، أنهما تشكيل جيولوجي قديم في عدن مثله مثل العقبة التي تعد ثلمة في الجبل أو تشكيل جيولوجي قديم، والأمثلة كثيرة ولا أشك قيد أنملة أن كثيرًا من المآثر الإسلامية كالمدرسة الياقوتية والمدرسة المنصورية وسواهما قد تعرضت لهذا العبث وتعليل ذلك لا يحتاج إلى دليل.

٤- كما لوحظ أن بعض الضباط البريطانيين الذين ألفوا كتبًا، وكتبوا تقارير عن عدن كانوا يؤوِّلون بعض الروايات كالرواية التي رواها ابن المجاور عن نسبة بناء الصهاريج للفرس، وهي رواية لا تخلو من الصحة، فقد شيد الفرس صهريجًا في الزعفران بعدن، ووفقًا لهذه الرواية عزى بعضهم الصهاريج إلى الفرس، وأغفلوا الروايات الكثيرة التي رواها المؤرخون ومنهم أبا الحسن الهمداني الذي يؤكد أن أهل اليمن اعتنوا كثيرًا بوسائل الري وتشييد الصهاريج والسدود، كما أشارت المصادر إلى قيام الرسوليين بكل ما هو معجز وقديم، كالصهاريج والدروب والآبار والقلاع، وسلك الطاهريون المسلك نفسه، فشيدوا المشاريع الضخمة وبنوا قنوات المياه.

٥- وفي خضم هذه الدراسات القديمة والحديثة كان يشار إلى المآثر الإسلامية ومعالمها الواضحة مثل صهريج أبو قبة الذي شيدت في مدخله، قبة وأقيم مسجد أندثر في حقبة ما، كما تبين لنا أن السدود السبعة الإسلامية قد

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

قامت على أنقاضها سدود أخرى أكثر حداثة وتعرضت في أيامنا إلى مزيد من الإصلاح والترميم.

٦- وبعد بحث وتفكير وإطالة نظر خلص بعض الباحثين إلى أن صهريج الفارسي الذي يقف خارج نطاق الصهاريج ما هو إلا مأثرة رسولية أو طاهرية، كما أن لفظة الغساسنة التي يرددها أهالي عدن عند حديثهم عن منشأ الصهاريج، أفضت إلى مزيد من التساؤلات عن طبيعة هذه النشأة، خاصة وأن الرسوليين والطاهريين قد اعتنوا إيما اعتناء بوسائل وطرق الري.

٧- إن هناك العديد من المآثر والمعالم الإسلامية ومنها الصهاريج التي اختفت وتلاشت أسماؤها في خضم الإصلاحات والترميمات التي قامت بها الإدارة البريطانية، ولسنا بذلك نحط من جهودهم أو نطعن في قدرتهم لكنهم على الجملة طمسوا تاريخ الكثير من المعالم الإسلامية في عدن بما في ذلك الصهاريج الإسلامية.

٨- إن عددًا من الصهاريج والقنوات القائمة اليوم هي صهاريج وقنوات ذات منشأ إسلامي، شيدتها الدول الإسلامية المستقلة في اليمن أو الدول الإسلامية المركزية من ذلك: الدروب السبعة، وصهريج الفارسي، وصهريج أبو قبة وسواها، هذا في نطاق مجمع صهاريج الطويلة، أما خارج نطاق المجمع فخزانات وقنوات المياه في عدن، وصهريج المباءة الكائن في قرية المباءة، وهذه تنسب للطاهريين.

٩- ولعلنا -والحال هذه- في مسيس الحاجة لدراسات آثارية لمعرفة المزيد من تاريخ الصهاريج ذات المنشأ الإسلامي وعلى الأخص الصهاريج الرسولية.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

## المصادر والمراجع:

١- الأكوع، محمد بن علي، اليمن الخضراء مهد الحضارة، ط٢، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٩٨٣م.

٢- بافقيه، محمد بن عمر، تاريخ حوادث السنين ووفاة العلماء العاملين والسادة المربين والأولياء والصالحين، دراسة وتحقيق: أحمد صالح رابضةد، دار مطبعة جامعة عدن، عدن ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

٣- بامخرمة، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله، تاريخ ثغر عدن، ط٢، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.

٤- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الضنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف بـ: رحلة ابن بطوطة، دار الفكر، دار التراث، بيروت، ١٩٦٨م.

٥- الجرافي، عبدالله عبدالكريم، المقتطف من تاريخ اليمن، ط٢، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٤م.

٦- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: يوسف شلحد د، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م.

٧- ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، حققه وعلق عليه: محمد بن علي الأكوع، ١٩٨٨م.

٨- السقاف، حمود جعفر، أضواء جديدة على التاريخ، تبابعة وملوك اليمن، ط١، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٤م.

٩- السقاف، ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٥م.

١٠- الشعيبي، محمد، اليمن «الظواهر الطبيعية والمعالم الأثرية»، مطابع شركة الأدوية، صنعاء، ١٩٩٨م.

١١- شهاب، حسن صالح، عدن فرضة اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٩٠م.
١٢- شيرنسكي، سيرجي، أضواء على الآثار اليمنية، إصدار مركز الأبحاث الثقافية، د. ت.
١٣- العبدلي، أحمد فضل بن علي محسن، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠م.
١٤- عثمان، حسان أحمد، قلائد الجمن في ملوك عدن وصنعاء اليمن، ط١ عرض وتقديم: شائف عبده سعيد د، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ٢٠٠٧م.
١٥- العظم، نزيه مؤيد، رحلة في العربية السعيدة من مصر إلى صنعاء، ط٢، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.
١٦- الفراص، سالم عبده صالح، عدن بوابة القرن الحادي والعشرون، تقرير مطبوع، د. ت.
١٧- لقمان، حمزة علي، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٠م.
١٨- لقمان، معارك حاسمة من تاريخ اليمن، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، ١٩٧٨م.
١٩- ليكوك، رونالد، وصيدح، جورج، تقرير استشاري لصيانة وترميم الآثار والمواقع الأثرية والتاريخية، طبع أستانسل، مركز الأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، د. ت.
٢٠- ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ط٢، اعتنى بتصحيحه أوسكر لوفقرين، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.
٢١- مجهول عاش في القرن التاسع الهجري، تاريخ الدولة الرسولية، تح: عبد الله محمد الحبشي، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٨٤م.
٢٢- مجهول، الطواف في البحر الأحمر، ودور اليمن البحري، ط١، ترجمة وتعليق: حسين علي الحبيشي ونجيب عبد الرحمن الشميري، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ٢٠٠٤م.
٢٣- محيرز، عبد الله أحمد، العقبة، وزارة الثقافة، مؤسسة ١٤ أكتوبر للصحافة والطباعة والنشر، عدن، د. ت.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

٢٤- الواسعي، عبد الله بن يحي، تاريخ اليمن المسمى فرحة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ط٣، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ١٩٨٢م.
٢٥- الويسي، حسين بن علي، اليمن الكبرى، مطبعة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م.
٢٦- يعقوب، ك. س.آي، هارولدف، ملوك شبه الجزيرة العربية، تر: أحمد المضواحي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م.

**البحوث والدراسات:**

٢٧- حنشور، أحمد إبراهيم د، عقبة، معروف إبراهيم م، البوميس، إحدى المواد الرئيسية للبناء العمراني القديم في مدينة عدن، بحث مقدم إلى الندوة العلمية: عدن بوابة اليمن الحضاري، المنعقدة في رحاب جامعة عدن ١٨- ١٩ يناير ٢٠١١م.
٢٨- عقبة، معروف إبراهيم، عدن البعد التاريخي والحضاري، بحث مقدم إلى الندوة العلمية الأولى: عدن الماضي - الحاضر - المستقبل، المنعقدة في رحاب جامعة عدن، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ج١، ١٥- ١٧ مايو ١٩٩٩م.

**التقارير الإنجليزية المترجمة:**

٢٩- نوريس، ه.ت، بنهي، ف. و، صهاريج عدن، مسح آثاري وتاريخي، تر: أحمد إبراهيم جعفر، تقرير مطبوع.

**التقارير الأنجليزية:**

(1) A.MAJEED. M. conserervation of restaration of Aden cisterns shaharij al tawila Hyderabad , 1984.
(2) Norris. H. T. Benhe F.W reportor on Aden tanks Historeal and orcheological

**المراجع الإنجليزية:**

(1) Ingrams Horrold/Arabia and Isles London 1942.
(2) Captain Plyfair R.L. A history Arabia Felix or Yemen Bombay 1859

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

وقارن بلاي فير،أف. أل، تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، ط1 تر: النوبان، سعيد. عبد الخير د و باحشوان، علي محمد، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 1999م.

(3) Gavin R.J Aden under British Rule 1839-1967 london C Hurst Company 1975.

(4) Captain Hunter F.M An account of the British settlement of aden in Arabia published by franks cass and company limited london 1968.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

# القيم الجمالية للزخارف المنفَّذَة على مصندقات سقف مسجد قيدان بالمحويت/ اليمن

د. غيلان حمود غيلان[1]

**الملخص:**

يتناول هذا البحث دراسة القيم الجمالية للزخارف المنفذة على مصندقات سقف مسجد قيدان، وقد تركز على ما تحتويه هذه المصندقات من زخارف، وكذلك عملية توزيعها بشكل متناظر، إذ تم تزيين هذه المصندقات بمزيج رائع من العناصر الزخرفية المتنوعة التي يمكن تقسيمها من حيث طبيعتها إلى أقسام رئيسة هي: الزخرفة الهندسية، والزخرفة النباتية، والزخرفة الكتابية.

ولغرض التعرف على القيم الجمالية على هذه المصندقات استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى تحديد مواطن الجمال الكامنة في هذه الزخارف.

لقد توصل هذا البحث إلى نتائج ترفد الباحثين في الآثار والفنون الإسلامية عن القيم الجمالية المنفذة على مصندقات سقف مسجد قيدان، فضلًا عن التوصل من خلال تحليل نوعية الزخارف والخطوط إلى تحديد تاريخ هذه المصندقات، والذي يقع فيما بين القرنين (٦ -٧ هـ/ ١٢-١٣م).

(١) أستاذ مشارك بقسم الآثار/ جامعة صنعاء.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225


## Abstract

Deals with this research study values aesthetic of decoration carried out on the roof boxes Qidan Mosque. Has focused on the contain this boxes of decorations, as well as the process of distributed symmetrical, as it was decorating this boxes mixture gorgeous of decorative items diverse that can be divided in terms of nature to sections main: Tracery Engineering, Tracery Plant, Tracery Written. Purpose to identify the values of aesthetic on this boxes use the researcher curriculum descriptive analytical access to determine the citizen beauty inherent in this motifs.

I have reached this search to the results of supply the researchers at the Effects of the Arts Islamic values aesthetic carried out on the roof boxes of Qidan Mosque chopsticks, as well as a through the analysis of the quality of motifs and fonts to determine the date of this boxes, which is located in between centuries (6 - 7 A.H / 12-13 AD).


**المقدمة:**

يقع مسجد قيدان في منطقة بني الطيار بمحافظة المحويت/ اليمن، ويتم الوصول إليه عبر طريق متفرع من الطريق الرئيس الممتد من مدينة صنعاء إلى مدينة المحويت.(لوحة١)

يشير النص التأسيسي المدوَّن على الجدار الشرقي لبيت الصلاة من الداخل، إلى أن (بازل ابن الليث ابن بازل) قد أمر ببناء هذا المسجد، غير أن النص لم يشر

إلى سنة التأسيس، فضلًا عن أن المصادر التاريخية وكتب التراجم والسير لم تتطرق إلى شخصية هذا الباني[١].

والمسجد عبارة عن صحن يتقدمه بيت للصلاة مكعب الشكل، تبلغ مقاساته (٩×١٠ متر) (شكل١، لوحة٢)، وجاء بيت الصلاة صغير بسيط المظهر من الخارج، أما من الداخل فإنه يتألف من ثلاثة أساكيب تقطعها ثلاث بلاطات، ويغطيه سقف خشبي مؤلف من أربع عشرة مصندقة تحملها أربعة أعمدة بشكل مباشر.[٢]

## مشكلة البحث:

تحددت مشكلة البحث في الكشف عن زخارف المصندقات الخشبية التي تغطي سقف مسجد قيدان، وتسليط الضوء على القيم الجمالية الموجودة فيها، وتبرز من هذه المشكلات التساؤلات التالية:

- ما الزخارف المنفذة على مصندقات سقف مسجد قيدان؟
- ما الجوانب الجمالية والإبداعية الكامنة في هذه الزخارف؟
- ماهي أسس التكوين الذي تستند إليه زخارف مصندقات سقف مسجد قيدان؟

**أهمية البحث والحاجة إليه:**

- الإسهام في التعرف على القيم الجمالية وما لها من أهمية بالغة في كل عمل فني بشكل عام، والفنون الزخرفية الإسلامية بشكل خاص.
- رصد الزخارف المنفذة على مصندقات سقف مسجد قيدان.
- الكشف عن النواحي الإبداعية والجمالية لزخارف المصندقات الخشبية.

(١) غيلان، غيلان حمود، زخارف مصندقات مسجد قيدان، إبداع إسلامي متميز، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد ٧، ص١٦٦.
(٢) غيلان، غيلان حمود، المصدر نفسه، ص١٦٧.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

- لفت نظر القائمين على التراث الحضاري بأهمية صيانة مصندقات سقف مسجد قيدان وترميمها؛ لما تحمله من سمات فنية فريدة.

**هدف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى:

- التعرف على الزخارف المنفذة على مصندقات سقف مسجد قيدان.
- رصد الجوانب الجمالية والإبداعية الكامنة في هذه الزخارف.
- الكشف عن أسس التكوين الذي تستند إليه زخارف مصندقات سقف مسجد قيدان.

**حدود البحث المكانية:**

يقتصر البحث الحالي على دراسة المصندقات الخشبية التي تسقف مسجد قيدان بمحافظة المحويت اليمن.

**منهج البحث:**

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يسعى إلى الكشف عن القيم الجمالية لزخارف مصندقات سقف مسجد قيدان وتكويناتها، وصولًا إلى تحديد مواطن الجمال الكامنة في هذه الزخارف.

**تحديد المصطلحات:**

**القيمة:** عرفها ابن منظور بانها: ثمن الشيء بالتقويم[١].

أما **اصطلاحيًا** فقد تبنى الباحث تعريف (صليبا): تطلق على كل ما هو جدير باهتمام المرء وعنايته.[٢]

(١) ابن منظور، لسان العرب، المجلد ١٢، ط ٦، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م، ص٥٠٠.
(٢) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي،جـ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ص٢١٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

**القيمة إجرائيًّا**: في البحث الحالي هي مجموعة من القيم الفنية المشتركة التي تصب في أسس التكوين الزخرفي.

**الجمال**: عرفه ابن منظور جمل الشيء والتجميل: التزيين.(١)

ويرى هربرت: أن الجمال هو وحدة العلاقات التشكيلية بين الأشياء التي تدركها حواسنا(٢). بينما عرفه صليبا: الجمال مرادف للحسن، وهو التناسب بين الأعضاء(٣).

**الجمالية**: عرفها علُّوش بأنها نزعة مثالية تبحث في الخلفيات التشكيلية، وتختزل عناصر العمل في جماليته(٤). بينما جاء تعريفها في المعجم العربي الميسر: بأنها تُعنى بالقيم والعناصر التي تكسب العمل جمالًا فنيًّا(٥).

**الزخرفة**: هي تعبير وتزيين إسلامي له حضور جمالي، أما في المصطلح الأثري الفني فهي النقوش التي يجمل بها البناء(٦).

**المصندقات**: هي تسقيف الفضاءات باستخدام السقوف الخشبية التي جاء توزيعها بما يشبه الصناديق المتجاورة، فهي تتألف من عوارض رأسية تتقاطع معها عوارض أفقية مشكلة مناطق مربعة أو مستطيلة نفذت عليها زخارف متنوعة(٧).

(١) ابن منظور، المصدر السابق، ص٧٤٥.
(٢) ريد، هربرت، معنى الفن، ترجمة سامي حسين، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٩م، ص٤٣.
(٣) صليبا، جميل، المصدر السابق، ص٥٦٧.
(٤) علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص٦٢.
(٥) بدوي، أحمد وآخرون، المعجم العربي الميسر، ط ١، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٩١م، ص٢
(٦) رزق، عاصم، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط ١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٣٠.
(٧) خليفة، ربيع حامد، الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، ط١، القاهرة، ١٩٩٢م، ص١٢٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

**الدراسة الوصفية:**

تزخر المباني الدينية في اليمن بنماذج طيبة من التحف الخشبية الثابتة والمنقولة، غير أن هذه التحف لم تحظ حتى الآن بدراسة وافية توضح لنا تطور الأساليب الفنية عليها، ومدى تأثرها بالأساليب الفنية التي سادت الأقاليم الإسلامية، ولاسيما المصندقات الخشبية التي تسقف العديد من المباني الدينية في اليمن(١)، ومنها مسجد قيدان المستهدف بهذا البحث.

إن كل مصندقة خشبية في مسجد قيدان تعد عملًا فنيًّا له شأنه بعد أن نالت جهدًا كبيرًا في عملية زخرفتها وتزويقها بالألوان، كما اعتُمِد في تنظيم المصندقات على مبدأ التناظر والتماثل، فعبرت عن تكوين فني متناسقة عناصره ببعضها من جهة، وبالفراغات المحيطة بها من جهة أخرى، إذ نجد أن بلاطة المحراب (الوسطى) قد غطتها أربع مصندقات مربعة الشكل، بينما غطت خمس مصندقات مستطيلة بشكل متناظر كل من البلاطتين الأولى والثالثة، غير أنه للأسف الشديد قد تعرضت مصندقات الأسكوب الأخير للتلف بسبب الرطوبة.

لقد زخرفت المصندقة الأولى التي تعلو المحراب مباشرة بزخارف هندسية ونباتية قوامها طبق نجمي ذو ثمانية أضلاع، زين مركزه بزهرة ذات ستة وريقات، واعتمد هذا النموذج الهندسي في أساسه الفني ونظام تكراره على المسدس المنتظم على هيئة خلايا النحل، ويتم بعد ذلك التوصل إلى رسم التفاصيل الداخلية لوحدة التكرار الأساسية بعد إجراء العديد من التوصيلات، حيث يتهيأ المجال لرسم تفاصيل الوحدة الأساسية التي تتوسطها نجمة ثمانية ينتج من امتداد خطوطها مضلعات هندسية خماسية موزعه بشكل متناظر.(شكل٢، لوحة٣)

(١) غيلان، غيلان حمود، الأخشاب المزخرفة في اليمن، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦م، ص١٥.

أما المصندقة الثانية فقد شغلتها أربعة مضلعات مثمنة الشكل حصرت بداخلها زخرفة نباتية من التوريق العربي (الارابيسك)، قوامها عبارة عن عنصر كأسي وبرعم وضعا بالتبادل، ويرتبط كل منهما بأغصان رشيقة تنتهي بأنصاف مراوح نخيلية، ويحيط بالزخرفة النباتية دائرة زيِّن سطحها بدوائر مطموسة لوِّنت باللون الأبيض بما يشبه عقد اللؤلؤ، ويحيط به دائرة أخرى لونت باللون البني، يحيط بها إطار مثمن الشكل نفذ باللون الأزرق الفاتح، ويشترك معه في التثمين شريط من الدوائر المطموسة المنفذة باللون الأبيض، وربما قصد الفنان بهذا التدرج اللوني إضفاء مسحة من التجسيم على هذه الزخرفة، إذ يلاحظ على الزخارف النباتية بأنها قد لونت بشكل متدرج وذلك بوضع ألوان أكثر غمقًا في وسطها بحيث تبدو بشكل محدب.

لقد تكررت هذه الزخرفة داخل المثمنات الأربعة، التي حصرت فيما بينها نجمة رباعية يزين وسطها ما يشبه نصف كرة تحيط بها دوائر مطموسة، ويزين رؤوس النجمة أربعة عناصر كأسيه ذات الثلاثة فصوص، كما شغلت الفراغات المحصورة بين المثمنات زخارف نباتية من التوريق العربي (الارابيسك)، ويحيط بالمصندقة شريط عريض تزين سطحه أغصان نباتية أفعوانية الشكل تخرج منها أنصاف مراوح نخيلية، كما نصفت الشريط في كل جهة زهرة ذات خمس وريقات تشبه (الرنك) الرسولي، كما يحف بهذه المصندقة ما يشبه الكوابيل الخشبية، وضعت بالتبادل مع كيزان الصنوبر. (شكل٣، لوحة٤)

أما المصندقة الثالثة فقد جاءت مغايرة لسابقتها، إذ قسمت بشريط عريض إلى أربعة مربعات متساوية، واحتوى كل مربع على مضلع زخرفي مثمن الشكل نتج من تقاطع مربعين شطف حواف إحداها على هيئة نصف دائرة وترك الآخر كما هو، فظهرت زوايا المثمن بهذا الشكل الزخرفي، وقد قام الفنان بتزيين سطحه



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

بدوائر مطموسة نفذت باللون الأبيض، فصارت تشبه عقد اللؤلؤ، كما زين وسط المضلع زخرفة تشبه نصف كرة تحيط بها زخارف من التوريق العربي، وشغل الفراغ المتكون من هذا المضلع بأغصان نباتية متشابكة تخرج منها أوراق كأسية ثلاثية الفصوص ترتبط ببراعم بيضية الشكل، كما يحيط بالمصندقة من جميع الجهات شريط عريض تزينه أغصان نباتية أفعوانية الشكل تخرج منها أوراق بيضية، ونصفت كل جهة زهرة ذات خمس وريقات لونت باللون الأبيض المشابه (للرنك) الرسولي(شكل٤، لوحة٥).

أما البلاطة الأولى والثالثة فقد غايرت المصندقات فيهما مصندقات البلاطة الوسطى، وربما كان القصد من ذلك هو تميز بلاطة المحراب من جهة، ومن جهة أخرى التزام الفنان بتوزيع المصندقات على هذا السقف بشكل متناظر، إذ نجد أن كل بلاطة قد احتوت على ثلاثة نماذج من المصندقات.

**النموذج الأول**: وتم فيه رسم شريط عريض قسم المصندقة إلى اثني عشر مربعًا، وزين أضلاع المربعات المتجاورة بدائرة تشبه نصف الكرة، تكتنفها عناصر نباتية من التوريق، أما العوارض الخشبية فقد زينتها أغصان نباتية أفعوانية الشكل تخرج من دائرة وضعت في الوسط، وتزين وسطها زهرة خماسية الوريقات، تنطلق منها الأغصان بتناظر تمثيلي، أي أن الأغصان الممتدة في الجهة اليمني تساوي الامتداد نفسه في الجهة اليسرى وتناظرها في العناصر، وزين وسط كل مربع زخارف قوامها دائرة تخرج منها أربعة عناصر كأسية، وشغلت وسط كل دائرة زخارف نباتية من التوريق، وعلى الرغم من أن الدوائر تتشابه، فإن الفنان قد غاير الزخارف المنفذة بداخلها، إذ نجد تباينًا من دائرة إلى أخرى في العناصر والتصميم واللون، وربما قصد الفنان من ذلك القضاء على الرتابة والملل وإضفاء نوع من الحيوية على هذه الزخارف. (شكل٥، لوحة ٦)



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

**النموذج الثاني**: وهذا النموذج من المصندقات قد شغلته زخرفة قوامها مضلعات تزين مركزها نصف كرة تحيط بها دوائر مطموسة، وشغلت سطح المضلع زخارف نباتية من التوريق العربي، ورسم في كل مصندقة مضلعان وضعت بالتبادل مع ما يشبه سعفة النخيل، إذ استفاد الفنان من تغيير وضعية القطع الخشبية الصغيرة ورتبها بحيث تبدو كسعفة نخيل، واحتوت كل مصندقة على سعفتين ومضلعين وضعا بالتبادل. (شكل ٦).

**النموذج الثالث**: ويتميز هذا النموذج باحتوائه على مضلع واحد فقط، زين وسطه بما يشبه نصف الكرة في الوسط تحيط بها دوائر مطموسة لونت باللون الأبيض وزين سطح المضلع زخرفة قوامها دوائر متقاطعة شكلت من تقاطعها زهرات ذات أربع وريقات، وتنتهي هذه الدوائر من الجهتين بزخارف نباتية محورة. أما باقي المصندقة فقد زينت بما يشبه السعفة النخيلية.(شكل٧)

أما الجوائز[١] والعوارض(البراطيم) التي تحمل السقف فقد زينت أسطحها المتجهة إلى أسفل بزخارف هندسية ونباتية متكررة، يمكن تمييز ثلاثة أنواع منها هي:

**النوع الأول**: وقوام زخرفته عبارة عن طبق نجمي ذو ثمانية رؤوس، يحيط به مخمسات ومضلعات شغلت مراكزها زهرة ذات ست وريقات، كما شغلت المساحات الناتجة من تكرار الزخارف الهندسية زخارف نباتية قوامها أربعة عناصر كأسية تلتقي مع بعض عند رؤوس فصوصها العلوية.(شكل٨)

**النوع الثاني**: وقوام زخرفته تعتمد على زخرفة الجفوت اللاعبة* التي تشغل

(١) الجائزة: جذع شجرة متوازي المستطيلات يدخل في بناء السقف، يثبت طرفاه على حائطين متقابلين.... ويقصر استعمالها على الأسقف الأفقية، وكثيرًا ما تزين أو تلون. غالب، عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، جروس برس، بيروت، ١٩٨٨م، ص١١٤.

* الجفت يعرف بأنه «حلية زخرفيه على هيئة إطار أو سلسلة تشبه عصوين معقوفين بينهما قناة غائرة، وفي هذه الحالة يسمى جفت مجرد، أما إذا تخلل هذا الإطار أشكال زخرفية فيعرف

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

سطحها زخارف نباتية محورة من التوريق العربي، قوامها أغصان رشيقة تخرج من عقد رابطة وتتفرع إلى فرعين يغطي كل فرع جهة بشكل حلزوني، ويتولد منه أغصان أخرى بحيث يغطي المساحة الموجودة داخل المضلع بالكامل.(شكل٩)

**النوع الثالث**: وقوام زخرفته نجمة ذات اثني عشر رأسًا تحيط بها مضلعات معينية الشكل، تحصر بينها أطباقًا نجمية ونجومًا سداسية، وشغلت المساحات الناتجة من التكرار أوراق نباتية بيضية الشكل.(شكل ١٠)

أما الأسطح الداخلية للجوائز فقد زينتها آيات من القران الكريم كتبت بالخط الكوفي المورق، والخط الكوفي المضفور، وكذلك بالخط الكوفي المعماري، فضلًا عن خط الثلث الذي كتبت به بعض الآيات الكريمة واسم من أمر بالبناء. (الأشكال ١١، ١٢، ١٣)

**الدراسة التحليلية:**

يزين سقف مسجد قيدان عدد من التصاميم الزخرفية التي تحمل قيم جمالية[١]، ولعل ما يميز هذه المصندقات عن غيرها هو تفرد تنفيذ الزخارف عليها بالألوان فحسب، أي بدون استخدام الحفر الغائر أو البارز، فضلًا عن تمكن من قاموا بالعمل من ضبط معايير الجمالية الإسلامية* التي تعتمد على الحرية والإبداع

= بجفت لاعب». الحداد، محمد حمزة إسماعيل، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، زهراء الشرق، ط ٣، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٩٠.

(١) بهنسي، عفيف، أثر الجمالية الإسلامية في الفن الحديث، ط١، دار الكتاب العربي، القاهرة ودمشق، ١٩٩٨م، ص٣١

* الجمالية في الفن العربي الإسلامي هي: «ما تمنحه الصور من إحساس جمالي استاطيقي، من خلال جمع عناصرها داخل حيز معين لتتشكل ضمن المفهوم الروحي للإنسان العربي المسلم». محمد، بلاسم، تأويل الفراغ في الفنون الإسلامية، دار مجدلاوي، ط١، عمان، ٢٠٠٨م، ص١٣٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

والبحث عن المثل والتسامي والإطلاق[١]، ففي نطاق هذا الفلك الواسع، نجد أن الفنان قد أتقن توزيع المصندقات بشكل متوازن، كما اعتمد في تنظيمها على مبدأ التناظر والتماثل.

لقد تمكن الفنان من تحقيق قيمًا فائقة الحد من الجمال على هذه المصندقات، حيث تقودنا بعض الزخارف إلى زخارف أخرى في داخلها ثم تقودنا هذه بدورها إلى زخارف ثالثة، بما يوحي للمتأمل أنه ينتقل من مستوى فكري إلى آخر،[٢] وتحس العين حين ترى هذه الزخارف أن كل مساحة منها تحقق نوعًا من الإيقاع، لأن الإيقاع في العمل الفني الإسلامي يعتمد التماثل والتناظر والتبادل[٣]، فظهرت بذلك وحدة العناصر البنيوية التي طبعت زخارف هذا السقف بطابع متميز.

استخدم الفنان في تزيين هذه المصندقات مزيجًا رائعًا من العناصر الزخرفية المتنوعة، التي تقوم على منطلقات فكرية وفلسفية وجمالية[٤] ويمكن تقسيمها إلى أقسام رئيسة هي: الزخرفة الهندسية، والزخرفة النباتية، والزخرفة الكتابية.

**الزخرفة الهندسية:**

تعد الزخرفة الهندسية عنصرًا أساسيًّا من عناصر الزخارف الإسلامية، فمنذ العهد الأموي اتجه الفنان العربي إليها، فقد شاع استعمالها على العمائر والتحف الفنية المتنوعة، معتمد في بداية الأمر على الأشكال البسيطة كالمستقيمات والمربعات والمثلثات والمضلعات والدوائر المتماسة والمتقاطعة والأشكال السداسية

(١) بهنسي، عفيف، المصدر السابق، ص٨،٩.

(٢) الألفي، أبو صالح، الفن الإسلامي، أصوله، فلسفته، مدارسه، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م، ص٩٥.

(٣) الألفي، أبو صالح، المصدر نفسه، ص١٠٩؛ عفيفي، فوزي سالم، نشأة الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي والاجتماعي، ط١، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠م، ص٣٩٥.

(٤) الصقر، إياد، الفنون الإسلامية، ط١، دار مجدلاوي، عمّان، ٢٠٠٣م، ص١٠٧.

والثمانية.[١] غير أن الفنان المسلم ظل يبحث عن تكوين جديد مبتكر يتولد عن اشتباكات قواطع الزوايا ومزاوجة الأشكال الهندسية لتحقيق الجمال الرصين.[٢]

ظهرت العناصر الزخرفية الهندسية على مصندقات سقف مسجد قيدان بشكل متطور فهي تشبه تلك الزخارف المائية المنفذة بالألوان (الفريسكو) المنفذة على مباني العصر الرسولي في مدينة تعز، كالمدرسة المظفرية، والمعتيبة، والأشرفية(لوحة٨)، ولم تصل إلى مستوى الزخارف التي ظهرت في مباني الدولة الطاهرية من التعقيد والحشد، ولاسيما ما وجد في المدرسة العامرية في مدينة رداع. (لوحة٩)

تعددت العناصر الزخرفية الهندسية المنفذة على سقف هذا المسجد، فقد قسمت المساحات داخل المصندقات إلى مربعات أو مستطيلات، شغلت المساحات المربعة منها عنصر رئيس كبير يظهر في الوسط على هيئة نجمه أو مثمن أو مسدس، ويدور حول هذا العنصر الكبير عناصر أصغر حجمًا، إما بشكل نجوم صغيرة، أو مضلعات هندسية متنوعة، أو نجوم ومضلعات متعاقبة مع بعضها، في تتشابك وانسجام مستمر، وكأنّ الفنان أراد بذلك أن يصور مجاميع الأشكال الوميضية التي تشع وتستقبل باستمرار ،[٣] حتى تغطى المساحة المراد زخرفتها، أما المساحات المستطيلة فقد قسمت إلى مربعات صغيرة شغلت بالزخارف النباتية، وازدانت الأشرطة الزخرفية بالمضلعات المتنوعة.

(١) الأعظمي، خالد خليل حمودي، الزخارف الجدارية في آثار بغداد، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٠م، ص١٢٨.
(٢) النحاس، أسامة، الوحدات الزخرفية الإسلامية، بل برنت، القاهرة، بدون تاريخ طبع، صب.
(٣) بهنسي، عفيف، معاني النجوم في الرقش العربي، بحث منشور في أعمال الندوة العالمية، الفنون الإسلامية، المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة، استانبول، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م، ص٦٢.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

إن أبرز العناصر الزخرفية الهندسية المنفذة على هذه المصندقات هي الأطباق النجمية (star pattern)، وهي زخرفة إسلامية صرفة، وتعد أكثر الزخارف الهندسية الإسلامية إبهارًا، وفي الوقت نفسه أبرز سماتها[١].

لقد وفق الفنان إلى حد كبير في اختيار نوعية العناصر الزخرفية الهندسية التي تنسجم فيما بينها ومع بقية العناصر الأخرى فاختار المناطق المفصصة والمؤلفة من فصوص رباعية تفصلها رؤوس ثلاثية والتي ظهرت في الفن الإسلامي منذ عصر سامراء ثم امتدت إلى الموصل في القرن (٥هـ/ ١١م)، وظهرت في مصر خلال العهد الفاطمي[٢]، وكذلك الدائرة والشكل البيضاوي وكلاهما من عائلة واحدة، وقد أصاب الفنان أن جعل الشكل البيضاوي يحتضن الدوائر المطموسة. (شكل٧)

**الزخرفة النباتية:**

اهتم الفنانون المسلمون بالزخارف النباتية اهتمامًا كبيرًا، وليس ذلك فحسب، بل تمكنوا من ابتكار أشكال نباتية عديدة اتسمت بالتجريد عرفت بالتوريق أو (الأرابيسك)، وهى زخارف تميز بها الفن الإسلامي دون غيره من الفنون،[٣] حتى وصفها البعض بأنها لغة الفن الإسلامي[٤].

(١) الباشا، حسن، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، أوراق شرقية، المجلد الثاني، ط١، بيروت، ١٩٩٩م، ص٩٧؛ الطايش، علي أحمد، الفنون الإسلامية المبكرة، فن العصرين الأموي والعباسي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٩.

(٢) الجمعة، أحمد قاسم، الزخرفة الرخامية، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الثالث، جامعة الموصل، ط١، الموصل، ١٩٩٢م، ص٣٥٥.

(٣) غالب، عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، جروس بروس، ط١، بيروت، ١٩٨٨م، ص٣٥.

(٤) مرزوق، محمد عبد العزيز، الفن الإسلامي، تاريخه وخصائصه، بغداد، ١٩٦٥م، ص١٨٠ - ١٨١.

لقد وصلت زخارف التوريق (الارابيسك) إلى اليمن عن طريق مصر في العصر الفاطمي حيث شهد هذا العصر علاقة قوية بين الدولة الفاطمية في مصر والدولة الصليحية في اليمن،[١] إذ تمثلت زخارف التوريق في بداية أمرها في مسجد العباس في أسناف خولان (٥١٩هـ/ ١١٢٥م)، ثم بعد ذلك في جامع السيدة بنت أحمد في جبلة (ت: ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م)، سواء ما ظهر منها على السقف أو المحراب أو المنبر[٢]، وبعد ذلك شاعت هذه الزخرفة في اليمن خلال العصر الرسولي الذي واكب التطور الزخرفي في مصر والشام خلال العصر الأيوبي، ولاسيما أن بني رسول استجلبوا من مصر والشام آنذاك طوائف من أرباب الصناعات والحرف الذين نقلوا بدورهم آخر الابتكارات والتطورات في مختلف الصنائع والفنون، بالإضافة إلى الصناع اليمنيين الذين اشتهر في تلك المرحلة التاريخية، منهم المؤرخ الخزرجي (الذي كان يعمل في زخرفة المساجد والدور الملكية) ومن ضمنها دار الديباج في منطقة ثعبات[٣] وغيرها.

وعند مقارنة زخارف التوريق التي نفذت على هذه المصندقات بمثيلاتها في العصر الأيوبي سواء أكان ذلك على الفنون التطبيقية أم على العمائر* يتضح لنا أن

(١) الهمداني، حسين بن فيض الله، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٦م ص٢١٢.

(٢) غيلان، غيلان حمود، محاريب صنعاء حتى أواخر القرن (١٢هـ/ ١٨م)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م ص٢٠١.

(٣) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، صنعاء، ١٩٨٣م، ص٢٩١؛ صادق، نهى، المؤرخ الخزرجي وعمله في زخرفة العمائر، دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٢م، ص٢٠٨-٢٠٩

* انظر: سالم، عبد العزيز صلاح، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، جـ ٢، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٩٥ – ٩٨. وكذلك: ياسين، عبد الناصر، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، شكل ٦٦، ١٢٢، ١٢٥.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

التحوير والتجريد للعناصر النباتية على هذه المصندقات لم تتباين كثيرًا عما وجد في غيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى، فزخارف التوريق لا تحتفظ إلا بذكرى بعيدة عن النباتات الطبيعية التي استوحى منها الفنان هذه العناصر، كما أن هذه العناصر النباتية تعتمد قوانين التقابل والتماثل في حركات إيقاعية، بحيث تكسب المشاهد إحساسًا بالحركة التي تمتاز بها زخارف التوريق (الارابيسك).[١]

ومن العناصر النباتية التي استعان بها الفنان لتزيين المصندقات المراوح النخيلية (palmette) وأنصافها والتي مثلت بأشكال مختلفة منها البسيطة والمفلوقة والمركبة، فضلًا عن أنصافها التي اتخذت أشكالًا متعددة تباينت في هيئاتها العامة وفي تفاصيلها الدقيقة، فقد حدد شكلها الحيز الذي شغلته، بالإضافة إلى الوحدات الزخرفية التي ارتبطت معها أو أحاطت بها.

لقد حظي هذا العنصر بعناية الفنان المسلم فاستعمله في جميع أعماله الفنية، لما تمتاز به المروحة النخيلية من قابلية على التكيف والملائمة مع تباين المساحة المخصصة للزخرفة[٢]؛ لما لهذا العنصر من رقة وانسيابية، فضلاً عن أنها تؤلف أشكالًا متناظرة وزخارف متماثلة تحقق للفنان رغبته في التخلص من الفراغ الناتج من تقاطع خطوط الزخارف الهندسية[٣]، فقد ظهرت المراوح النخيلية المنفذة على المصندقات بشكل متطور، إذ نجدها تمثلت بشكل مخروطي أطلق عليه بعض الباحثين ( البالمت البسيط)[٤]، غير أن الفنانين تمكنوا من إيجاد أشكال

(١) حسين، محمود إبراهيم، الزخرفة الإسلامية، الأرابيسك، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٨.

(٢) حميد، عبد العزيز، الزخرفة في الآجر، حضارة العراق، جـ٩، بغداد، ١٩٨٥م، ص٤١٥

(٣) الأعظمي، خالد خليل حمودي، الزخارف الجدارية في آثار بغداد، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٠م، ص١٣٧.

(٤) الأعظمي، خالد خليل حمودي، المصدر نفسه، ص١٣٧.

مركبة، وذلك بشطر المروحة النخيلية إلى نصفين يلتقيان عند رأسيهما، ويعلوهما مروحة صغيرة بسيطة.

استفاد الفنان اليمني من تطويع المروحة النخيلية وتحويرها بما يتلاءم مع الإطار العام للتكوين الزخرفي الذي يقوم بتنفيذه، فقد استفاد من انسيابية خطوطها ومطاوعتها التي تمثلت في استطالة الفص الوسطي أو امتداده بخفة ورشاقة واضحة، وهي السمة التي أكسبت مصندقات السقف الخشبية لمسة جمالية مضافة وأبعد عنها الشعور بالرتابة والملل، فضلًا عن أن هذه العناصر أسهمت في تنوع الإبداع الزخرفي على هذه المصندقات.

ومن العناصر الأخرى سعفة النخيل التي حاول الفنان محاكاة الطبيعة في شكل هذا العنصر، فقد نفذه بشكل قريب من الطبيعة، وذلك بوضع القطع الخشبية الصغيرة بشكل مائل على هيئة أوراق سعف النخيل، ولم يقم بإضافة الألوان عليها مكتفيًا بألوان الخشب الأصلية.

إن تمثيل سعف النخيل على مصندقات السقف، لما للنخلة من معنى ديني، إذ تعدّ النخلة من أشجار الجنة، كما أنها رمزًا للكفاف[١]، وقد يكون القصد من هذا الأسلوب هو محاكاة التسقيف في المسجد النبوي، فقد أورد السمهودي أن سقفه كان من جريد النخل[٢].

واستعان الفنان في تزيين المصندقات بالورقة الكأسية (calyx)، التي تعرف أيضًا بوريقات كم الزهرة[٣]، وهي تمثل شكلاً مختزلاً زخرفيًا لكؤوس أزهار محورة

(١) ماهر، سعاد، الخزف التركي، مطابع مدكور، ١٩٦٠م، ص١١٦.
(٢) السمهودي، نور الدين على بن أحمد (ت ٩١١هـ) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٧م، ص٣٣٥-٣٣٧.
(٣) Shafi، F، simple calyx Ornament in Islamic Arts، Cairo، 1957، p 41



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

عن الطبيعة[١]، ويقصد بها الجزء الأسفل من أي زهرة بعد أن تتفتح أجزاؤها العلوية على شكل فصوص أو شحمات مدببة فتتخذ بذلك شكل الكأس.

لقد تمثل هذا العنصر على المصندقات بشكل محور وبعيد عن صدق تمثيل الطبيعة، فقد رسمه النقاشون والمزوقون بثلاث فصوص (شحمات)، بحيث يكون الفصّ الأوسط للتويج طويلًا، ولون الجزء العلوي منه مغايرًا كي يوحي لنا بأنها مدببة الرأس، بينما الورقتين الجانبيتين إحداهما تتجه إلى اليمين والأخرى إلى اليسار، وصارت بذلك تشبه المراوح النخيلية ذات الثلاثة فصوص، وواقع الحال أن التمييز بين هاذين النوعين ليس بالأمر السهل، حتى على المختصين[٢]، لاسيما عندما تكون حدود الفصين الجانبيين متصلة ببعضها ويبدو معها الفص الوسطي كأنه مستقل قائم بذاته.

كما ظهرت الأوراق اللوزية وهي تشبه البراعم (blossom) قبل أن تتفتح، أي عندما تكون البراعم مقفولة تمامًا على ما في داخلها من أوراق التويج والمياسم.

وظهرت ضمن التشكيلة الزخرفية على هذه المصندقات ورقة البلطة، وهي عبارة عن ورقة صغيرة محورة في الأرجح من نصف المروحة النخيلية، غير أنها خضعت لبعض التحوير في ثني طرفيها العلوي والسفلي بشكل متساوٍ فصارت على هيئة البلطة[٣]. إن أول من أطلق عليها هذه التسمية المستشرق كار لام (lamm)[٤]

(١) داوُد، عبد الرضا بهية، الأسس الفنية للزخارف الجدارية في المدرسة المستنصرية، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ١٩٨٧م، ص٩١.

(٢) انظر: شافعي، فريد، زخارف وطرز سامراء، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد (القاهرة) مجلد ١٣، ج٢، ديسمبر ١٩٥١م، ص١-٣١.

(٣) شافعي، فريد، المصدر السابق، ص٩.

(٤) wood work it's style and chronology in,B.i.E, Paris 1936, vol 18,pp63, 65 lamm, c. j. fatimid



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

بينما أطلق عليها هرتسفلد البالمت الجناحية(fliigel- palmette)[١]

ومن العناصر الزخرفية التي وظفها الفنانون على المصندقات زهرة اللؤلؤ، وقد يطلق عليها(زهرة المار جريت-marguerite)، وهي زهرة ذات خمس وريقات صبغت باللون الأبيض تارة، وباللون الأحمر تارة أخرى، وهي بذلك تشبه شعار الدولة الرسولية[٢]، فقد اهتم بهذا النوع من الزهور بني رسول في اليمن ولازمتهم منذ وقت مبكر[٣]، عند ما اتخذوها شعارًا لهم ووسموا بها معظم التحف التي صنعت لهم[٤]، بالإضافة إلى بعض المباني التي قاموا بإنشائها.

ومن الزخارف التي تمثلت على المصندقات العقد الرابطة، فقد ظهر هذا العنصر على شكل دائرة مسطحة أو مكورة، وتعد العقد الرابطة بمثابة جذور مختزلة ورمزية، بحيث تشكل منابع لنشوء الأغصان منها، أو تقوم بدور التكوينات الرابطة للأغصان حيث تلتقي فيها وتفترق منها[٥]. لقد انتشر هذا العنصر في الفنون السابقة للإسلام إلا أن الفضل يرجع للعرب المسلمين الذين أوصلوها إلى قمة نضجها وطبعوها بالطابع الإسلامي، حتى غدت من العناصر الزخرفية البارزة منذ العهد الأموي وما بعده[٦].

(١) شافعي، فريد، المصدر السابق، ص٩.
(٢) محمد، غازي رجب، زهرة اللؤلؤ على تحف وآثار بني رسول في اليمن، أعمال المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية، جـ٢، صنعاء، ٢٠٠٥م، ص٣٤٠.
(٣) خليفة، ربيع حامد، المصدر السابق، ص٢١٩.
(٤) بورتر، فنيشيا، الزجاج ذو الزخارف المموهة بالمينا المصنوع لسلاطين بني رسول، دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، ترجمة نهى صادق، بدون مكان طبع، ٢٠٠٢م، ص١٩٧ – ٢٠٠.
(٥) داوُد، عبد الرضا بهية، المصدر السابق، ص٨٩.
(٦) الجمعة، أحمد قاسم، المصدر السابق، ص٣٥٤.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

**الزخرفة الكتابية:**

تشكل الكتابات بخطوطها المتنوعة أجمل صور الإبداع الفني التي وصل إليها الفنان المسلم؛ إذ اتخذ منها وسيلة للتعبير عن موهبته، فأخرج منها مواضيع وأنماطًا رائعة حتى بات استعمال الخط من المسائل الضرورية لإنجاز أي عمل فني؛ لأنه يمثل شكلًا إبداعيًا وجماليًا في الفن الإسلامي(١).

ارتبط الخط مع اللون على مصندقات سقف مسجد قيدان ارتباطًا وثيقًا، وذلك لزيادة معاني الخط وتجميله(٢) فاللون يمثل دائمًا محور إغناء جمالي وفني للخط العربي، ولاسيما إذا استخدم استخدامًا متقنًا في تشكيل البنية الخطية، فإنه يحقق تعبيرية العلاقة بين الشكل والمضمون(٣) ومن هنا فقد أسهمت الألوان في تطور الخط وزيادة زخرفته.(٤)

لقد وضعت الكتابة فوق مهاد زخرفي نباتي* مؤلف من تشابك أوراق وسيقان نباتية في رقة حول الحروف دون أن تغير معناها أو أن تختلط بها، بل إن تلك الحروف لا تحتفظ بوضوحها فحسب، وإنما تنال بعدًا رمزيًّا أكثر عمقًا، فالمزاوجة

(١) بهنسي، عفيف، تراث الفن الإسلامي والمستقبل، دورية الإسلام اليوم، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، العدد الثاني عشر، السنة الثانية عشرة، ١٩٩٤م، ص٩٧.

(٢) بهنسي، عفيف، دراسات نظرية في الفن العربي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م، ص٣٩.

(٣) حنش، أدهام محمد، الخط العربي وإشكالية النقد الفني، مكتب الأمراء للنشر والدعاية والإعلان، ط١، بغداد، ١٩٩٠م، ص٤٨.

(٤) حمزة، حمزة حمود، التوريق والتزهير في الخط الكوفي حتى منتصف القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٠م، ص٧٣.

* المهاد: هي الأرضية التي ينفذ عليها العمل الزخرفي بحيث يكون جزءًا من الزخرفة، وأحيانًا أخرى يكون معزولًا، ويسمى أيضًا (الخلفية الزخرفية)، وهو مرادف لكلمة (Background). الجبوري، محمود شكر، الخط العربي والزخرفة الإسلامية، دار الأمل، إربد، الأردن، ١٩٩٨م، ص١٩٣.

بين الكتابة والنبات توحي بأن كلمات الله مزهرة مثمرة؛ لأن الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة،(١) ولذلك أدخل الخط كعنصر رئيس من عناصر الزخرفة.

يحف بالسقف من أسفل أشرطة كتابية نفذت بخطوط متنوعة*، لكل منها طابع زخرفي معين منها الخط الكوفي المورق، والخط الكوفي المضفور، والخط الكوفي المعماري، إلى جانب خط الثلث، وجاء أغلب مضمون الكتابة المنفذة على المصندقات آيات من القران الكريم، وكأن الفنان أراد بذلك أن يتبرك بهذه الآيات؛ لأن الفن في الإسلام هو تمجيد للجلال وتسبيح بالجمال، وهدفه التوسل للخالق سبحانه وتعالى،(٢) فانعكس ذلك على فن الخط، فكتابة الآيات القرآنية الكريمة عباده من طراز رفيع جليل، ومن ثم فإن الخط هنا هو نتاج لحالة من الطمأنينة والسكون والتوازن الذي يتوحّد فيه الفنان المسلم مع المعاني المقدسة للذكر الحكيم،(٣) ولهذا تسمو قيمة الشكل بقيمة المضمون الذي يرتبط بصفته القدسية، التي أصبحت جمالية تبعًا لجمالية الخط ذاته، كما حرص الخطاط على قوة أدائه الخطي على المصندقات، وتجلت إمكانياته الفنية والذاتية في حرية غير محدودة من الإبداع والتكوين. غير أن الجدير بالذكر أن الخطاط اليمني الذي نفذ هذه الكتابات

(١) كامل، عبد العزيز، الفن الإسلامي بين الدين والإبداع، أعمال الندوة العالمية، الفنون الإسلامية، المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة، استانبول، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م، ص٤٢.

* يشير بعض الزملاء بأن النقوش الكتابية المنفذة على هذه المصندقات قد درست من قبل المرحوم سمير مقبل وقدمت لإحدى الجامعات الفرنسية في فرنسا، غير أن الباحث لم يتمكن من العثور على هذه الدراسة في كل المراكز العلمية والأثرية والمكتبات الموجودة في اليمن بما فيها الفرنسية.

(٢) القفاش، أسامة، مفاهيم الجمال، رؤية إسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٥.

(٣) عبد الله، إياد حسين، اختلاف المنطق الجمالي بين الخط العربي واللوحة الغربية، أوراق الندوة الفنية التداولية، المتعالق بين الخطاط والفنان، ط١، الشارقة، الأمارات،٢٠٠٧م، ص٦٣.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

قد استفاد من مميزات خط الثلث، ونفذها على طريقة ابن البواب*، إذ نجد أن حروف الكتابة المنفذة قد امتازت بالليونة والاستدارات في نهاية الحروف، ووجود الترويس في الحروف المنتصبة، وغلظها في قسمها العلوي، ودقتها وتشعيرها في قسمها السفلي، مع ميلها إلى القصر وتضخم بقية الحروف بصورة عامة، وغطيت الفراغات داخل الأشرطة المخصصة للكتابة بواسطة حركات الشكل، والإضافات الزخرفية، مما أكسبه تناسقًا جميلًا أضفى على المساحات التي يزينها شكلًا دقيق التعبير في النواحي الجمالية، كما أن أسلوب تركيب الكلمات يميل إلى التسلسل المتتالي، إذ قلما تتداخل الكلمات، بالإضافة إلى وجود ظاهرة الترابط بين الحروف، كما تمثلت في هذه الكتابة مميزات فنيه منها الاستناد على مهاد زخرفي، وهو الأسلوب نفسه الذي ظهر في الموصل منذ القرن (٦هـ/ ١٢م).[١]

كما وفق الخطاط في تنفيذه الأشرطة الكتابية أسفل سقف مسجد قيدان إلى حد كبير، ويتضح ذلك من خلال التوزيع والاتزان والسيادة، كما تضمنت هذه الأشرطة نصوصًا إنشائية وتسجيلية، وهي ما يطلق عليها أحيانًا اصطلاح (الطراز)[٢]، إذ نجد اسم من أمر بالبناء (بازل بن الليث بن بازل)، وأغفل الخطاط تاريخ البناء وتوقيع الصانع، إلا أنه من خلال أسلوب الزخارف الهندسية والنباتية، وكذلك هذه الخطوط ومميزاتها، إلى جانب ظاهرة الجمع بين الخطين الكوفي والثلث التي

* للمزيد انظر: القلقشندى، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، جـ٣، ص١١؛ صالح، عبد العزيز حميد وآخرون، الخط العربي، التعليم العالي، بغداد، العراق، ١٩٩٠، ص١٥٠- ١٥٤.

(١) الجمعة، أحمد قاسم، المصدر السابق، ص١٦١.

(٢) الطراز: لفظ (تراز) مشتق من الكلمة الفارسية (ترازيدن) بمعنى التطريز والنسيج، وأصبحت تطلق على المنسوجات التي تشمل على أشرطة كتابية تتضمن اسم الخليفة الذي نسجت في عهده والمكان والتاريخ. للمزيد انظر: البحيري، صلاح الدين، نص هام عن أحوال دار الطراز المصرية في أوائل عصر الدولة الأيوبية، نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٣م.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ترجع إلى العصر الأيوبي، سواء أكان ذلك على الفنون التطبيقية أم على العمائر، فقد ظهر هذا الجمع على جدران مسجد جامي في قزوين سنة(٥٩٠هـ/ ١١٩٣م)[١]، كما كان الجمع بين النوعين من سمات التحف المعدنية الموصلية[٢]، كما وجدت هذه الظاهرة في اليمن على جدران مسجد العباس في أسناف خولان (٥١٩هـ/ ١١٢٥م)[٣]، وقبة الإمام المهدي بصعدة[٤] (لوحة١٠، ١١) ولذلك نرجح أن تاريخ هذه الكتابات، وكذلك المسجد لا يخرج عن المدة التاريخية الواقعة ما بين القرنين (٦-٧ هـ/ ١٢-١٣م).

**الألوان:**

يعرف اللغويون اللون بأنه كالسواد والحمرة ولونته فتلون،[٥] أما اليوم فإن اللفظة تعنى «الصفة الرمزية لصباغة سطوح الأجسام والطبيعة على السواء»[٦].

لقد أضفت الألوان مسحة جمالية على المصندقات فبدت وكأنها حلة قشيبة زاخرة تُدخِل البهجة إلى النفوس؛ لأن للألوان عذوبتها وجمالها الخاص.[٧]

(١) ياسين، عبد الناصر، المصدر السابق، ص٣٠٦.
(٢) العبيدي، صلاح حسين، التحف المعدنية، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الثالث، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل، العراق،١٩٩٢م، ص٤٢٥.
(٣) محمد، غازي رجب، من روائع العمارة العربية الإسلامية في اليمن، ضريح العباس في أسناف خولان، مجلة بين النهرين، العدد ٤٣، لسنة ١٩٨٣م، ص٢٣٩.
(٤) انظر: المطاع، إبراهيم أحمد، جامع الإمام الهادي إلى الحق والمنشآت المعمارية الملحقة به في مدينة صعدة باليمن، دراسة أثرية معمارية مقارنة، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، قنا، ٢٠٠٠م، ص٢٧٤. وكذلك: سيف، علي سعيد، الأضرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري- وحتى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ١٩٩٨م، ص١٨٨.
(٥) ابن منظور، لسان العرب، جـ١٣، ص٢٩٥.
(٦) عبو، فرج، علم عناصر الفن، إيطاليا، ميلانو، دار دلفن للنشر،١٩٨٢م، ص١٢٠.
(٧) الألفي، أبو صالح، المصدر السابق، ص١٠٥.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

تشير المصادر التاريخية إلى أن مواد الأصباغ الأولية كانت تزرع في اليمن، لاسيما وأن أغلب مواد الأصباغ في هذه الحقبة التاريخية كانت تستخرج من النباتات(١)، وهي الألوان التي كانت تستخدم أساسًا في عملية صباغة النسيج(٢)، إذ استفاد منها النقاشون والمزوقون في العصر الرسولي، فالألوان تعكس دلالات اجتماعية تعبر عن الغنى والترف(٣)، كما يلاحظ وجود ارتباط قوي وواضح بين ألوان صباغة النسيج، وألوان رسوم المنمنمات وتزويقها، وألوان زخارف هذه المصندقات، لأن الناتج الفني في أي حرفة مصدر إلهام للحرفيين الآخرين، سواء كانوا نساجين أو مزوقين أو نقاشين أو غيرهم من أصحاب المهن والحرف السائدة في المجتمع الإسلامي آنذاك، وليس بالضرورة أن من أنتج هذه التصاميم المنفذة بالألوان على المصندقات قد نقل نماذجه بشكل مباشر من عمل فني آخر، لأن عمل الفنان اقتصر على الاقتباس غير المباشر، وذلك باستخدام ألوان تتلاءم مع طبيعة المادة الخام التي ينفذ عليها عمله الفني(٤).

لقد برع النقاش* اليمني في مجال التنظيم المعقد للألوان، فأوجد تركيبات لونية يسر العين بهاؤها، وتولد لدى المشاهد أعمق الأحاسيس والانفعالات،

(١) الفقي، عصام الدين عبد الرؤف، اليمن في ظل الإسلام، منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٢٤٥- ٢٤٧.

(٢) خليفة، ربيع حامد، المصدر السابق، ص١٦٩.

(٣) غيلان، غيلان حمود، زخارف الفريسكو في المدرسة المظفرية بمدينة تعز- اليمن، دراسة في الشكل والمضمون، الندوة العالمية السادسة لدراسات الجزيرة العربية. الكتاب السادس، جامعة الملك سعود، الرياض ٢٠٠٦م، ص٤٤٦.

(٤) المالكي، فوزيه مهدي، اثر المدرسة العربية في التصوير على الخزف، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧م، ص٣٣٢.

* النقاش: هو من يبسط الدهن على الحيطان ويرسم بالألوان الأشكال على اختلاف أنواعها. محمد، بلاسم، المصدر السابق، ص١٣٦.

وتمكن من إيجاد علاقات جديدة مبنية على قواعد لونية قوامها الكثافة والتعاقب والتضاد، وبرزت لديه براعة وإتقان في توزيع الألوان ومزجها، بحيث تبدو وكأنها تحاور بعضها البعض(١)، غير الألوان المستخدمة في تزيين هذه المصندقات كانت محدودة، إذ اعتمد على اللون الأبيض والأسود والأخضر، إلا أن أكثرها هو اللون الأحمر بدرجاته المختلفة بحيث لم تخل منه مصندقة، فاللون الأحمر من الألوان الشائعة عند العرب حتى قيل: «إن جمال كل مجلس أن يكون سقفه أحمر»(٢)، وبذلك حقق الفنان غرضه الوظيفي والجمالي، فالألوان تؤدي وظيفة النور، وقد استخدم الفنان ألوان نقية في تزيين عناصر هذا التكوين(٣)، كما استفاد من لون خامة الخشب وملمسها عندما شكل بها ما يشبه سعف النخيل، وألّف بهذه العناصر التشكيلية هذا التكوين، لأن التكوين هو جمع العناصر التشكيلية في حيز معين ضمن مفاهيم ونظرة خاصة يعتمدها الفنان، تستمد شكلها النهائي من عالم الأفكار التي صاغت هذه العناصر على وفق منهج جمالي(٤).

**نتائج البحث:**

لقد توصل البحث إلى عدد من النتائج أهمها:

- أن مصندقات السقف بمسجد قيدان تم فيها مراعاة أسس التشكيل الزخرفي المعتمد على التكرار، والتوازن، والتناظر، وحققت تشكيلاتها اللونية قيمًا جمالية اعتمدت على مبدا التضاد اللوني.

(١) غيلان، غيلان حمود، المصدر السابق، ص٤٤٧.
(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق فوزي عطوي، بيروت، ١٩٦٨م، ص٩٥
(٣) الألفي، أبو صالح، المصدر السابق، ص١٠٧
(٤) الدوري، عياض عبد الرحمن، دلالات اللون في الفن العربي الإسلامي، دار الشئون الثقافية، ط١، بغداد، ٢٠٠٣م، ص٣١-٣٢.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

- تمكن من قاموا بالعمل من ضبط معايير الجمالية الإسلامية، وتحقق بذلك قيمًا من الجمال على زخارف هذه المصندقات.
- استخدم الفنان في تزيين هذه المصندقات مزيجًا رائعًا من العناصر الزخرفية المتنوعة، التي يمكن تقسيمها إلى أقسام رئيسة هي: الزخرفة الهندسية، والزخرفة النباتية، والزخرفة الكتابية.
- ظهرت العناصر الزخرفية الهندسية على مصندقات سقف مسجد قيدان بشكل متطور فهي تشبه الزخارف الهندسية المنفذة بالألوان (الفريسكو) على مباني العصر الرسولي في مدينة تعز.
- يتضح لنا من تحوير العناصر النباتية وتجريدها على هذه المصندقات، أنها لم تتباين كثيرًا عمّا وجد في غيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى.
- أجاد الخطاط اليمني الكتابة بالخط الكوفي، كما التزم بقواعد خط الثلث ومميزاته، ونفذه على طريقة ابن البواب.
- استفاد النقاشون ومزوقو المصندقات بالألوان، من ألوان صباغة النسيج.
- استنتج الباحث بعد تحليل الزخارف والكتابات أن تاريخ المصندقات، وكذلك بناء المسجد يرجع إلى القرنين (٦ -٧ هـ/ ١٢-١٣م).

**توصية البحث:**

يوصي الباحث بسرعة ترميم مصندقات سقف مسجد قيدان الأثرية، للحفاظ عليها قبل تعرضها للتلف بسبب الرطوبة وضياعها للأبد.

## المصادر والمراجع

١- القران الكريم.
٢- ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم (ت ٧١١ه)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٠م.
٣- الأعظمي، خالد خليل حمودي، الزخارف الجدارية في آثار بغداد، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٠م.
٤- الألفي، أبو صالح، الفن الإسلامي، أصوله، فلسفته، مدارسه، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.
٥- الباشا، حسن، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، أوراق شرقية، المجلد الأول، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.
٦- بدوي، أحمد وآخرون، المعجم العربي الميسر، ط ١، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٩١م.
٧- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، صنعاء، ١٩٨٣م.
٨- البحيري، صلاح الدين، نص هام عن أحوال دار الطراز المصرية في أوائل عصر الدولة الأيوبية، نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٣م.
٩- بهنسي، عفيف، أثر الجمالية الإسلامية في الفن الحديث، دار الكتاب العربي، ط١، القاهرة ودمشق، ١٩٩٨م.
١٠- بهنسي، عفيف، تراث الفن الإسلامي والمستقبل، دورية الإسلام اليوم، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، العدد الثاني عشر، السنة الثانية عشرة، ١٩٩٤.
١١- بهنسي، عفيف، دراسات نظرية في الفن العربي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.
١٢- بهنسي، عفيف، معاني النجوم في الرقش العربي، بحث منشور في أعمال الندوة العالمية، الفنون الإسلامية، المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة، استانبول، دار

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

الفكر، دمشق، ١٩٨٩م٠

١٣- بورتر، فنيشيا، الزجاج ذو الزخارف المموهه بالمينا المصنوع لسلاطين بني رسول، دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، ترجمة نهى صادق، بدون مكان طبع، ٢٠٠٢م.

١٤- الجاحظ، عمر بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق فوزي عطوي، بيروت، ١٩٦٨م.

١٥- الجبوري، محمود شكر، الخط العربي والزخرفة الإسلامية، دار الأمل، إربد، الأردن، ١٩٩٨م.

١٦- الجمعة، أحمد قاسم، الزخرفة الرخامية، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الثالث، جامعة الموصل، ط١، الموصل، العراق، ١٩٩٢م.

١٧- الحداد، محمد حمزة إسماعيل، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنقوش الآثارية والنصوص الوثائقية والتاريخية، زهراء الشرق، ط ٣، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٨- حسن، زكي محمد، فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.

١٩- حسين، محمود إبراهيم، الزخرفة الإسلامية، الأرابيسك، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٧م.

٢٠- حمزة، حمود حمزة، التوريق والتزهير في الخط الكوفي حتى منتصف القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٠م.

٢١- حميد، عبد العزيز، الزخرفة في الآجر، حضارة العراق، جـ٩، بغداد، ١٩٨٥م.

٢٢- حميد، عبد العزيز، والعبيدي، صلاح حسين، الفنون العربية الإسلامية، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٩م.

٢٣- حنش، أدهام محمد، الخط العربي وإشكالية النقد الفني، مكتب الأمراء للنشر والدعاية والإعلان، ط١، بغداد، العراق، ١٩٩٠م.

٢٤- خليفة، ربيع حامد، الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية،ط١، القاهرة،١٩٩٢م.

٢٥- خليفة، ربيع حامد، نظرة جديدة على تاريخ وزخارف الجامع الكبير بصنعاء، مجلة الوطن، العدد العاشر، ١٩٨٦م.

٢٦- داوُد، عبد الرضا بهية، الأسس الفنية للزخارف الجدارية في المدرسة المستنصرية، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ١٩٨٧م.

٢٧- الدوري، عياض عبد الرحمن، دلالات اللون في الفن العربي الإسلامي، دار الشؤون الثقافية، ط١، بغداد، ٢٠٠٣م.

٢٨- رزق، عاصم، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط ١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢٩- ريد، هربرت، معنى الفن، ترجمة سامي حسين، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٩م.

٣٠- سالم، عبد العزيز صلاح، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، جـ ٢، مركز الكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٣١- السمهودي، نور الدين على بن أحمد (ت ٩١١هـ)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٧م.

٣٢- سيف، علي سعيد، الأضرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري- وحتى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ١٩٩٨م.

٣٣- شافعي، فريد، زخارف وطرز سامراء، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد (القاهرة)، مجلد ١٣، جـ ٢، ١٩٥٣م.

٣٤- صادق، نهى، المؤرخ الخزرجي وعمله في زخرفة العمائر، دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٢م

٣٥- صالح، عبد العزيز حميد، دفتر، ناهض عبد الرزاق والعبيدي، صلاح حسين، الخط العربي، جامعة بغداد، العراق،١٩٩٠م.

36- الصقر، إياد، الفنون الإسلامية، ط1، دار مجدلاوي، عمان، الأردن،2003م.


للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

37- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي،جـ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

٣٨- الطايش، علي أحمد، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة( فن العصرين الأموي والعباسي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٣٩- عبد الله، إياد حسين، اختلاف المنطق الجمالي بين الخط العربي واللوحة الغربية، أوراق الندوة الفنية التداولية، المتعالق بين الخطاط والفنان، ط١، الشارقة، الأمارات،٢٠٠٧م.

٤٠- عبو، فرج، علم عناصر الفن، إيطاليا، ميلانو، دار دلفن للنشر، ١٩٨٢م.

٤١- العبيدي، صلاح حسين، التحف المعدنية، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الثالث، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل، العراق،١٩٩٢م.

٤٢- عفيفي، فوزي سالم، نشأة الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي والاجتماعي، ط١، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠م.

٤٣- علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.

٤٤- غالب، عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، جروس بروس، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.

٤٥- غيلان، غيلان حمود، الأخشاب المزخرفة في اليمن (٢٦٥- ٥٣٢هـ/ ٨٧٨- ١١٣٧م)، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦م.

46- غيلان، غيلان حمود، زخارف الفريسكو في المدرسة المظفرية بمدينة تعز- اليمن، دراسة في الشكل والمضمون، الندوة العالمية السادسة لدراسات الجزيرة العربية، الكتاب السادس، جامعة الملك سعود، الرياض 2006م.

47- غيلان، غيلان حمود، محاريب صنعاء حتى أواخر القرن (١٢هـ/ ١٨م)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م.

٤٨- غيلان، غيلان حمود، زخارف مصندقات مسجد قيدان إبداع إسلامي متميز، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد ٧. ( تحت الطبع)

٤٩- الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، اليمن في ظل الإسلام، منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢م.
٥٠- القفاش، أسامة، مفاهيم الجمال، رؤية إسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، القاهرة،١٩٩٦م.
٥١- القلقشندى، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، جـ٣.
٥٢- كامل، عبد العزيز، الفن الإسلامي بين الدين والإبداع، أعمال الندوة العالمية، الفنون الإسلامية، المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة، استانبول، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م.
٥٣- ماهر، سعاد، الخزف التركي، مطابع مدكور، ١٩٦٠م.
٥٤- المالكي، فوزية مهدي، أثر المدرسة العربية في التصوير على الخزف، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧م.
٥٥- محمد، بلاسم، تأويل الفراغ في الفنون الإسلامية، دار مجدلاوي، ط١، عمان، ٢٠٠٨م.
٥٦- محمد، غازي رجب، زهرة اللؤلؤ على تحف وآثار بني رسول في اليمن، أعمال المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية، جـ٢، صنعاء، ٢٠٠٥م.
٥٧- محمد، غازي رجب، من روائع العمارة العربية الإسلامية في اليمن، ضريح العباس في أسناف خولان، مجلة بين النهرين، العدد ٤٣، لسنة ١٩٨٣م.
٥٨- مرزوق، محمد عبد العزيز، الفن الإسلامي، تاريخه وخصائصه، مطبعة أسعد، بغداد،١٩٦٥م.
٥٩- المطاع، إبراهيم أحمد، جامع الإمام الهادي إلى الحق والمنشآت المعمارية الملحقة به في مدينة صعدة باليمن، دراسة أثرية معمارية مقارنة، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، قنا، ٢٠٠٠م.
٦٠- النحاس، أسامة، الوحدات الزخرفية الإسلامية، بل برنت، القاهرة، بدون تاريخ طبع.
٦١- الهمداني، حسين بن فيض الله، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، دار التنوير

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٦٢- ياسين، عبد الناصر، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

## المراجع الأجنبية:

1- Shafi, F, simple calyx Ornament in Islamic Arts, Cairo, 1957.

2- Lamm, c. j. Fatimid wood work it's style and chronology in،B.i.E, Paris 1936.

3- Preliminary Reports of the Campaigns on Islamic Antiquities (years 1984, 1985, 1986) materials for a Typology of the Yemeni mosques، Italian Archaeological Mission in Yemen Arab Republic, ISMEO-ROME.

شكل (١) (نقلًا عن البعثة الإيطالية)

شكل (٢) (الباحث)

شكل (٣) (الباحث)

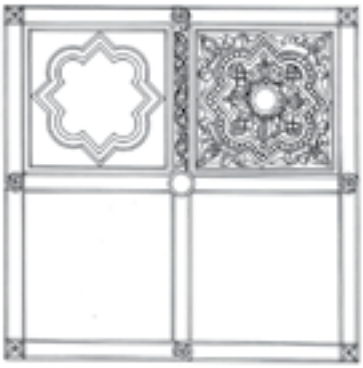

شكل (٤) (الباحث)

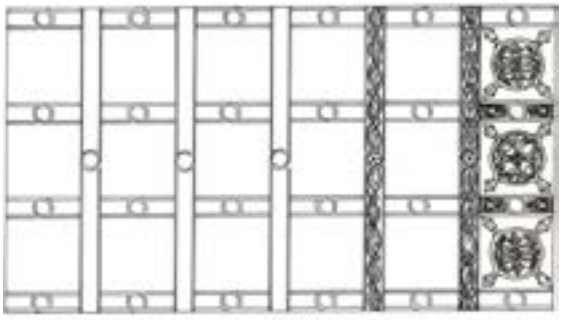

شكل (٥) (الباحث)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

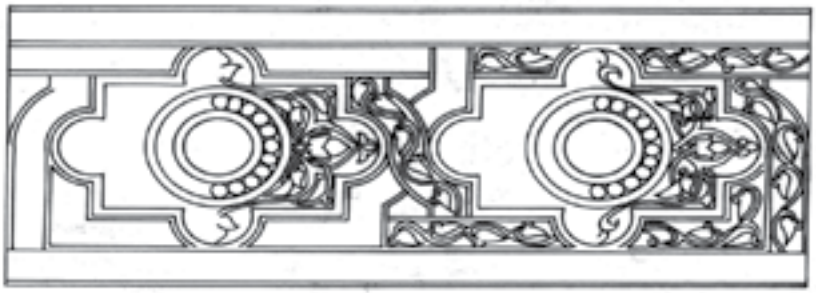

شكل (٦) (الباحث)

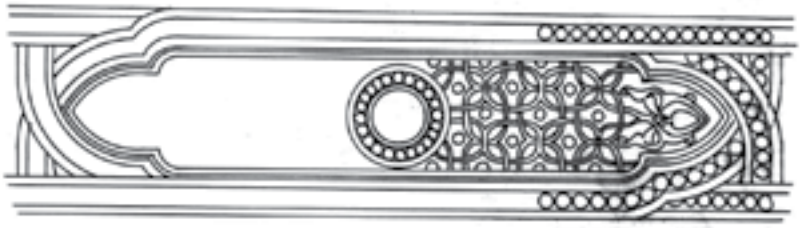

شكل (٧) (الباحث)

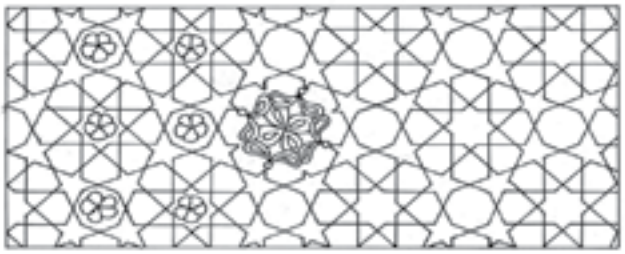

شكل (٨) (الباحث)

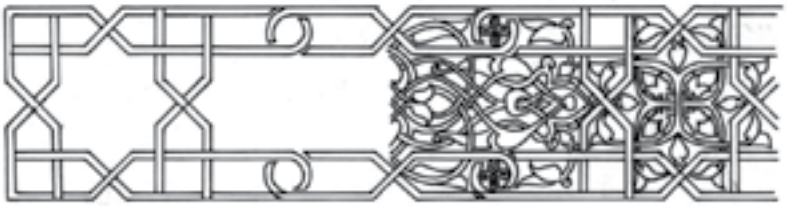

شكل (٩) (الباحث)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

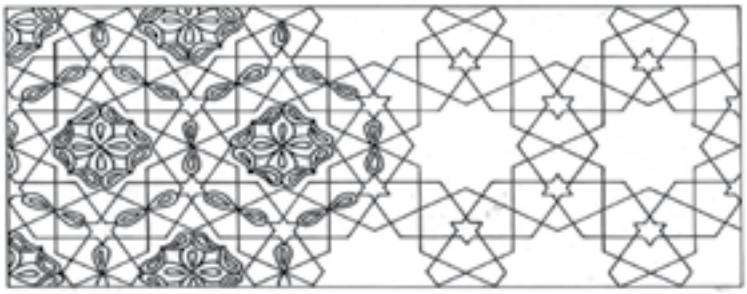

شكل (١٠) (الباحث)

شكل (١١) (الباحث)

شكل (١٢) (الباحث)

شكل (١٣) (الباحث)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

لوحة (١) ( الباحث بالاعتماد على الخريطة السياحية)

لوحة (٢) (الباحث)

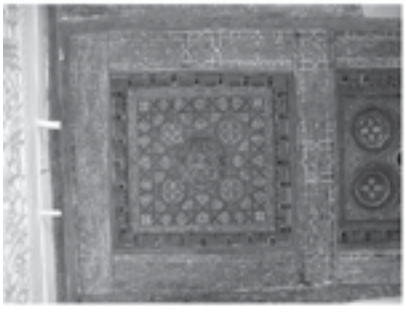

لوحة (٣) (الباحث)

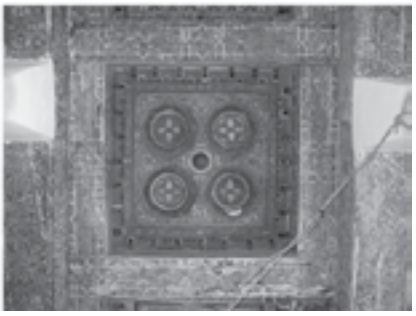

لوحة (٤) (الباحث)

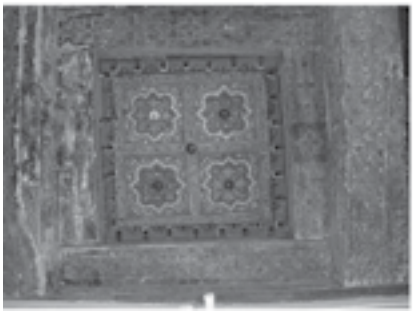

لوحة (٥) (الباحث)

لوحة (٦) (الباحث)

لوحة (٧) (الباحث)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

لوحة (٨) (الباحث)

لوحة (٩) (الباحث)

لوحة (١٠) (عن فنستر)

لوحة (١١) (عن فنستر)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

# تعثر النضال الوطني الفلسطيني ١٩٤٧ - ١٩٩٣م

د. محمد رجب جرادة[١]

**الملخص:**

موضوع البحث هو الإجابة عن سؤال، لماذا تعثر النضال الوطني الفلسطيني، ولم يحقق أهدافه الوطنية؟

وللإجابة على هذا السؤال قسمت البحث إلى أربعة مباحث:

١- مبحث يتناول نشأه منظمة التحرير والموقف العربي الرسمي الذي سعى إلى احتوائه من البداية.

٢- مبحث يتحدث عن أبرز الأحداث المؤثرة التي أثرت على النضال الفلسطيني للمدة ١٩٦٤- ١٩٦٧م.

٣- المبحث الثالث يتحدث عن مجزرة أيلول حتى الاجتياح الصهيوني على لبنان عام ١٩٨٢م.

٤- المبحث الرابع جزء منه تناول الحلول السياسية المشبوهة منذ بدء مشروع روجرف ١٩٧٠ إلى أرسلو ١٩٩٣م، تلك المشاريع التي أدتها القيادة الفلسطينية للحصول على مكاسب سياسية تحقق الأهداف الاستراتيجية.

(١) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك في قسم التاريخ بكلية الآداب – جامعة عدن.

وكان الهدف من طرح هذه المشاريع حرف النضال الوطني الفلسطيني عن المقاومة، وتجريدة من السلاح وتركة يعيش في أوهام دولة مستقلة عاصمتها القدس، هذا ما كان له بالغ الأثر في تعثر النضال الوطني الفلسطيني إلى حدٍّ كبير.

**Abstract:**

The subject of this research is to provide an answer to the question that is why the Palestinian national struggle has faltered and has not achieved its national goals.

The response to this question divided the research into four disciplines.

1 - The first discipline deals with the emergence of the PLO and the official Arab position, which sought to contain it from the beginning.

2 - The second discipline that talks about the most important events affecting the Palestinian struggle for the period 1964-1967.

3 - The third discipline that touches on the massacre of September until the Zionist invasion of Lebanon in 1982.

4 - The fourth discipline in which a part deals with the suspicious political solutions since the beginning of the project of Rogfer 1970 to Arslo 1993.

Those projects that led the Palestinian leadership to get political gains that achieve strategic goals. The aim of these projects was to characterize the Palestinian national struggle for resistance, to strip and confiscate its weapons as well as cause it to live in the delusions of an independent state with Jerusalem as its capital. This had a profound impact on the Palestinian national struggle to a large extent

**المقدمة:**

تعرضت الساحة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية منذُ نشأتها لمشاكل وأخطار عديدة، أدّت دوراً أساسيـًا في تعثر النضال الوطني الفلسطيني وتحقيق أهدافه



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

الوطنية التي تتمثل في حق العودة للاجئين الفلسطينيين، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. وإن عدم تحقيق هذه الأهداف في الوقت الذي أعلن فيه الكيان الصهيوني إقامة دولته على أرض فلسطين المحتلة منذُ ١٥ أيار سنة ١٩٤٨م جعلنا نقف أمام هذا الموضوع: لماذا تعثر النضال الوطني الفلسطيني؟.

وإن الإجابة على هذا السؤال هي موضوع بحثنا في إطار منهج البحث التاريخي الذي يتعاطى مع المراحل التاريخية للموضوع، والذي سيتم بحثه في أربعة مباحث: في المبحث الأول سيتم تناول قيام منظمة التحرير الفلسطينية وموقف النظام الرسمي العربي منها، والذي كان هادفًا منذُ البداية إلى العمل على احتوائها واحتواء قرارها السياسي، وفي المبحث الثاني سيتم بحث أهم الأحداث المؤثرة التي انعكست سلبًا على نضال الشعب الفلسطيني منذُ عام ١٩٦٤م حتى نكست حزيران ١٩٦٧م، أما المبحث الثالث فيركز على أحداث أيلول الأسود عام ١٩٧٠م حتى الاجتياح الصهيوني للبنان، التي كانتا لهما بالغ الأثر على تعثر النضال الفلسطيني، وفي المبحث الرابع سيتم البحث في إطار الحلول السياسية المشبوهة المطروحة لحل القضية الفلسطينية، بدءًا من مشروع روجرز عام ١٩٧٠م مروراً بكل المشاريع التي طرحت حتى عام ١٩٩٣م وتوقيع اتفاق أوسلو.

وإن تلك الحلول المطروحة كانت مؤشراً واضحًا على ما اعتقدت به الأوساط الدولية الضالعة في التآمر على القضية الفلسطينية والمسؤولة في الجانب الأساسي على تعثر النضال الفلسطيني، من خلال خلق الوهم بالحلول محاولة حرف النضال الفلسطيني عن أهدافه الاستراتيجية في استعادة الأرض وإقامة دولته الفلسطينية المستقلة على ترابه الوطني .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

## المبحث الأول

## قيام منظمة التحرير الفلسطينية

في السنوات الأخيرة من الخمسينيات وأَوائل الستينيات من القرن العشرين تشكلت تنظيمات ومنظمات سياسية تسعى إلى تحرير فلسطين، وكان لنجاح الثورة الجزائرية عام ١٩٦٢م أثرًا كبيرًا في تحفيز الفلسطينيين للمقاومة، كما كان لفشل تجربة الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨-١٩٦١م عامل سلبي على الأمة العربية بشكل عام وعلى الشعب الفلسطيني بوجه خاص لدفع الفلسطينيين إلى عدم الانتظار لتحقيق الوحدة العربية وانتظار العرب حتى يحلوا خلافاتهم(١).

وهنا خشيت بعض الأنظمة العربية أن تكون كل هذه التطورات خارج سيطرتهم وخاصة مصر، والتي بادرت إلى إيجاد شكل مؤسسي يمثل الفلسطينيين ويبقيهم تحت السيطرة قدر الإمكان.

جاءت الدعوة من الرئيس/ عبدالناصر في ٢٣ كانون أول ١٩٦٣م إلى مؤتمر القمة العربي والذي عقد في يناير ١٩٦٤م، وتم دعوة أحمد الشقيري والذي كان مندوبًا فلسطينيًّا آنذاك في الجامعة العربية لحضور هذا المؤتمر(٢).

لم يكن موضوع فلسطين هو الأساس في جدول القمة العربية، إذ كانت قضايا أخرى مطروحة منها:

١- التصدي للمشروع الصهيوني لتحويل مياه نهر الأردن.

٢- تنقية العلاقات العربية.

(١) الحجاوي أحمد يوسف، المسار التاريخي للنضال الوطني الفلسطيني، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ، ص٢٩٤.

(٢) الهيئة العامة للاستعلامات ( ملف وثائق فلسطين ) الجزء الثاني، وزارة الإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٧٠م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

طُرح الموضوع الفلسطيني للمناقشة، وطرحت مجموعة مقترحات وتصورات وبالنتيجة اتخذت قراراً عاماً يطالب بضرورة تنظيم الشعب الفلسطيني، والملفت للنظر تجنب ذكر الكيان الفلسطيني في البيان الختامي للقمة العربية؟

كُلف أحمد الشقيري من القمة العربية بالقيام باتصالاته من أجل إيجاد الصيغة الملائمة لتنظيم الشعب الفلسطيني(١).

استغل أحمد الشقيري هذا التكليف ودعا إلى عقد مجلس وطني في القدس في ٢٨ مايو-أيار ١٩٦٤م حضرته قيادات عن التجمعات الفلسطينية دُعي الملك حسين ملك الأردن إلى حضور الافتتاح، دون غيره بسبب تحفظاته على قيام منظمة التحرير، وهدف الشقيري بهذه اللفتة أن يزيل تحفظات الملك والتي كشف عنها بعد حين. وفي المجلس الوطني تم إقرار الميثاق القومي الفلسطيني، والنظام الأساسي لمنظمة التحرير كما اقترحها الشقيري، ومن أهم ما جاء في الميثاق القومي الفلسطيني ما يلي:-

١- التأكيد على عروبة فلسطين، وحق أبناء فلسطين في أرضهم.

٢- رفض المشروع الصهيوني، ورفض الاعتراف بالدولة اليهودية الصهيونية.

٣- رفض قرار تقسيم فلسطين ١٩٢٧م.

٤- الدعوة للجهاد المقدس حتى تحرير فلسطين.

٥- اعتبار تحرير فلسطين وتحقيق الوحدة هدفين متكاملين يؤدي أحدهما إلى تحقيق الآخر.

وقد تجاوز الشقيري وجهة نظر بعض الأنظمة العربية فيما كلف، فكان أن يقدم تصوراً للجامعة العربية في اجتماعها المقبل، وكان يخشى الشقيري أن تعود القضية

(١) الشقيري أحمد، من القمة إلى الهزيمة، دار العودة، بيروت، ١٩٧١م، ص٥٠.

الفلسطينية للأدراج في الجامعة العربية ويموت مشروع التحرير[١].

ولعل ما كان يخشاه الشقيري قد حصل على أرض الواقع، فقيام منظمة التحرير شكل حساسية كبيرة عند الأردن حيث كان يشكل سكانها الأغلبية من أبناء الشعب الفلسطيني ويحملون الجنسية الأردنية.

وهذا ما يفسر لاحقًا محاولة المنظمة إنشاء قوات فلسطينية في الضفة الغربية وتجنيد الفلسطينيين، غير أن هذا جوبه بمعارضة شديدة من النظام الأردني، ومنذ ذلك الحين بدأ التوتر والاتهامات مما أعاق تعبئة الفلسطينيين في الضفة الغربية وحتى في الضفة الشرقية[٢].

وفي الوقت نفسه أخذت حركة فتح تنظر مع غيرها من التنظيمات إلى المنظمة نظرة شك، خشية أن تكون أداة لبعض الأنظمة العربية على الساحة الفلسطينية، ورغم كل ما واجهت المنظمة من صعوبات إلا أنها نجحت في تثبيت مؤسساتها وأصبحت الجهة الأكثر تمثيلاً للشعب الفلسطيني[٣].

**تشكلت مؤسسات منظمة التحرير على النحو الآتي:**

١- **اللجنة التنفيذية** وهي أعلى سلطة تنفيذية.

٢- **المجلس الوطني الفلسطيني**، وهو الهيئة التمثيلية التشريعية العليا للشعب الفلسطيني داخل فلسطين وخارجها، ومن الطبيعي أن يوضع هو سياسة المنظمة وأن يكون له اجتماعات دورية، ولكنها لم تتم إلا في أوقات متباعدة لمجموعة أسباب منها تعذر الدولة المضيفة لعقد دورات المجلس الوطني.

(١) صالح محسن، فلسطين دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٣٦٥.

(٢) عبدالهادي مهدي، المسألة الفلسطينية، ص١٨٦.

(٣) جبارة تيسير، تاريخ فلسطين الشروق، ١٩٩٨م، ص٣٤٢.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

٣- **المجلس المركزي**: في دورة المجلس الحادية عشرة ١٩٧٣م شُكل المجلس المركزي الفلسطيني ليكون حلقة وصل بين المجلس الوطني الذي لا يجتمع إلا كل عام وبين اللجنة التنفيذية[١].

ومن الأجهزة المهمة في المنظمة جيش التحرير الفلسطيني؛ ففي ٥/ ٩/ ١٩٦٤م عُقد مؤتمر القمة العربي الثاني في الإسكندرية وأُقر فيه ميزانية منظمة التحرير الفلسطينية، واعتماد قرار بإنشاء جيش التحرير الفلسطيني، وكانت أول كتيبة تُشكل من قوات جيش التحرير هي كتيبة حطين في سوريا، ثم تشكلت قوات القادسية في العراق، وعين جالوت في غزة، ولكن المشكلة كانت في أن هذه القوات كانت تتبع البلد الذي تتواجد فيه سياسيًا. أي لا يوجد استقلالية لهذه القوات ولا يوجد عليها سيطرة مباشرة من قيادة منظمة التحرير، وكل قوة من هذا الجيش أصبحت لاحقًا محسوبة على هذه الدول المتواجدة على أرضها وهذا عامل من عوامل الأزمة[٢].

## المبحث الثاني
## أحداث سياسية مؤثرة

١- في ١٢/ ٤/ ١٩٦٤م ألقى الرئيس التونسي بورقيبة خطابًا في تونس بعد عودته من زيارة الأردن دعا فيه إلى تسوية النزاع العربي الإسرائيلي على أساس قرار التقسيم على النحو الآتي:

- تعيد إسرائيل إلى العرب ثلثي المساحة التي احتلتها منذ إنشائها لتقوم عليها دولة فلسطينية.
- يعود اللاجئون إلى دولتهم الجديدة.

(١) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها، ص٣٢٤.
(٢) قاسمية خيرية، أحمد الشقيري زعيماً فلسطينياً ورائداً عربياً، ص٥٧١.

- تتم مصالحة، ويعقد سلام بين الدول العربية وإسرائيل ينهي الحرب.
- تبدأ المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين ثم بين إسرائيل والحكومات العربية في روما أو أي عاصمة أخرى[١].

جاءت دعوة بورقيبة المرفوضة من الشعب الفلسطيني في الوقت الذي اعتبر فيه الشعب الفلسطيني أنه حقق انتصارًا كبيرًا في قيام منظمة التحرير وإرساء المؤسسات وتأسيس جيش التحرير لتثير تساؤلات عديدة في هذا الوقت.

لقد خلقت بلبلة كبيرة في الساحة الفلسطينية ولدى الشعب العربي الذي رفضها أيضًا، وقامت مسيرات في فلسطين وبلدان عربية تندد بتصريحات بورقيبة.

لم تكن مثل هذه التصريحات لتخدم النضال الفلسطيني والثورة الفلسطينية وهي في بداية الطريق نحو التحرير[٢].

٢- تصاعد الخلاف بين المنظمة والحكومة الأردنية:

عمدت الحكومة الأردنية إلى تجميد أي نشاط للمنظمة في الضفة الشرقية والغربية، وكانت تخشى الأردن من إعلان الشقيري عن تشكيل كيان فلسطيني في الضفة الغربية، وازداد الخلاف نتيجة الغارة الإسرائيلية على قرية السموع قرب الخليل في ١٣/ ١١/ ١٩٦٦م بحجة أن هذه القرية ساعدت الفدائيين الفلسطينيين. وعلى أثرها قامت مظاهرات عمت الضفة الغربية تطالب بتسليح الأهالي وتدريبهم وفتح المجال للمنظمة لتمارس دورها في صفوف الفلسطينيين[٣].

(١) الموسوعة الفلسطينية، مجلد ٥، ص١٨٣.
(٢) كوبان هيلينا، المنظمة تحت المجهر، ص٦١. وانظر صلاح خلف، فلسطين بلا هوية، ص٧٦- ٧٨.
(٣) المصدر نفسه، ص٩٦.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

٣- تعكير العلاقات بين مصر والمنظمة:

حصل استياء لدى مصر من زيارة الشقيري إلى الصين وتوقيعه اتفاقية مع الصين بشراء صفقة أسلحة وشحنها إلى ميناء غزة دون التنسيق مع مصر، وهذا ما جعل الشقيري يصرح لولا مصر ولولا عبدالناصر لما قامت منظمة التحرير، وأوضح عبدالناصر في ٣١/ ٥/ ١٩٦٥م بأن بلاده مستعدة لتقديم الدعم للمنظمة وإقامة المعسكرات على الأراضي المصرية(١).

**نكسة ١٩٦٧م وانعكاساتها على الثورة الفلسطينية:**

حلت الكارثة الكبرى وضاع ما تبقى من فلسطين: الضفة الغربية، وقطاع غزة وتعرى الضعف العربي، وضاعت آمال العرب التي كانت معلقة على الشعارات القومية لتحرير فلسطين.

وفي مقابل ذلك لم يكن أمام الأنظمة العربية التي منيت بالهزيمة إلا أن توافق على فتح المجال أمام العمل الفدائي الفلسطيني بدافع التنفيس عن مشاعر الجماهير العربية(٢).

ولذلك فقد رأت أن تكون هناك مقاومة فلسطينية تحت السيطرة، مقاومة لا تشكل إي إحراج، مقاومة ليست قوية، وهذا ما يفسر سياسة تقليم الأظافر التي اتبعتها الأنظمة العربية مع الثورة الفلسطينية، وهذا ما سأبينه لاحقًا.

قبل حرب ١٩٦٧م كان اتجاه منظمة التحرير الفلسطينية السياسي يسير بشكل علني على وفق الخط الذي تتخذه الدول العربية - لاسيما مصر- وتضفي الجامعة العربية الشرعية عليه، بينما التنظيمات الفلسطينية الأخرى والتي تعمل بشكل

(١) الموسوعة الفلسطينية، ج٥، ص٢٠١، انظر خطاب عبدالناصر في جريدة المنار، ١/ ٦/ ١٩٦٥م، عدد ١٥٢٧.

(٢) فرسون سميح، فلسطين والفلسطينيون، مركز دراسات الوحدة العربية، ص٣٦٧.

سري تأثرت إستراتيجيتها بالثورات التي جرت في الجزائر، وكوبا، والصين وبحرب فيتنام وغيرها، وكانت حركة المقاومة الفلسطينية تعد تلك الأحداث بمثابة الثورات والحركات التحررية الوطنية التي نجحت باتباعها أساليب حرب العصابات والحرب الشعبية في وجه قوة عسكرية طاغية، من هنا باتت المنظمات الفلسطينية الشعبية ترى في الكفاح المسلح أساسًا لاسترداد الوطن المفقود.

وترى حركة المقاومة الفلسطينية خلافًا لما كانت تراه الدول العربية القومية، أن تحرير فلسطين لا يتم بحرب تقليدية ضد إسرائيل، وإنما بكفاح طويل الأمد على شكل حرب العصابات والحرب الشعبية، ومع أن معظم المنظمات الفلسطينية متفقة على شكل الكفاح، فإنها في الوقت ذاته مختلفة بشأن الدور الذي تقوم به الدول العربية في هذا الكفاح[١].

في أعقاب هزيمة ١٩٦٧م لم تستطع البلدان العربية التي تعرضت للهزيمة ودمرت قواتها العسكرية أن تقوم بأي نوع من أنواع المقاومة للاحتلال، بينما الفدائيون الفلسطينيون وحدهم كان لهم الدور الكبير في شن هجمات فدائية ضد قوات الاحتلال التي تفوقهم عددًا وعدة[٢].

**حرب ١٩٦٧م فرضت تغييرات مهمة في منظمة التحرير الفلسطينية أهمها:**

١- إعادة النظر في منظمة التحرير وقيادتها.

٢- تقديم أحمد الشقيري استقالته في ٢٤/ ديسمبر/ ١٩٦٧م وتولي يحيى حمودة رئاسة اللجنة التنفيذية بالوكالة.

(١) Abulgadand Eric Ronlean, My home My Land: A narrative of the Palestinian struggle. Translation by Lindu Butler, Koseolga (NewYork: TimesBooks 1981, pp.20-23, and Quandt.

(٢) Y. Harkabi, Fedayeen Action and Arab Strategy, Adelphi papers, no J3 .London Institute for strategic studies, 1968, p.27



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +201008170225

٣- دخول منظمات فصائل العمل الوطني في منظمة التحرير الفلسطينية.

٤- إعادة صياغة الميثاق القومي الفلسطيني ليحل مكانه الميثاق الوطني الفلسطيني.

٥- إعادة النظر في عضوية المجلس الوطني الفلسطيني.

لقد نجح الفدائيون رسميًا في السيطرة على منظمة التحرير الفلسطينية، وحول الفدائيون منظمة التحرير إلى منظمة ثورية بقيادة ياسر عرفات[١].

**من نتائج حرب ١٩٦٧م:**

١- احتلال إسرائيل لما تبقى من فلسطين أي الضفة الغربية (٥٨٧٨ كم مربع)، وقطاع غزة (٣٦٣ كم مربع)، واحتلالها سيناء المصرية (٦١١٩٨ كم مربع)، والجولان السورية (١١٥٠ كم مربع)، ليصبح مجموع الأرض التي سيطر عليها الكيان الصهيوني (٨٩٣٥٩ كم مربع).

٢- تشريد نحو ٣٣٠ ألف فلسطيني.

٣- سيطرة الكيان الصهيوني على خطوط دفاع جديدة، وتوفير عمق إستراتيجي يسهل الدفاع عنه بشكل أفضل.

٤- سيطرة الكيان الصهيوني على منابع مياه الأردن، وفتح مضائق ثيران، وخليج العقبة للملاحة الإسرائيلية.

٥- فرض احتلال جديد للأراضي العربية، جعل هدف العرب فيما بعد استرجاع هذه الأراضي المحتلة ١٩٦٧م، وليس تحرير فلسطين ١٩٤٨م.

٦- تدمير القوات العسكرية لمصر والأردن وسوريا.

٧- انكشاف ضعف القيادات العربية، وانعدام التنسيق فيما بينها، وعدم جديتها في تحرير فلسطين.

(١) Cobban, Ibid, p.92-599, and Hirst, Ibid.

٨- ظهور المقاومة الفلسطينية المسلمة العلنية وبروز الهوية الوطنية الفلسطينية[١].

**انتعاش فكرة الترانسفير الصهيونية:***

ما أن مضى على حرب حزيران ١٩٦٧م أسبوعان حتى عقدت الحكومة الصهيونية جلسة سرية لبحث موضوع في غاية الأهمية قوامه السؤال الآتي: ماذا يتوجب على الحكومة فعله لمواجهة الخطر السكاني للفلسطينيين الناجم عن احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة حيث يقطنهما أكثر من مليون فلسطيني؟.

ومع أن مداولات تلك الجلسة بقيت سرًا، فإن الأفكار التي طرحت فيها وتم نقاشها في حينه عادت فظهرت في المفكرة السرية للدكتور يعقوب هرتسرغ، والذي شغل في حينه منصب مدير عام مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي، والتي قامت أرملته بتسليمها إلى الباحث الإسرائيلي مئير أبيدان[٢].

وفي هذا الصدد أشارت صحيفة (ها أرتس) الإسرائيلية في مقالة نُشرت في سبتمبر ١٩٨٨م إلى أن مناحيم بيجن أوصى بتصفية المخيمات الفلسطينية ونقل سكانها إلى سيناء، بينما طالب بنحاس بير وزير المالية آنذاك بنقل السكان إلى إحدى الدول المجاورة.

وقد كشف شارون النقاب عن تلك الخطة أيضًا وهو نفسه الذي أصدر الأوامر عام ١٩٦٤م بصفته بريجادير في القيادة الشمالية أوامره لكبار الضباط في المنطقة بتحديد عدد الشاحنات المطلوبة لشحن (٣٠٠) عربي خارج (الحدود الشمالية) في حالة نشوب الحرب[٣].

---

(١) مصدر سابق، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص٣٠٤.

* الترانسفير هو تعبير ملطف تستخدمه الحركة الصهيونية منذُ هرذل حتى اليوم كبديل عن تعبير التطهير العرقي والطرد الجماعي للفلسطينيين.

(٢) مبلحيان يوسي، تهجير الفلسطينيين بين الأمس واليوم، صحيفة دافار عدد ١٨/ ٩/ ١٩٨٨م.

(٣) بتريحان عوزي، كاتب إسرائيلي، كتاب قيصر إسرائيل بالإنجليزية.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

**لقد تجلت فكرة الترانسفير في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م في ممارستين:**

١- مصادرة الأراضي العربية والاستيلاء عليها بشتى الحيل والحجج القانونية وغير القانونية وإقامة المستوطنات اليهودية وتوطين القادمين الصهيونيين فيها.

٢- ممارسة الضغوط والإجبار على السكان الفلسطينيين لدفعهم لترك أراضيهم وبيوتهم، ولكن الفلسطينيين أدركوا أبعاد هذه الخطة وأحبطوه بتمسكهم بأراضيهم وبيوتهم رغم كل الظروف القاسية التي أحيطت بهم.

ولم تسلم أراضي عام ١٩٤٨م من الممارسات العنصرية والدعوات التهجيرية ضد الفلسطينيين ومنعهم من التوسع في البناء الطرفي في أراضيهم، واستمرت الدعوات السلبية من أجل ترحيل الفلسطينيين في الناصرة أو حيفا ويافا أو عكا.

وأهم هذه الدعوات هي التي أطلقها دافيد باراليف نائب رئيس بلدية عكا حيث دعا إلى تهويد المدينة وهذا لا يتم إلا من خلال ترحيل العرب[١].

## المبحث الثالث
## أيلول الأسود ١٩٧٠م

**عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته الاستثنائية في مخيم الوحدات بالأردن في عمّان في ٢٧-١٩٧٠/٨/٢٨م وكان من أهم قراراته:**

١- رفض قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ والمشاريع السياسية لحل أزمة الشرق الأوسط ومبادرة روجرز*.

٢- اعتبار ما يجري على الساحة الأردنية جزءًا من مخطط شامل ضد الثورة الفلسطينية.

(١) صحيفة بديعوت أمرانوت، عدد ٦/ ١٢/ ١٩٨٨م.

* مبادرة روجرز مبادرة قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية في ٥ يونيو ١٩٧٠م عن طريق وزير خارجيتها وليام روجرز، لوقف إطلاق النار لمدة ٩٠ يومًا بين مصر وإسرائيل، وأن يدخل الطرفان في مفاوضات.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

٣- التأكيد على منهج الكفاح المسلح لطريق وحيد لتحرير فلسطين.

٤- التأكيد على الصفة التمثيلية لمنظمة التحرير باعتبارها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني.

٥- تأكيد وحدة الشعبين الأردني والفلسطيني ورفض تمزق هذه الوحدة.

٦- اعتبار الساحة الأردنية الفلسطينية بحكم واقعها السياسي والاجتماعي والتاريخي والنضالي ساحة النضال الأساسية للتصدي للحلول التصفوية.

٧- تأكيد وحدة القيادة ووحدة التحرك لمواجهة الظروف المستجدة.

من خلال نظرة عميقة لهذه القرارات نلحظ أن هناك أجواء غير صحية وغير طبيعية في العلاقات الأردنية الفلسطينية وبأن هناك شيء يعد للإيقاع بالمقاومة الفلسطينية في الأردن، وهذا كان نتيجة جهد لأجهزة مخابرات أمريكية إسرائيلية وخاصة بعد معركة الكرامة، وعلى سبيل المثال جرى خطف ضابط أردني من الحرس الأردني الملكي في نوفمبر ١٩٦٨م على يد منظمة سرية تدعى إنها فلسطينية، وذكر أبو أياد وهو من قادة فتح بأنه لم يسمع قط بهذه المنظمة وأكد هذا للملك حسين أكد على إرادة الفلسطينيين في الحفاظ على العلاقات الجيدة مع السلطات الأردنية[١].

إن موافقة مصر والأردن على مشروع روجرز يعني الحد من نشاط الفدائيين، ومن المفروض أن إسرائيل كانت تتعرض وبشكل مكثف عام ١٩٧٠م إلى هجوم المنظمات الفدائية التي كانت تهاجم إسرائيل من الحدود الأردنية، وكذلك تعرضت إسرائيل إلى حرب استنزاف عبر قناة السويس ضد القوات الإسرائيلية في سيناء.

وهنا بدأت أمريكا وعبر مخططها تضغط وتطالب الأردن بالحد من العمل الفدائي[٢].

(١) النافور شحادة، القضية الفلسطينية، ص١٩٤.

(٢) شديد محمد، الولايات المتحدة والفلسطينيون، ص١٤٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

انفجر الصراع بين القوات الفدائية الفلسطينية وبين الجيش الأردني في ١٧/ ٩/ ١٩٧٠م واستمر لمدة عشرة أيام حتى ٢٦/ ٩/ ١٩٧٠م حيث راح نتيجة هذا الصراع ما يقارب ٢٥,٠٠٠ قتيل وجريح من الطرفين مدني وعسكري(١).

نشطت الوساطات العربية، ففي ٢٧/ ٩/ ١٩٧٠م أعلن في القاهرة عن التوصل إلى اتفاق بحضور الملوك والرؤساء العرب، وينص الاتفاق على وقف إطلاق النار وضبط العلاقات بين الطرف الفلسطيني والطرف الأردني، وشكلت لجنة عليا لمتابعة هذا الاتفاق برئاسة العلقي الأدغم رئيس وزراء تونس(٢).

في ٢٨/ ٩/ ١٩٧٠م توفى عبدالناصر على أثر نوبة قلبية، وتم إخراج الفدائيين إلى أحراش جرش وعجلون، ووقعت اتفاقية بين الملك حسين والفلسطينيين في ١٣/ ١٠/ ١٩٧٠م، ولكن سرعان ما جاء الطيران الإسرائيلي وهاجم المقاومة في جرش وعجلون، وحصلت مجازر جديدة وأصبحت الاتفاقية لاغية، وتم سحب جميع الفدائيين من الأردن في تموز ١٩٧١م بعد اشتباكات عنيفة وخرجت المقاومة إلى لبنان.

كان الهدف من حرب أيلول القضاء على المقاومة الفلسطينية وضرب نفوذها السياسي والجماهيري وتأثيرها المعنوي والفكري، وأدت إلى خروج الظاهرة العلنية من الأردن، والتي كان من نتائجها خسارة موقع استراتيجي مهم له مكانته في ممارسة حرب التحرير الشعبية(٣).

كان خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن انتصارًا لمبادرة روجرز في الجبهة الأردنية، كما كانت نجاحًا لإنهاء حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية.

(١) شديد محمد، الولايات المتحدة والفلسطينيون، ص ١٤٤.
(٢) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخًا وقضية، ص٢٥٤.
(٣) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، دلالات المشروع التاريخي، ص٦٠، في ذكرى مرور خمسة وعشرين عامًا على الانطلاقة.

قرار مجلس الأمن ٢٤٢ في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧م:

١- اتسم بالغموض إلى درجة وصفه بأنه يمثل أكثر من قرار لاختلاف تفسيراته.

٢- حاول الموازنة بين الموقف العربي والإسرائيلي فمعظم بنوده كانت مزدوجة.

٣- أعطى أهمية للاستقرار في المنطقة وركز على ضرورة إنهاء الحرب.

٤- أعطى أهمية لإزالة آثار عدوان ٦٧، ولكنه تناسى جوهر القضية الفلسطينية.

٥- كان القرار عبارة عن توصيات أو إعلان مبادئ عامة صدر بموجب الفصل السادس من هيئات الأمم المتحدة مما جعله يفتقر للاتزان[١].

**مبادرة روجرز:**

في يونيو ١٩٧٠م أعلن وليم روجرز - وزير الخارجية الأمريكية عن مبادرة سياسية جديدة في الشرق الأوسط تحت إشراف الدكتور غونار يارنغ حسب قرار الأمم المتحدة ٢٤٢، وكان المشروع عبارة عن رسالة موجهة من روجرز إلى وزير خارجية مصر محمود رياض، وقد وافقت مصر على مشروع روجرز والذي يتضمن الاعتراف بقرار ٢٤٢ وتنفيذه، والاعتراف بإسرائيل وانسحاب إسرائيل من أراضي ١٩٦٧م، ووقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر، بيد أن منظمة التحرير رفضت مشروع روجرز[٢].

**الاجتياح الصهيوني للبنان ١٩٨٢م وانعكاسه على المقاومة الفلسطينية:**

كان انتقال المقاومة الفلسطينية من الأردن إثر الأحداث الدامية وضرب المقاومة، بحثًا عن نقطة ارتكاز جديدة للعمل الفدائي وقيادة الثورة الفلسطينية، وكان لابد منه لتكون الثورة على قرب من الحدود المتاخمة لفلسطين، ولم يكن

(١) عبدالهادي مجدي محمد، المشادة الفلسطينية، ص٥٠٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٠٣.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +201008170225

الانتقال إلى لبنان طوعًا في كل الأحوال، لأن نقطة الارتكاز الأولى بالنسبة إلى المقاومة كانت الأردن؛ نظرًا لما تتمتع به من مواصفات من حيث الموقع.

انتقلت المقاومة لتستقر في المخيمات الفلسطينية وسط أبناء الشعب الفلسطيني، الذين عاشوا أسوأ حالة لجوء في قطر عربي نتيجة ممارسات المكتب الثاني اللبناني، والقوانين الجائرة التي فرضت على اللاجئ الفلسطيني.

ساعد وجود المقاومة الفلسطينية على انتشال اللاجئ الفلسطيني إلى واقع جديد، خاصة بعد أن فتحت الحركة الوطنية اللبنانية صدرها مرحبة بالوجود الوطني الفلسطيني، والتحقت معه في العمل الوطني المشترك في مواجهة الكيان الصهيوني ومشاريعه التصفوية.

غدت المقاومة في لبنان وخلال وقت قصير أصبحت قوة عسكرية وسياسية واقتصادية كبيرة، بحيث أصبحت تشكل خطرًا كبيرًا على (إسرائيل)، وهذا ما دفع الأخيرة إلى استخدم أدواتها في لبنان من الكتائب وحزب الأحرار لافتعال المشاكل والدخول في صدام مع المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية استدام لسنوات، ورغم شدته تمكنت المقاومة والحركة الوطنية من الصمود والانتصار ومحاصرة مشروع الكتائب والأحرار في لبنان[١].

نتيجة هذا الصمود والانتصار، أخذ القلق (الإسرائيلي) يزداد وأخذ يشعر بخطورة وجود المقاومة في لبنان ووسط المخيمات بين أبنائها، حينها قرر القيام بتوجيه ضربة قاصمة للمقاومة وللحركة الوطنية معًا، بهدف تدمير بنيتها العسكرية والاقتصادية، وفك ارتباطها مع الجماهير وعزلها وصولاً إلى جرها لمشاريع تصفوية.

(١) خمسة وعشرون عامًا على انطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، دلالات المشروع التاريخي، ص٦٣.

لقد استفاد الكيان الصهيوني من ظروف خروج مصر من صف الصراع العربي الصهيوني، بعد توقيعها على اتفاقيات كامب ديفيد في سبتمبر ١٩٧٨م، ومن انشغال العرب بالحرب العراقية الإيرانية، ومن الدعم الأمريكي الذي ازداد له في زمن ولاية الرئيس ريجان، للقيام بعدوانه على لبنان في ٤ يونيو ١٩٨٢م، حيث قام بهذا العدوان ما يقارب من ١٠٥ ألف جندي إلى ١٥٠ ألف جندي إسرائيلي تساندهم ١٦٠٠ دبابة، ١٦٠٠ قافلة جنود مدرعة، و٦٠٠ مدفع وراجمات صواريخ، أضف إلى ذلك القوات الجوية والبحرية[١].

استمرت معركة بيروت ٦٥ يومًا، ودخلت القوات الإسرائيلية إلى طريق بيروت دمشق، ودخلت بيروت الشرقية في ١١/ يونيو/ ١٩٨٢م، حيث يوجد مقر الرئاسة في بعبدا، ووجدت ترحيبًا من القوات اللبنانية الأحرار والكتائب.

واصلت قوات جيش الدفاع تقدمها وأحكمت حصارها إلى بيروت الغربية حيث كان تجمع المقاومة الفلسطينية الذي يصل إلى ١٣٠٠٠ مقاتل فلسطيني إلى جانب اللواء السوري [٢]٨٥.

**نتائج حرب ١٩٨٢م:**

١- صحيح أن المقاومة قدمت نموذجًا في النضال والصمود والتضحية رغم شراسة العدوان، لكن بالنتيجة حقق الجيش الإسرائيلي أهدافه من الحرب.

٢- تم إخراج المقاتلين من كل الفصائل الفلسطينية مع قياداتهم من لبنان، وبلغ عدد المقاتلين الذين تم إخراجهم ١١٠٠٠ مقاتل.

٣- تشرذم المقاومة الفلسطينية وقواتها من خلال توزيعهم على الدول العربية في سوريا، والعراق، وتونس، واليمن الشمالي آنذاك، واليمن الجنوبي،

(١) صالح محسن محمد، فلسطين دراسات منهجية، ص ٣٢٠.

(٢) حول حرب ١٩٨٢ انظر المرجع (١) 320 Herzog, op . cit,pp.339-359.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

والجزائر، والسودان، وهذا ما سعت إليه «إسرائيل» وكل الدوائر التي شاركت بالعدوان.

٤- اقتحام بيروت الغربية بعد خروج المقاومة بأسبوعين والقيام بمذابح صبرا وشاتيلا.

٥- استشهاد وجرح ٥٥ ألف فلسطيني ولبناني.

٦- تدمير البنية التحتية للمقاومة الفلسطينية في لبنان.

٧- إبعاد المقاومة عن الدول المتاخمة لفلسطين المحتلة، أي إبعاد الخطر عن «إسرائيل».

٨- شروع المقاومة في التركيز أكثر من أي وقت مضى على العمل السياسي، والميل نحو الحلول السلمية.

٩- نتيجة هذه السياسات حصلت الانشقاقات في داخل حركة فتح بزعامة أبي موسى والذي شكل فتح الانتفاضة، وهذا ما أضعف حركة فتح وجرها إلى اقتتال داخلي مسلح[١].

**مجازر صبرا وشاتيلا:**

في ١٣ أيلول/ سبتمبر عشية مقتل بشير الجميل، ودخول الإسرائيليين إلى بيروت الغربية، غادرت بيروت الدفعة الأخيرة من القوة الدولية (الفرنسية) وكان قوامها ٨٥٠ جندي من المظليين والمشاة، وذلك قبل انتهاء مدتها في بيروت بعشرة أيام؟

كان ذلك من أجل أن تترك فرصة الانتقام من أبناء الشعب الفلسطيني من أعدائه من الكتائب والأحرار تحت الإشراف والدعم الصهيوني، وهذه الخطوة

(١) صالح محسن محمد، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية مركز الإعلام العربي، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٣١٨.

من فرنسا، تذكرنا بما فعلته بريطانيا عام ١٩٤٨م عندما انسحبت من فلسطين قبل موعد انتهاء الانتداب البريطاني وسلمت كل المؤسسات للإسرائيليين، وأعطت الفرصة لعصابات الاحتلال بالقيام بالمجازر ضد أبناء الشعب الفلسطيني وطرده من أراضيه.

في مقابلة أجرتها معه جريدة (معاريف الإسرائيلية) بعد يومين من دخول الجيش الإسرائيلي إلى بيروت الغربية (قال رئيس الأركان الإسرائيلي الجنرال إيتان المعروف «برفول» دون مواربة: «نحن الآن في بيروت الغربية، وسوف ننظفها، ونجمع السلاح، ونلقي القبض على الإرهابيين»[١].

عند فجر الجمعة السوداء ١٧ أيلول تابع الضباط والجنود الإسرائيليون من مراكز المراقبة ما يجري في مخيم شاتيلا وشاهدوا أكوامًا من الجثث، وشاهدوا الرجال الذين كان الكتائبيون يستعدون لإعدامهم رميًا بالرصاص.

كان الإسرائيليون على علم بكل ما يجري من خلال قيادة الكتائب، ومن خلال الدعم الذي كان يقدم لهم بما فيه الأكل والشرب من حواجز الجيش الإسرائيلي.

استمرت المجزرة طوال نهار الجمعة، واستمرت حتى الساعة العاشرة من صباح يوم السبت، وكتب (إيتان جابر) المراسل العسكري لصحيفة (يديعوت أحرنوت) بعدها: «استمرت المجزرة... ربما لأن أحدهم كان عنده مصلحة في أن تستمر»[٢].

مجازر صبرا وشاتيلا، لم تتم إلا عندما قام شارون وهو وزير الحرب حينها للكيان الصهيوني بتحريض جيشه وبتحريض الجيش العميل له في الجنوب اللبناني جيش حداد وحزب الكتائب والأحرار، بارتكاب جريمة بشعة بحق سكان صبرا

(١) كابليوك أمنون، صبرا، شاتيلا، تحقيق حول مجزرة منظمة التحرير الفلسطينية – دار الجليل للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٣م، ص٢١.
(٢) المرجع نفسه، ص٦٤.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وشاتيلا، شملت جرائم قتل بحق السكان بالجملة، رجال، ونساء، شباب، وشيوخ، وأطفال، جرائم تقطيع أطراف، وقص أصابع، وسمل عيون، وبتر أنوف وآذان، كل هذا جاء بشهادات دولية(١).

**الأزمة الفلسطينية تزداد عمقًا:**

في حديث للدكتور جورج حبش* عن الأزمات التي تعيشها الثورة الفلسطينية قال: «الثورة تعيش أزمة، كيف نفهمها، وما هي الجذور والحلول، وهل ابتدأت بعد الخروج من بيروت، الجواب لا؛ لأن جذورها تمتد إلى ما قبل بيروت، ولكنها بعد بيروت دخلت في مرحلة نوعية جديدة، والسبب الرئيس هو أن الخط السياسي الذي برز وتفاقم بعد بيروت بدأ يهدد الثورة بالاحتواء، وأي تهرب من هذه الحقيقة يجعلنا غير قادرين على تلمس الأثر المدمر لهذا الخط السياسي»(٢).

بعد معركة بيروت عام ١٩٨٢م حصل خلل كبير في ميزان القوى على الأرض، ومنظمة التحرير وصلت إلى قناعة، خلاصتها قولهم: «لقد بذلنا كل شيء ممكن وكان هذا نتيجة ١٨ عامًا، فلنأخذ ما يمكن أخذه مهما كان حجم هذه الحصة.

لقد ساد الساحة الفلسطينية نهج جديد، بدأ بالموقف من مشروع ريجان، ومواقف سياسية أخرى عززت العلاقة مع النظام الأردني، ونظام كامب ديفيد، ثم بدأت الاتصالات مع قوى صهيونية من قبل شخصيات متنفذة في السلطة الفلسطينية وتم الدخول في مرحلة جديدة من عمر الثورة الفلسطينية وهي مرحلة التسوية(٣).

(١) خضراء ظافر، المحامي والمستشار القانوني لمنظمة التحرير، محاكم الجزاء الدولية وجرائم حكام إسرائيل – دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠١م، ص٥٧.

* جورج حبش من مؤسسي حركة القوميين العرب وأول أمين عام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حين انطلاقتها عام ١٩٦٧م.

(٢) حبش جورج، أزمة الثورة الفلسطينية، الجذور والحلول، ص١٢.

(٣) المرجع السابق، نفسه، ص١٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

**حرب المخيمات ١٩٨٥-١٩٨٧م:**

بعد الانسحاب الإسرائيلي من المناطق التي تم احتلالها عام ١٩٨٢م في لبنان، احتدم الصراع بين أطراف العمل الوطني الفلسطيني واللبناني، حيث اعتبرت حركة أمل نفسها صاحبة النفوذ، الأمر الذي جعلها تفجر المعارك ضد الوجود الوطني الفلسطيني، والبندقية الفلسطينية بهدف شطب الدور الوطني الفلسطيني.

جاءت هذه الأحداث في الوقت الذي بدأ فيه الانقسام في منظمة التحرير الفلسطينية، وعصفت الأزمة بصفوفها وهنا تكمن الخطورة، وكان لابد من جهد يُبذل لمنع الاقتتال الداخلي الفلسطيني داخل المخيمات، والحفاظ على الوحدة الميدانية للمقاتلين، وفي هذا المجال أدت فصائل أساسية فلسطينية مثل هذا الدور منها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

وعندما اندلع الاقتال الفلسطيني، لم يترك آثاره السلبية على اليمين الفلسطيني، والحركة الاحتجاجية فقط، وإنما امتدت آثاره السلبية لتشمل القضية والساحة الفلسطينية، لاسيما وأن الكثيرين كانوا يتربصون بالثورة الفلسطينية سواء من الإسرائيليين أم السلطة الفاشية في لبنان فضلاً عن الأنظمة الرسمية العربية، حتى إن بعض الأنظمة الوطنية لها حسابات مع الثورة[١].

(١) حبش جورج، أزمة الثورة الفلسطينية، ص٣٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

## المبحث الرابع
## الحلول السياسية

الحلول السياسية لأي مشكلة في حقيقتها، ليست إلا انعكاسًا لحقيقة القوى الفاعلة في هذه المشكلة في زمان ومكان محددين.

إن أي حل سياسي للقضية الفلسطينية في أي وقت هو انعكاس لميزان القوى في ذلك الوقت بالذات، وليس انعكاسًا لأي قيمة من قيم العدالة أو الحق أو السلام التي تتضمنها تلك القضية، إلا بالقدر الذي تنعكس منه هذه القيم بشكل قوى تبعد عنها وتتحدث باسمها.

وتبعاً لذلك جاءت محاولات الحل السلمي في الوقت الذي تحتل فيه إسرائيل كل أرض فلسطين، وأجزاء من الدول العربية عاجزة عن إخراجها بالقوة من الأراضي التي احتلتها بالقوة.

ولهذا كان الحل السلمي انعكاساً لهذه الحقيقة المرة، وهذا ما يفسر معنى (توقيت) المبادرة الأميركية المسماة (مشروع روجرز)، والتي طُرحت عام ١٩٧٠م حيث شعرت الولايات المتحدة بأن ميزان القوى القائم بدأ بقبول بعض الاعتدال بارتفاع مستوى الثورة الفلسطينية، وارتفاع الصمود المصري والدعم السوفيتي، وبتهديد المصالح الأمريكية في المنطقة خاصة بعد انقلاب ليبيا والسودان[١].

لا شك في أن الاتفاقات العربية الفلسطينية المعقودة مع حكومة الاحتلال الصهيوني في إطار ما يسمى بـ(عملية السلام) قد أسهمت في تراجع التأييد الدولي للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني كما أقرته مؤسسات الأمم المتحدة[٢].

(١) الرزاز منيف، السبيل إلى تحرير فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣م، ص٢١.
(٢) عيسى حنا، هيئة الأمم المتحدة وحق العودة، جريدة المسار، فلسطين، آب ٢٠٠١م، ص١٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

والحق أن الاعتراف العربي الرسمي بالوجود الإسرائيلي ككيان سياسي، وقبول الجانب الفلسطيني أضعف الموقف الفلسطيني في المطالبة بحقوقه، وخاصة حق العودة وجاء هذا مع قبول المفاوض الفلسطيني تأجيل قضية اللاجئين إلى الوضع النهائي وهي القضية الجوهرية.

ونتيجة لهذه السياسة تراجعت القرارات التي تؤكد على الحقوق التاريخية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني خاصة قراري ١٨١ و ١٩٤، وفي ظل الهيمنة الأمريكية لا يُستبعد أن يجري اتفاقيات مستقبلاً تعمل على إلغاء كل هذه القرارات استنادًا إلى اتفاقات كامب ديفيد التي أقرت الاعتراف بوجود «إسرائيل»، ووادي عربة التي أسقطت من حساباتها حق العودة[١].

**برنامج النقاط العشر:**

على أثر الخروج الفدائي الفلسطيني من الأردن، والأوضاع المحلية والدولية بعد حرب تشرين/ أكتوبر ١٩٧٣م، أقر المجلس الوطني الفلسطيني برنامج النقاط العشر (البرنامج السياسي المرحلي) في دورته الثانية عشر في ١-٨ حزيران ١٩٧٤م في القاهرة.

لقد أفسح هذا البرنامج مجالاً مهمـًا للتحرك السياسي الفلسطيني، ووضع عبارات مبهمة تهيئ للمشاركة في تسويات سياسية قادمة، حيث إن ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية أكد على أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، بينما برنامج النقاط العشر أشار إلى أن: «منظمة التحرير تناضل بكافة الوسائل وعلى رأسها الكفاح المسلح لتحرير فلسطين، وإقامة سلطة الشعب الوطنية الفلسطينية على كل جزء يتم تحريره». وفي الوقت نفسه وافق برنامج النقاط العشر على تجزئة مشروع التحرير خطوة خطوة، وهذا كله أعطى القيادة الفلسطينية

(١) نعمان محمد، تقرير حول الضغوط الأمريكية لتطوين اللاجئين، جريدة العربي، القاهرة، ٢٨ يوليو ١٩٩٨م، ص٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

مجالاً أكبر للمناورة السياسية، غير أن الحملات العسكرية الكبيرة التي تعرضت لها المنظمة والتوجه العربي نحو التسوية جعل منظمة التحرير تتنازل وبشكل تدريجي عن مطالبها(١).

### كامب ديفيد والفلسطينيون:

على أثر المفاوضات الإسرائيلية المصرية مباشرة ونتيجة لها وقعت اتفاقيات كامب ديفيد في الولايات المتحدة في ١٧ أيلول سبتمبر ١٩٧٨م، ودخلت الاتفاقيات حيز التنفيذ في مارس ١٩٧٩م.

تتناول الاتفاقيات في قسمها الأول أسس علاقة الكيان الإسرائيلي مع البلدان العربية ومستقبل الضفة الغربية والقطاع، وقسمها الثاني يحدد أسس علاقة الكيان مع مصر حيث وافقت مصر على إقامة علاقة سلام دائم مع الكيان الإسرائيلي، وتطبيع العلاقات سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا.

هذه الاتفاقيات دعت إلى مشاركة ممثلي الشعب الفلسطيني في مفاوضات مع «إسرائيل»، واقترحت حكمًا ذاتيًا فلسطينيًا في الضفة والقطاع، وبهذا الشأن تدور المفاوضات بين مصر والأردن و(الكيان الإسرائيلي)، ثم ينضم لهم ممثلون عن الضفة والقطاع، والحقيقة التي لا غبار عليها هي أن كامب ديفيد كانت أول تسوية سلمية متعلقة بفلسطين يتم الاتفاق عليها بين الكيان «الإسرائيلي» وأطراف عربية(٢).

### المشاريع المترتبة على اتفاقية كامب ديفيد:

#### ١- مشروع خالد الحسن ١٩٨٢م:

قدم خالد الحسن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح في المجلس الوطني

(١) الموسوعة الفلسطينية، ج٤، ص٦٠٣ -٦٠٦.
(٢) جريدة الرأي الأردنية ١٥ مايو ١٩٨٢.

في ١٤ أيار ١٩٨٢م مشروعًا سماه (أفكار للنقاش لحل النزاع)، حيث دعا إلى انسحاب إسرائيل من أراضي ١٩٦٧م، وإقامة دولة فلسطينية على تلك الأراضي.

لقد كان طرح هذا المشروع بمثابة بالون اختبار لجس نبض الشارع الفلسطيني والعربي وردود الفعل الدولية[١].

**٢- مشروع ريجان ١٩٨٢م:**

جاء طرح هذا المشروع عندما وجدت القيادة الفلسطينية نفسها معزولة في تونس، وفاقدة لقاعدة استراتيجية في دول المواجهة، وساعد هذا الوضع على إيجاد أجواء عربية وفلسطينية تسير باتجاه التسوية، وأهم ما في هذا المشروع هو التعهد الأمريكي بحماية «أمن إسرائيل».

**٣- مشروع السلام العربي (فاس) ١٩٨٢م:**

بالأصل هذا المشروع كان مشروع الملك فهد قبل أن يكون ملكًا وتبناه مؤتمر القمة العربية في فاس ٦-٩ أيلول سبتمبر ١٩٨٢م، وقد مثل مشروع فاس في خلاصته الخط السياسي العربي العام والذي يجمع بين الاعتراف الضمني بالكيان «الإسرائيلي» وإقامة الدولة الفلسطينية على الضفة والقطاع[٢].

**٤- مشروع بريجنيف للسلام ١٩٨٢م:**

يمثل التصور السوفيتي للتسوية، والذي أكد على إحلال السلام بين الدول العربية و«إسرائيل»، وإيجاد ضمانات دولية للتسوية[٣].

(١) الهور، Palestine Documents ص٣٠٧-٣٠٨.
(٢) المرجع نفسه، ص٣٨٣، ٣٨٩.
(٣) Palestine Documents, pp. 383-389.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

**٥- مشروع الكونفدرالية الأردنية – الفلسطينية ١٩٨٤-١٩٨٥م:**

هو مبادرة أردنية فلسطينية مشتركة مبنية على قرار ٢٤٢ كأساس للتسوية، وعلى مبدأ الأرض مقابل السلام في إطار مؤتمر دولي تحت إشراف الأمم المتحدة.

وعليه تكون العلاقة المستقبلية بين الأردن ومنظمة التحرير علاقة كونفدرالية فيها إذا قامت الدولة الفلسطينية(١).

**٦- مؤتمر مدريد ١٩٩١م:**

جاء هذا المؤتمر بعد إجبار العراق على الخروج من الكويت في ٦ آذار ١٩٩١م، حيث دعا الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى عقد مؤتمر دولي لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي، وكانت الدعوة فيه على أساس تطبيق قرار مجلس الأمن رقم٢٤٢ (٢).

وانعقد المؤتمر في مدريد في ٣٠ أكتوبر ١٩٩١م برعاية أمريكا والاتحاد السوفيتي والذي كان يعاني من الانحياز وبحضور أولي شكلي، وشاركت العديد من البلدان العربية في هذا المؤتمر، والذي تمكن فيه الكيان الصهيوني من إقرار شروطه كافة على التمثيل الفلسطيني، حيث تمت مشاركة فلسطينية ضمن الوفد الأردني، عوضاً عن المشاركة الرسمية للمنظمة(٣).

**٧- أوسلو (سبتمبر ١٩٩٣م):**

كان من الأخطاء الكبيرة في اتفاق أوسلو عدم إرسائها المفاوضات وما نتج عنها من اتفاقيات على مبدأ المعاملة بالمثل بشكل عادل، حيث إن تلك الاتفاقيات

(١) Lbid,pp.383-389.(36)

(٢) الحمد جواد، حول مؤتمر مدير السلام، مشاريع التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي وعملية السلام بالشرق الأوسط، ص٤٨٢، ٤٩٢.

(٣) شفيق منير، أوسلو (١) (٢) المسار والمال، لندن، فلسطين المسلمة، ١٩٩٧م.

أوسلو وما تفرع عنها لا تحوي ذلك بل نجد أن أوسلو ٢ تعطي للإسرائيليين امتيازات في مناطق الفلسطينيين ولا توفر أي مقابلة بالمثل بين الطرفين، ونجد إسرائيل قد تجاهلت الحقوق الفلسطينية بما في ذلك حقهم في دولة مستقلة، في الوقت الذي اعترفت فيه المنظمة بوجود دولة إسرائيل من الناحية الشرعية القانونية، وليس هذا فحسب بل أعلنت تخليها عن الكفاح المسلح وعن تعديل ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية، ومقابل ذلك لا نجد ما يلزم إسرائيل بإنهاء العنف ضد الفلسطينيين في المناطق المحتلة. كما وافقت المنظمة على تأجيل النظر في أهم القضايا وأخطرها، وهي قضية اللاجئين والقدس والمستوطنات والحدود والسيادة، إلى حين مفاوضات الوضع النهائي.

ومن اللافت للنظر أيضًا أن المنظمة وافقت مع إسرائيل على التفاوض عن أمور فلسطينية داخلية فاستحق بذلك المجال الإسرائيلي التأثير على الشؤون الفلسطينية الداخلية.

لقد وصف بعض المثقفين الإسرائيليين «عملية السلام» والاتفاقات الإسرائيلية – الفلسطينية بأنها من قبيل ذلك التحول القديم المعهود المسمى بتصفية الاستعمار[١].

يقول يور بيليد (Yoar Peled): «إن حصيلة تصفية الاستعمار ظهور استعمار جديد، أي استمرار هيمنة الحكام السابقين عن طريق وسائل اقتصادية لا وسائل سياسية»[٢].

أما في حالة الضفة الغربية وقطاع غزة فإن الإسرائيليين، وبتعاون منظمة التحرير، أقاموا هيكلاً لهيئة أضفت عليها الشرعية في المناطق الفلسطينية تقوم على وسائل

(١) Lbid,pp.383-389.
(٢) peled, Ibid, p. 19.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

اقتصادية وسياسية معًا.

إن إسرائيل قامت عوضًا عن تصفية الاستعمار بإعادة شكل الاستعمار القديم الرامي إلى السلب والنهب، ومدت شباكه في الضفة والقطاع، كما استبعدت من جميع الترتيبات أبناء الشتات الفلسطيني باستثناء البرجوازية المغتربة التي تملك رؤوس أموال كبيرة والتي تشجعها السلطة الفلسطينية على الاستثمار وإنشاء مشاريع مشتركة.

وفي هذا الصدد قال كثير من المثقفين الإسرائيليين ومنهم بنفنسيتي (Benvenisti) «إن تتبع المئات من صفحات الاتفاقية لا يترك مجالاً للشك في معرفة من هو الرابح في هذه الصفقة ومن هو الخاسر فيها، وباستقراء الصياغة المتكبرة للاتفاقية والإجراءات المعتمدة فيها ومئات الحالات من التلاعب بالحقائق الواردة في أقسام الاتفاقية والأقسام الفرعية والبروتوكولات، لا يسع المرء إلا أن يقول أن النصر الإسرائيلي كان مطلقًا والهزيمة الفلسطينية كانت فخرية»[١].

(١) M. Benvenisti, (An Agreement of surrender) Ha, aretz, 1219/1999, (translated by: I. shahakin; from the Hebrew press (June 1999).



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

## الخلاصة

١- لقد جاء البرنامج السياسي في الميثاق القومي الفلسطيني المقاوم ومن ثم في الميثاق الوطني الفلسطيني، منذ الدورة الاولى وحتى الدورة الحادية عشرة ليعكس الطموحات الجماهيرية الفلسطينية في تحرير فلسطين، وتقرير المصير بعد التحرير، وإنشاء النظام السياسي الذي يختاره الشعب الفلسطيني.

إن التحرير هو الإطار الواسع لاسترداد الأرض وعودة اللاجئين وإقامة الدولة، ولكن نقطة تحول جرت في البرنامج السياسي كانت بارزة عندما طرح البرنامج المرحلي (برنامج النقاط العشر) الذي أقرته (الدورة الثانية عشر) للمجلس الوطني في القاهرة عام ١٩٧٤م، والذي جاء بعد صدور قرار مجلس الأمن الدولي (على إثر حرب تشرين)، والذي يدعو إلى عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط.

٢- الخطأ الفادح الذي ارتكبته المنظمة هو إخفاقها في أن تنتزع من إسرائيل اعترافًا صريحًا بأن الفلسطينيين هم شعب له الحق في تقرير مصيره، وأن إسرائيل دولة محتلة تسيطر على المناطق الفلسطينية، فلو صدر هذا الاعتراف لجعل من إعلان مبادئ أوسلو وثيقة تنظم المفاوضات بشأن توقيت الانسحاب الإسرائيلي من المناطق المحتلة ونقل السلطة إلى منظمة التحرير، وتأسيس دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة، وإعادة حقوق اللاجئين.

لقد كان المجتمع الدولي مجمعًا على الانسحاب الكامل من الضفة الغربية وقطاع غزة، وإقامة دولة مستقلة على هذه الأراضي، ولكن المادة ٣١ من اتفاق أوسلو تنص على ما يلي:

(لا يعتبر أي طرف من طرفي الاتفاق، بحكم دخوله طرفًا في هذا الاتفاق،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +201008170225

بأنه قد تخلى أو تنازل عن أي من الحقوق أو المطالب أو المواقف القائمة).

٣- كانت سياسة الأنظمة العربية اتجاه القضية الفلسطينية تختلف من قطر إلى آخر، ولكن المشترك فيها إنكار حرية العمل لمتابعة هذه القضية، ولاسيما العمل السياسي والعسكري، ولم يكن السبب كما يقال يكمن فقط في الخوف من إسرائيل من الانتقام، بل يعود بدرجة أساسية إلى طبيعة تلك الأنظمة وتركيبتها التآمرية، وهذا ما يفسر طبيعة الأحداث في كل من الأردن ولبنان.

٤- أصبح الوطن العربي مشغولاً بهمومه الداخلية بعد الصراعات التي ما زال يعيشها مشغول بهمومه الداخلية، الحياة اليومية للمواطن وليس الوطن فضلاً عن أن دوله مشغولة بالحفاظ على مؤسساتها التي أخذت تسقط مع أول ضربة ضمن خطة جديدة تجهز على روح القومية العربية وامتداداتها، وإمكانات ظهورها من بين الركام في فلسطين، وبغداد، وبيروت، ودمشق، وغيرها، وخطة الاستيلاء المعاصرة المعروفة بسايكس بيكو خطة من نوع آخر، فسايكس بيكو جرى فيها تقاسم الحصص، بينما سايكس الجديد الحصة فيه فقط لصالح الكيان الصهيوني.

٥- لقد أوضحت دول الاستعمار، و(إسرائيل) الحل الذي تريده من خلال الأحلاف الاستعمارية التي اقامتها في المنطقة سندًا لإسرائيل خلال السنوات الطويلة الماضية، إنهم يريدون تسوية تقوم على اعتراف العرب بواقع إسرائيل، وبما ينطوي عليه هذا الواقع من اغتصاب وعدوان.

يريدون الاعتراف بالحدود التي تريدها وتحددها (إسرائيل) يريدون قبولهم بواقع اللاجئين الحالي، ومبدأ توطينهم في خارج فلسطين.

٦- أن قضية فلسطين قضية كل العرب والمسلمين وليس قضية الفلسطينيين وحدهم، وهي معركة تتوارثها الأجيال وليس من حق جيل أن يرضخ أو

يتنازل عن حق الأجيال الآتية، وهذا يعني عدم جواز قيادة المنظمة بالموافقة على أي من الاتفاق أو الاتفاقات، والاعتراف بحق (إسرائيل) في الوجود، وبشرعية احتلالها لأي شبر من أرض فلسطين المحتلة ١٩٤٨م، والتي لا تجري عليها أي مفاوضات.

٧- كانت منظمة التحرير خلال ١٩٨٦-١٩٨٧م في حالة من الضعف السياسي، وحالة من التهميش، غير أن اندلاع الانتفاضة في ٩/ ديسمبر/ ١٩٨٧م وفر لها رافعة سياسية كبيرة، وكرس من جديد الهوية الفلسطينية، وأظهرت الانتفاضة الدور الريادي لأبناء الداخل في المقاومة، ولكن لم تكن الرياح كما تشتهي سفن المنظمة أو الشعب الفلسطيني، فقد كان هناك حالة عجز وتفكك عربي، وكانت العراق وإيران على وشك الخروج منهكتين في حرب الثمانية أعوام (١٩٨٠-١٩٨٨م) التي دمرت اقتصادها ومواردها البشرية والمالية والعسكرية، ثم ما لبث العالمين نفسيهما العربي والإسلامي أن انقسما على إثر الاجتياح العراقي للكويت في أغسطس ١٩٩٠م وما تلاه من حرب الخليج التي اورثت وضعًا عربيًا ممزقًا، وفرضت أمريكا هيمنتها وتوصياتها على المنطقة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

**المراجع:**

١- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، دلالات المشروع التارين في ذكرى مرور خمسة وعشرين عامًا على الانتفاضة.
٢- الحجاوي أحمد يوسف، المسار التاريخي للنضال الوطني الفلسطيني، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ.
٣- الحمد جواد، مؤتمر مدير للسلام، مشاريع التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي وعملية السلام في الشرق الأوسط.
٤- د. الرزاز منيف، السبيل إلى تحرير فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣م.
٥- الشقيري أحمد، من القمة إلى الهزيمة، بيروت، دار العودة ١٩٧١م.
٦- النافور شحادة، القضية الفلسطينية.
٧- خضراء ظافر بن، المحامي والمستشار القانوني لمنظمة التحرير، محاكم الجزاء الدولية وجرائم حكام إسرائيل – دار التعاون للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠١م.
٨- جبارة تيسير، تاريخ فلسطين – الشروق، ١٩٨٨م.
٩- ٢٥ عامًا على انطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مركز إعلام الجبهة الشعبية.
١٠- محمد شديد، الولايات المتحدة والفلسطينيون.
١١- محسن صالح، فلسطين دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٢- عبدالهادي حمدي محمد، المسألة الفلسطينية.
١٣- بتريمان عوزي، كاتب إسرائيلي، كتاب قيصر إسرائيل بالإنجليزية.

١٤- عيسى حنا، هيئة الأمم المتحدة وحق العودة، جريدة المسار، فلسطين، آب ٢٠٠١م.
١٥- د. فرسون سميح: فلسطين والفلسطينيون، مركز دراسات الوحدة العربية.
١٦- قاسمية خيرية، أحمد الشقيري زعيمًا فلسطينيًا ورائداً عربيًا.
١٧- كابليوك أمنون، صبرا، شاتيلا، تحقيق حول المجزرة، منظمة التحرير الفلسطينية، دار الجليل للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٣م.

**الموسوعات:**

١- الموسوعة الفلسطينية، ج٤.
٢- الموسوعة الفلسطينية، مجلد ٥.
٣- الموسوعة الفلسطينية، ج٥، انظر خطاب عبدالناصر في جريدة المنار ١/ ٦/ ١٩٥٦م عدد ١٥٢٧.

**الصحافة:**

١- نعمان محمد، تقرير حول الضغوط الأمريكية لتوطين اللاجئين جريدة العربي، القاهرة ٢٨ يوليو ١٩٩٨م.
٢- جريدة الرأي الأردنية ١٥ مايو ١٩٨٢م.
٣- صحيفة بديعوت أمراتوت، عدد ٦/ ١٢/ ١٩٨٨م.
٤- جريدة دافار مبليحان، تهجير الفلسطينيين بين الأمس واليوم، عدد ١٨/ ٩/ ١٩٨٨.
٥- جريدة المسار حنا عيسى، هيئة الأمم المتحدة، آب ٢٠٠١م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

**المراجع باللغة الإنجليزية:**

1- Abulgadand Eric Ronlean, My home My Land: A narrative of the Palestinian struggle. Translation by Lindu Butler, Koseolga (NewYork: TimesBooks 1981, pp.20-23, and Quandt.

2- Y. Harkabi, Fedayeen Action and Arab Strategy, Adelphi papers, no J3 London Institute for strategic studies, 1968, p.27.

3- Cobban, Ibid, p.92-599, and Hirst, Ibid.

4- Palestine Documents.

5- peled, Ibid.

6- M. Benvenisti, (An Agreement of surrender) Ha, aretz, 1219/1999, translated by: I. shahakin; from the Hebrew press (June 1999).

7- Israel, Ministry of foreign affairs (Israeli – palestinian Interim agreement on the west bank and Gaza strip (28 September 1995).

مجلة دراسات تاريخية

دورية علمية محكمة

مجلة دورية، علمية، محكمة، تصدر عن مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر، بترخيص من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.